



مقالات في اللغة العربية و آدابها

- علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب بشير ابرير
- المصطلح اللساني عند الفاسي الفهري خالد بن عبد الكريم بسندي
- فاوست بين الحقيقة التاريخية والخيال الأدبي عمار رجال
- الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة(*) يحي بعبطيش
- لفظ التأويل من منظور علماء المسلمين أحمد مداس
- عرب وأعراب دراسة لغوية في شعر ما قبل الإسلام محمود الديكي
- الصحراء وثقافة شعوب الهامش في رواية "عيون الطوارق" لألبرتو فاتكت فيكيروا " فتيحة بركات

Langues Etrangères

- Thomas Mofolo and Ayi Kwei Armah: The Bankruptcy of the Warrior Tradition and the Quest for a Legacy of African Intellectual Heroism **Bouteldja RICHE**
- Translation in Don Quixote **Abbes BAHOUS**
- Translating Algerian Arabic Drama into English:
An Intercultural Process **Souad HAMERLAIN**
- Hegel, Dubois and the American School of Slavery **Sabrina ZERAR**
- Beyond Monodisciplinarity and Towards an Integrative Framework for the Teaching of "Literature" and "Civilisation" **Miloud BARKAOUI**
- Grammar Tasks and the Learning of English as a Foreign Language:
A Case Study **Ahmed MOUMENE**

التواصل

مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
"محكمة" تصدر عن جامعة باجي مختار - عنابة - الجزائر

المدير

أ/د. عبد الكريم قاضي
رئيس جامعة باجي مختار - عنابة

مدير النشر

أ.د. لخضر تيفوتوي

رئيس هيئة التحرير

أ/د. ميلود بركاوي

أعضاء هيئة التحرير

أ/د. أمير السعد

أ/د. بشير إبرير

أ/د. فضيلة سحري

أ/د. سيف الإسلام شوية

أ/د. صاري محمد

الأمانة

دليلة بعلي

مديرية النشر

جامعة باجي مختار - عنابة ص.ب. 12 - 23000 - عنابة

الهاتف: 87 11 12 (038) الفاكس: 87 11 12 (038)

البريد الإلكتروني: tawassol_journal@yahoo.com

www.univ-annaba.org

الهبة العلمية

- أ/د. محمد يسري أبو العلا، جامعة الزقازيق، مصر
أ/د. أحمد عمران، جامعة صفاقس، تونس
أ/د. عمر الكتاني، جامعة محمد الخامس، المغرب
أ/د. مود حمادي، جامعة منوبة، تونس
أ/د. الوعر مازن، جامعة دمشق، سوريا
أ/د. عبد القادر سيد أحمد، جامعة باريس، فرنسا
أ/د. سمير مصطفى، جامعة القاهرة، مستشار اقتصادي
أ/د. ماك ماهون ميشال، جامعة قلاسكو، بريطانيا
أ/د. الشريف باشا، جامعة القاهرة، مصر
أ/د. علي المير، جامعة تونس، تونس
أ/د. عبد الرزاق بوبندير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر
أ/د. عبد الله بوجلال، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر
أ/د. مختار نويوات، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر
أ.د. عبد المجيد حنون، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر
أ/د. الحواس مسعودي، جامعة الجزائر، الجزائر
أ/د. عبد المالك مرتاض، جامعة وهران، الجزائر
أ/د. أحمد يعقوب، جامعة وهران، الجزائر
أ/د. جمال عبد الناصر مانع، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر
أ/د. الهاشمي لوكيا، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر
أ/د. مسعود منتري، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر
أ/د. محمد مانع، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر
أ/د. محفوظ بن عصمان، جامعة باجي مختار، الجزائر
أ/د. الشريف حمزاوي، جامعة باجي مختار، الجزائر

قواعد النشر بالمجلة

"التواصل" مجلة أكاديمية دورية محكمة تُعنى بالدراسات والأبحاث المبتكرة والأصيلة في مختلف العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية والآداب واللغات. تقبل للنشر في المجلة الأبحاث و الدراسات المكتوبة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

1. أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة و لم يسبق نشرها و لم ترسل للنشر في جهة أخرى.

2. ألا يتجاوز حجم البحث على أكثر تقدير عشرين (20) صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والهوامش والجدول والأشكال و الصور و على الا يقل عن 12 صفحة. إذا تبين أن هناك أبحاثا قابلة للنشر و لكنها طويلة، فمن حق هيئة التحرير أن تطلب من المؤلف اختصار البحث قبل نشره.

3. أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد و كتابة الأبحاث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات و توثيق الاقتباسات، سواء كانت نصوصا حرفية مباشرة أو عرضا لأفكار و وجهات نظر، على نحو دقيق وواضح. يشار إلى المراجع المذكورة في النص برقم يوضع بين معقوفتين مثال

4. إذا ذكر اسم المؤلف يجب أن يتبع برقم المرجع، أما إذا كان للمرجع المذكور أكثر من مؤلفين فيذكر الأول فقط مع الإشارة إلى أن العمل جماعي. إذا كان المرجع مقالا يذكر لقب المؤلف و يرمز لاسمه بالحرف الأول منه، ثم عنوان المقال و اسم المجلة و عددها و تاريخ النشر و أخيرا رقم الصفحات المعتمدة. أما إذا كان المرجع كتابا فيذكر لقب المؤلف واسمه بالرمز، و عنوان الكتاب ثم رقم الصفحات المعتمدة فرقم الطبعة و تاريخ النشر و أخيرا اسم الناشر و مكان النشر. تثبت هذه المعلومات في نهاية البحث أو المقال تحت عنوان "المراجع والحواشي".

4. أن ترسل المواد العلمية من ثلاثة (03) نسخ مكتوبة على وجه واحد من الورق العادي (A4)، بالإضافة إلى نسخة مكتوبة على أقراص الحاسوب و ذلك وفق المواصفات التالية:

■ لوحة النص: 19 سم x 12 سم

■ الحرف 13 نقطة (Simplified Arabic)

■ بين السطور: 0,8 نقطة

■ هامش الصفحة:

- اليسار: 2 سم

- اليمين: 2 سم

- الأعلى: 2 سم

- الأسفل: 3 سم

5. أن ترقم الصفحات في الوسط أسفل الصفحة
6. إذا كانت المادة المقدمة للنشر مداخله في أحد الملتقيات أو المنتديات العلمية فإنه يتعين على المؤلف أن يذكر تاريخ انعقاد الملتقى أو المنتدى و كذا العنوان الأصلي للمدخاله.
7. أن يزود المؤلفون المجلة بخلاصتين للمادة المقدمة للنشر في حوالي 100 كلمة واحدة باللغة التي كتبت بها المادة و الثانية بلغة أخرى على أن تكون الخلاصة منقحة بإمعان.

ملاحظات عامة

1. تخضع كل الأبحاث والدراسات **للتحكيم السري** لتقرير مدى صلاحيتها للنشر. و تلتزم المجلة بإخطار المؤلفين الذين قبلت أبحاثهم للنشر مباشرة بعد صدور رأي التحكيم فيها. يجوز للمجلة أن تطلب من المؤلفين إدخال التعديلات التي تراها مناسبة على المواد المقدمة للنشر قبل إجازتها للنشر.
2. المواد التي ترسل إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر. ويحق للمجلة أن تنصرف في المادة المنشورة وفق ما تراه مناسباً.
3. لا تقبل المادة المقدمة للنشر إلا إذا كانت محررة و منقحة بعناية.
4. أن يرفق المؤلفون مقالاتهم بصفحة تقديم تحتوي على:
 - اسم ولقب ووظيفة المؤلف
 - العنوان البريدي و الالكتروني للمؤلف
 - نبذة موجزة عن سيرة المؤلف
5. على صاحب المقال أن يقدم إقراراً خطياً بعدم تقديم مقاله للنشر في مجلة أخرى.
6. الآراء التي تصدر في المجلة تعبر عن أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
7. يتم إيداع المادة المقترحة للنشر لدى أمانة المجلة دون وساطة من طرف صاحبها أو ترسل عن طريق البريد المسجل باسم صاحبها.
8. رأي هيئة التحرير في المقالات المقترحة مرتبط باستلام تقارير المحكمين، لذا يتعين على المؤلفين **الالتزام** التام بالمسار السري للتقويم.
9. **التواصل** مجلة علمية تنشر الأعمال التي تلبي الشروط العلمية و الأكاديمية المنصوص عليها في قواعد النشر، و على هذا الأساس لا تتحمل المجلة تبعات الآجال المرتبطة بمناقشة الرسائل، الترقيات،.....الخ.

المراسلات

توجه الاقتراحات باسم رئيس هيئة التحرير (أو مدير النشر) إلى العنوان التالي:

السيد رئيس هيئة التحرير / أو السيد مدير النشر

التواصل

مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

مديرية النشر

جامعة باجي مختار - عنابة

ص.ب. 12

23000 - عنابة

الجزائر

هاتف/ فاكس: 00213(038)87.11.12

الفهرس

علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب	
بشير ابرير	07
المصطلح اللساني عند الفاسي الفهري	
خالد بن عبد الكريم بسندي	34
فاوست بين الحقيقة التاريخية والخيال الأدبي	
عمار رجال	65
الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة(*)	
يحي يعطيش	75
لفظ التأويل من منظور علماء المسلمين	
أحمد مداس	99
عرب وأعراب دراسة لغوية في شعر ما قبل الإسلام	
محمود الديكي	132
الصحراء وثقافة شعوب الهامش في رواية "عيون الطوارق" لألبرتو	
فانكث فيكيروا "	
فتيحة بركات	153

الآراء التي تصدر في المجلة تعبر عن أصحابها ولا تعبر
بالضرورة عن رأي المجلة.

علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب

أ.د. بشير ابرير
قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة باجي مختار-عناية

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبداء بعض الآراء المتعلقة بعلم المصطلح في صلتها بالبحث العلمي بصفة عامة وبناء المعرفة و ممارسة البحث في اللغة والأدب بصفة خاصة، مع العمل على إعطائها صبغة تعليمية ملائمة، علماً أن البحث في ميدان المصطلح فيما أرى نادر جداً ما توجهت توجهها تعليمياً في علاقته بممارسة البحث في اللغة العربية و آدابها. يرتبط علم المصطلح بأشكاله التواصل في إطار الممارسة التعليمية ويرتبط أيضاً بأشكاله ممارسة البحث في الوصف والنقل والتأسيس .

Résumé

L'étude exprime un certain nombre d'opinions concernant la terminologie et son implication dans la recherche scientifique en général et dans la construction des connaissances en particulier, soit dans les sciences du langage ou dans les études littéraires. Nous avons centré notre intérêt sur l'aspect didactique de ce domaine de recherche qui nécessite beaucoup plus d'intérêt pour développer des méthodes adéquates à son enseignement, vu son importance dans la pratique des recherches de langues et de littérature arabe. La terminologie en tant que science pose une double problématique: La communication scientifique dans l'enseignement: la pratique de la recherche dans la description, le transfert, et la construction des fondements.

أولاً: مقدمة الحديث:

قدمت اللسانيات العامة فوائد كثيرة جداً للبحث اللغوي من حيث المنهجية ومن حيث إثراؤه بمفاهيم المصطلحات الجديدة التي أثمرت وأنتت أكلها في كثير من فروع المعرفة، وبخاصة من حيث الإجراء التطبيقي، وكان من نتائج ذلك أن تفرّع علم جديد هو اللسانيات التطبيقية **la linguistique appliquée** وببزوغ فجر هذا العلم احتلّ فيه علم المصطلح **la terminologie** مكان الصدارة بوصفه علماً تطبيقياً إلى جانب فروع علمية أخرى مثل:

التخطيط اللغوي واللسانيات النفسية، والتحليل الإعلامي للنصوص والإشهار، واللسانيات التفاضلية والترجمة وتحليل الأخطاء، وتعليم اللغة لغير الناطقين بها....

أما موضوع علم المصطلح فيتمثل في دراسة الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها، وهو كما حدّده "فوستر **E. Wuster**": "يدرس طبيعة المفاهيم وخصائصها ومكوناتها وعلاقاتها الممكنة واختصاراتها والعلامات والرموز الدالة عليها... وتوحيد المفاهيم والمصطلحات ومفاتيح المصطلحات الدولية وتدوينها ووضع معجماتها ومراحلها الفكرية من حيث تتابعها وتوسيعها."⁽¹⁾

إن علم المصطلح علم لغوي تطبيقي، يظهر ذلك في تركيز اهتمامه على المفاهيم أولاً والمصطلحات ثانياً، بعد أن يشكّل المفهوم بدقة بالنظر إلى بقية المفاهيم، يسعى إلى إيجاد المصطلح الدال عليه المحدّد له⁽²⁾ نلاحظ من هذا المنطلق فرقاً بين المفهوم **la notion**⁽³⁾ وبين المصطلح **le terme** فالمفهوم هو جملة المحتويات المعرفية والخصوصيات والتصورات **les concepts** التي يدلّ عليها المصطلح، وإذا كان المصطلح بمثابة الدال فإن المفهوم بمثابة المدلول.

إن المصطلح " عبارة عن كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معيّنة، والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحّدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي..."⁽⁴⁾

وهكذا فلكل معرفة علمية خطابها الذي يدل على مفاهيمها ويرسم حدودها الفاصلة عن بقية الفروع العلمية الأخرى، ويوضّح موضوعها ومجالاتها التطبيقية. وبهذا تكون المعرفة مفاهيم بالدرجة الأولى ومصطلحات تدل عليها بالدرجة الثانية. وأن الاختلافات إذا كانت في المصطلحات تكون خطيرة، ولكنها تكون أخطر إذا كانت في المفاهيم، لأنها تؤدي إلى الخروج عن الهدف والغاية وعدم التحكم في العلم من حيث الموضوع والمنهج. إن مفاتيح العلوم مفاهيم مصطلحاتها.

وبهذا المعنى يعدّ المصطلح لغة واصفة تتنوّع بتنوّع المعارف الإنسانية المختلفة، فله وشائج قريى وعلاقات نسب مع الأسس الفلسفية والتاريخية والاجتماعية والنفسية واللغوية والعلمية الخالصة وغيرها من فروع العلم والمعرفة، بل ويتبادل المنافع معها كلّها سواء أكانت علوما إنسانية واجتماعية أم علوما أساسية تكنولوجية، وهذا ما يؤدي إلى تعدد المصطلح ويصعب من ضبط مفهومه أحيانا واستعماله أحيانا أخرى.

تهدف هذه الدراسة إلى إبداء بعض الآراء عن مسألة أراها جد مهمة، وهي تلك المتعلقة بعلم المصطلح في صلتها بالبحث العلمي بصفة عامة وببناء المعرفة وبممارسة البحث في اللغة والأدب بصفة خاصة، مع العمل على إعطائها صبغة تعليمية ملائمة علما أن البحث في ميدان علم المصطلح -فيما أرى- نادرا جدا ما توجّه توجّها تعليميا في علاقته بممارسة البحث في اللغة العربية وآدابها.

ذلك أن علم المصطلح يرتبط بإشكالية التبليغ والتواصل في إطار الممارسة التعليمية ويرتبط أيضا بإشكالية ممارسة البحث في الوصف والنقل والتأسيس، وصف العلم الذي كان ونقل العلم الذي هو كائن والتأسيس للعلم الذي سيكون⁽⁵⁾.

ثانيا : محاولة تشخيص الواقع وحصر بعض مشكلاته:

تظهر المعاينة الميدانية للعملية التربوية داخل الجامعة مسألة في غاية الخطورة وهي:

1. التدريس بمستوى لغوي خليط بين اللغة الفصحى والعامية، وغياب لغة التخصص على لسان المدرّس والطالب، وهي تلك اللغة التي تميّز بين الخطابات والنصوص، فيصير لكل خطاب خصوصياته اللغوية التي تبين أصالته وتفرّده، ويكمن ذلك أساسا في استعمال المصطلحات الخاصة بكل فرع من فروع المعرفة.

2. قلة المؤونة المعرفية والعوز المنهجي في البحث بالجامعة، وقد جمعت هنا، بين مختلف مراحل البحث بالرغم من اختلاف الأهداف الخاصة بكل مرحلة جامعية، فأهداف مذكرة الليسانس تختلف عن أهداف مذكرة الماجستير ورسائل الدكتوراه ودكتوراه الدولة؛ وذلك أنني لاحظت أن هناك نقاطا كثيرة مشتركة في

ممارسة البحث بين هذه المراحل كقلة الزاد المعرفي وضعف القراءات العامة والقراءات المتعلقة بالموضوع؛ وهي مسألة بالغة الخطورة وهي السبب - في نظري - في كل الصعوبات المتعلقة بممارسة البحث؛ فالباحث في اللغة العربية وآدابها طالبا في مرحلة التدرج أو في الدراسات العليا، بل أحيانا أخرى في الدكتوراه ودكتوراه الدولة، لا يملك المؤونة الكافية من القراءات العامة والقراءات المتعلقة بموضوع بحثه على وجه الخصوص، وسنحاول أن نتحدث بشيء من الصراحة:

إن الطالب الجامعي في وقتنا الحاضر لا يسكنه فعل القراءة، ولا يملك الملكات التحليلية والوظيفية ولا يجيد الملاحظة والمقارنة والبحث والاكتشاف والفضول العلمي إلا قليلا.

تورد في هذا الشأن الدكتورة "خولة طالب الإبراهيمي" ملاحظة لزميل يعمل أستاذا بإحدى الجامعات الجزائرية عبّر فيها عن قلقه وحيرته وهو يحكي أقوال طلبته قائلا: "إن المعرفة بالنسبة إليهم، شيء خارجي، هي لباس وليس أكلا يهضم ويستوعب، إنهم يقولون: تلك المعرفة ليست ملكنا هي ملك الأستاذ فنردها إليه وكفى." (6) ولهذا صار الطالب الجامعي بل حتى طالب الدراسات العليا لا يستطيع إعمال الفكر والتعبير والكتابة ومعالجة البحوث المطلوبة منه في اللغة والأدب، فنراه عاجزا عن اختيار الموضوع وضبط عنوانه وطرح إشكالاته وتحديد أهدافه ومعرفة نقطة انطلاقه من نقطة وصوله؛ لأن مخزونه القرائي ضحل لا يمكنه من إدراك مفاهيم المصطلحات الأساسية في ميدان اختصاصه والمتعلقة بموضوع بحثه. تتميز البنية الفكرية للطالب الجامعي كما يرى الدكتور "خير الله عصار" بالاجترارية والآلية والضحالة الفكرية.

فأما الاجترارية: فتتمثل في اضطراب منهجية التفكير الذي يظهر سوء التنظيم الذهني في معرفة الواقع وتحليله.

فلاحظ كثيرا من الصعوبات المنهجية التي تعترض الطلاب؛ إذ يوجد عجز شبه تام في عرض المسائل ومعالجتها بطريقة منطقية، وهو السبب المباشر لفشل

نسبة هامة من الطلاب في الامتحانات بالرغم من حفظهم للمادة عن ظهر قلب؛ لأنهم لا يعرفون ماذا يختارون للإجابة عن السؤال، ولا كيف يعرضون المادة التي يختارونها مما يجعل إجاباتهم أقرب إلى تداعي الأفكار منها إلى العرض المنظم للموضوع، وتزداد هذه الظاهرة حدة فتبلغ ذروتها عند طلبة الدراسات العليا⁽⁷⁾؛ فتوجد رسائل تمت مناقشتها ومع ذلك يعاني أصحابها خصاصة منهجية واضحة؛ فلا يعرفون الهدف من القيام بها، وأهم الأسئلة الإشكالية والمفاهيم الأساسية التي أقيمت عليها، وخصوصيات النتائج التي وصلت إليها وأهميتها؛ وإنما يوجد استعراض وإن شئت فقل: اجترار للمعلومات يورد منها ما يلزم وما لا يلزم وتكرار للأفكار والأقوال، وقد ينسى الطالب موضوع البحث فيكتب خارجا عنه، وصار من النادر أيضا أن تجد طالبا في الدراسات العليا قادرا على إنجاز بحثه بمواصفات علمية ومنهجية مقبولة⁽⁸⁾.

"وكل ذلك يشير إلى وجود فكر شبه مشلول لا يعمل حسب أصول محدّدة تملّي عليه من خلال خصائص الموضوع المطروح ومن خلال التمييز الدقيق بين ما هو ثانوي شكلي يؤثر على مسألة البحث من بعيد وبين ما هو أولي جوهري ينطلق ويرتد إلى عناصر المشكلة وإمكانات حلها..."⁽⁹⁾.

أما الآلية: فتتمثل في التذكّر الآلي والحفظ اللفظي الصمّ الذي يبتعد عن الفهم، وإذا لم يكن الحفظ في محلّه يؤدي إلى شلّ العزيمة وتنشيط الطاقة الإبداعية عند الطالب حتى إن هناك من يذهب إلى أنه كلما كثر الحفظ تقلّصت شحنات الذكاء عند الطالب وفلّت ملكات إدراكه، وقد قال "مونتaigne" : الحفظ غيبا (الاستظهار) ليس معرفة إنه وضع ما أعطي تحت حراسة الذاكرة⁽¹⁰⁾.

وأما الضحالة الفكرية: فتعني السطحية وعدم التعمّق اللغوي والفكري في المحتويات المختلفة ومدى علاقتها بالواقع المعيش فتأتي الإجابات والأبحاث متسرّعة غامضة من حيث مفاهيمها ومصطلحاتها، لم تأخذ حقّها من الشرح والتفسير وتقديم الأمثلة، وإنما تتصف بالعمومية المخلة وربما يعود ذلك إلى "ضرب من اللفظية عميق في مضمون الفكر العربي"⁽¹¹⁾.

وهذا ما يجعلنا لا نفرّق بين الأوضاع والتشابهات بين الأشياء وبين مفاهيم المصطلحات ومحتويات الخطابات المختلفة فهناك جانبان اثنان مترابطان: أولهما: الجانب التربوي: المتعلّق بالتدريس بما تقدمه الجامعة كمؤسسة للتربية والثقافة والتكوين العالي.

وثانيهما: جانب البحث العلمي: فالجامعة -على رأي جورج طعمة- لا معنى لها إذا لم تكن البحوث فيها نشطة معززة مرتبطة عضويًا بالتدريس من جهة، وبحاجات الجامعة من جهة أخرى، فبرامج التدريس ومناهجها تتطور مع نتائج البحوث⁽¹²⁾.

وإذا حدث خلل في أحد هذين الجانبين أو فيهما معا فإنه سيؤدي حتما إلى عقبات حقيقية، فما يلاحظ في أيامنا هذه مشكلتان أساسيتان هما- كما يقول أستاذنا الفاضل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:-

- مشكلة اللغة العلمية والمصطلحات.

- مشكلة الأوهام العلمية الشائعة المسلّمة.

وتتفرّع عن كل مشكلة من هاتين المشكلتين مشكلات جزئية من ذلك مثلا: عدم التمييز بين مستويين من الأداء؛ العلمي والأدبي والالتباسات الفاحشة التي نشأت عن تداخل المفاهيم؛ فقد وقع هذا الالتباس أول مرة عندما امتزجت العلوم الإسلامية بالفلسفة اليونانية، ولم يحاول المترجمون إذ ذاك التفادي من هذا المزج بين الأنظمة الدلالية؛ كترجمتهم لكثير من الألفاظ اليونانية بألفاظ إسلامية كان وضعها العلماء الأولون للدلالة على مفاهيمهم الخاصة، كما وقع هذا في عصرنا الحاضر؛ إذ كثرت النقول عن الكتب الغربية ولم يتحفظ أصحابها التحفظ اللازم.

أما الأوهام التي لا تزال حاضرة في أذهان المفكرين وخصوصا اللغويين منهم... فمنها البسيطة الساذجة التي لا يندفع بها ذوو الألباب، ومنها ما يصعب أن يكشف الخطأ فيها لاكتسائها أبهى الأكسية العلمية وظهورها بمظاهر التحري العلمي الموضوعي الدقيق وهي نوعان:

- أخطاء في الأصول المنهجية نفسها أو في تطبيقها على المبحث العلمي.

- أوهام تتعلق ببعض النظريات العامة كانت سبب الأغلاط الجزئية الكثيرة في تفسير الظواهر اللغوية⁽¹³⁾.

وهكذا فإن هشاشة التكوين التربوي على مدارج الجامعة واختلال فعل التدريس وضعف محتوياته المعرفية و عدم التركيز على ما ينفع، سيؤدي حتما إلى تخريج طلبة ينتسبون إلى الدراسات العليا والبحث العلمي وهم يعانون خصاصة واضحة في المفاهيم، مما يؤثر عليهم سلبا في التكيف مع اللحظة الكونية الراهنة، لحظة العولمة بكل قيمها وتحدياتها ورهاناتها ونظامها الكوني الجديد وثورتها المعرفية والتقنية المتجددة. بل سيعمق الهوة بينهم وبين التطور المذهل الذي يشهده مجتمع المعرفة وبخاصة في المعلومات والإعلام وأساليب الاتصال والتواصل⁽¹⁴⁾.

إن المسألة لا تتوقف هنا فحسب وإنما توجد عدة تأثيرات أخرى نتجت عنها، نجلها في العوامل الآتية:

1- مشكلة الاتصال والتبليغ والبيان:⁽¹⁵⁾

وهي مشكلة جوهرية وفي غاية الخطورة نظرا إلى أن كثيرا من الباحثين في ميدان اللغة والأدب لا يعرفون إلا لغة واحدة، وإن عرفوا لغة ثانية فبتفاوت واضح بينهم، فيحدث في المؤتمر الواحد أن تلقى المحاضرة بالعربية ولا يفهمها بعض الذين يمارسون البحث بلغة أجنبية وبخاصة في تخصص مثل اللسانيات واللسانيات التطبيقية، أو تلقى المحاضرة باللغة الأجنبية ولا يفهمها من يمارسون البحث بالعربية وهكذا.

إن من لا يملك المعرفة اللسانية الكافية ليس بإمكانه أن يمارس البحث العلمي في اللسانيات ولا في ما تفرّع عنها من فروع علمية مثل: اللسانيات التطبيقية التي تستثمر كثيرا ما تستثمر المعطيات النظرية التي تفرزها اللسانيات كعلم مستقل بذاته له موضوعه ومنهجه وأهدافه ومفاهيمه وتطبيقاته بالإضافة إلى هذا فإن الباحث اليوم مطالب بالألا يقرأ في ميدان اختصاصه فحسب، وإنما عليه أن يقرأ في

ميدان الفكر والثقافة وبخاصة مما له علاقة بالمحيط المكوّن لثقافة اختصاصه. وما نعانيه في منظومتنا التربوية باختلاف مراحلها هو تدريس كثير من المواد التعليمية معزولة عن الثقافة المحيطة بها، وذلك ما نلاحظه بوضوح في كثير من الخرجين الذين يحملون المؤهلات العلمية والمنهجية، ولكنهم بعيدون عن الفهم الواعي الفاعل لمقتضيات الحياة والمجتمع، وذلك ما أدى إلى فشل مشروعات التنمية ومنجزاتها في مجتمعنا العربي ومنه المجتمع الجزائري، لأن لدينا أمية الثقافة التي يترجمها كمّ من المتعلمين هم في الأساس يكرّسون إعادة التخلّف الثقافي برأي سليمان العسكري⁽¹⁶⁾، في ميادين كثيرة اقتصادية وسياسية واجتماعية وتربوية وعلمية.

2- النهل من الترجمة:

أدت مشكلة البيان والاتصال والتبليغ إلى النهل من الترجمة على اختلافها مما جعل الباحث العربي يتوه في زحمة الترجمات الكثيرة غير المؤسسة على منهجية واضحة وأهداف محددة يود تحقيقها، وإنما تتعلّق -غالبا- بأهواء الأفراد واهتماماتهم الخاصة، وهذا ليس معناه أننا نغطي جهود هؤلاء المترجمين ونعدم فائدتها، ولكن لا بد من الإشارة -ههنا- إلى أن كثيرا من الترجمات التي لا تقوم على منهج واضح هدفها الأساسي تجاري وإن كان ذلك مشروعا ولا بد منه فإننا بالتوازي مع الهدف التجاري نريد أن يكون الهدف العلمي كذلك.

إن الترجمة مهمة جدا وضرورة ملحة بالنسبة إلينا -ما في ذلك شك- من أجل معرفة الآخر وخلق التواصل الحضاري معه، لكن ينبغي أن نعرف ماذا نترجم وكيف نترجمه؛ لأن الباحث العربي "الذي لا يتقن اليوم لغة أجنبية يشكو من نقص الأدوات المنهجية قد لا تعوّضه الترجمات التي تأتي متأخرة في ظل غياب مشروع قومي ووطني للترجمة في الوطن العربي"⁽¹⁹⁾ بالإضافة إلى ذلك فإن المترجمين العرب لا يأخذون من لغة أجنبية واحدة، وإنما منهم من يترجم عن الإنجليزية أو عن الفرنسية وفي بعض الأحيان عن الألمانية أو الإسبانية... وهذا سيخلّف - حتما- اختلافا بل تشويشا في تلقي النصوص والنظريات والمفاهيم والمصطلحات عند الباحث العربي.

3- غربة مفهوم المصطلح وتغريبه:

نتج عن النهل من الترجمة مشكلة أخرى في غاية الأهمية وهي: الاختلاف في المصطلح العلمي، فالقارئ للخطاب العربي بشكل عام والخطاب المتعلق باللغة والأدب بشكل خاص يجده "يعجّ بمصطلحات ومفاهيم كثيرة يجهد الباحث نفسه لفهمها فيعجز أو يصل وصول غير المتأكد من دقة ما وصل إليه، ولعل السبب في هذا كون أغلب هذه المفاهيم مسوقة في صيغة لفظية لم يعهدها القارئ العربي ولا تنتمي إلى ذخيرة مفرداته لكونها قد أدخلت إلى عالمه فاحتفظت بشكلها المأخوذ من المصدر فتبدو لاتينية أو إنجليزية أو فرنسية... وذلك تبعاً للغة الناقل أو لكونها قد عربت فتبدو عربية في الظاهر لاحتوائها أصواتاً بل قل أحرفاً عربية بيد أنها لا تمت في حقيقة الأمر إلى العربية بصلة لأنها لا تعبر عن مضمونها." (18) من ذلك مثلاً ما نقرأه في بعض الكتابات اللسانية هنا وهناك: صوتم-صوتيم-صوتمية- وحدة صوتية-صرفم-صرفمية-وحدة صرفية-لفظم- وحدة لفظية-أفهوم-لسمانية. وفي بعض الكتابات النقدية مثل: سوسيوكرينتيك- سوسيونقدي- سوسيونصي- السيمانتيك- الستايل... الخ من هذه الكلمات الغريبة وكأن العربية عاجزة عن إيجاد المقابلات الذالة المضبوطة للمصطلح ويمكن أن نشير إلى أن اختلاف المصطلح لا يمثل مشكلة في الثقافة العربية وحدها، وإنما هو مشكلة عامة تعانيتها الثقافة الغربية كذلك وبخاصة في الدراسات اللسانية والنقدية غير أن حدة المشكلة ليست بالدرجة نفسها في ثقافتنا التي أهم ما يميزها أنها ثقافة بيانية مجازية تتطلب على الدوام - كما يرى علي حرب - "التفسير والتأويل فما دامت الألفاظ كتابات واستعارات، وما دامت الكلمات حقول احتمالات ينبغي أن تؤوّل والتأويل اختلاف واللغة المجازية تبرز أكثر من موقف وتتسع لمختلف الاجتهادات والآراء، وبذلك يتولّد لدينا أكثر من خطاب وبالتالي أكثر من مذهب وفرقة بحيث تكون لكل فرقة مقالاتها الخاصة وكل مذهب يعتبر خطابه معيار الحقيقة، وكل واحد يمنح خطابه صفة العمومية والشمول... وما عداه خطأ وفساد." (19)

واللافت للنظر أيضا أن مصطلحات العلوم الاجتماعية والإنسانية ومنها اللغة والأدب صارت مؤسسة على نتائج العلم مما يصعب من إدراكها وفهمها في ترجمتها إلى اللغة العربية كونها الآن لا تنتج علما وكون العقل الغربي ينتج أكثر من 90% من إنتاج العالم مما يجعل المعرفة في القرن الواحد والعشرين تتأثر بنتائج البحوث الناتجة عن الاكتشافات الجديدة في ميادين علمية مثل العلوم التقنية والبيولوجية، وهذا سيجعل الإنسان أمام أسئلة جديدة وكثيرة تريد الإجابة لأن العصر يقتضيها، وبخاصة أن الغرب قد تشابكت وقائعه وإشكالاته وكثر إنتاجه فكثرت مفاهيمه ومصطلحاته التي لا يمكن أن نواجهها ونقبلها ونفهمها بواسطة الترجمة فقط ما دمنا لا ننتج علما وفكرا وفلسفة ومصطلحات ومفاهيم حضارية خاصة بنا تميزنا عن غيرنا.

سننتقل إلى مسألة المصطلح في الدراسات المتعلقة باللغة والأدب من جانبين اثنين هما: الاختلاف في درجة تقبل المصطلح الأجنبي، وتغريب المصطلح العربي التراثي.

3-1-1- الاختلاف في درجة تقبل المصطلح الأجنبي:

نلاحظ في هذا الشأن، مصطلحات عديدة جدا باللغة الأجنبية يقابلها بالعربية ألفاظ كثيرة مما يؤدي الاختلاف في الفهم في اللغة والأدب وفي الخطابات الأخرى في السياسة والإعلام والفلسفة...والعلوم الأخرى ويمكن أن نقدم بعض الأمثلة:

3-1-1-1 مصطلح Déconstruction: يقابله بالعربية الألفاظ الآتية:

تفكيك، - تفكيكية - تشريح - تقويض⁽²⁰⁾

3-1-1-2 مصطلح Structuralisme: يقابله: البنوية - البنائية - الهيكلية -

الشكلية - البنائية - البنوية⁽²¹⁾.

3-1-1-3 مصطلح sémiotique / sémiologie: يقابله: _ السيميولوجيا -

السيميوطيقا - السيميوتيك - السيميائية - علم السيمياء - السيميائيات - علم العلامات - العلامية - العلاماتية - الدلائلية - علم الأدلة - الأعراضية⁽²²⁾

3-1-4 مصطلح Communication: يقابله: الاتصال-التوصيل-الإيصال- التواصل- الإبلاغ- التبليغ.

3-1-5 مصطلح Poétique: يقابله: الشعرية- الشاعرية- الإنشائية- علم الأدب- الإبداع الفني- فن النظم- فن الشعر- نظرية الشعر- بويطيقا- بويتيك⁽²³⁾.

3-1-6 مصطلح Situation: يقابله: وضعية- موقف- حالة- سياق- سياق الحال- سياق الموقف- حال الخطاب- مقام.

3-1-7 مصطلح Code: يقابله: شفرة- نظام الرموز- قانون- سنن- عقد- ربط- اتفاق- كود- وضع- مواضعة.

أوردت هذه المصطلحات على سبيل التمثيل فقط، إذ لا يمكن حصرها وتدقيقها إلا من خلال فرق بحث من المختصين.

إن الاختلاف يتعدى اللفظة منفردة معزولة عن سياقها وإنما يحصل أيضا في مفهومها وتعريفها وشروحها وما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة في الخطاب العربي.

3-2- تغريب المصطلح التراثي: أو إن جاز القول إهماله من لدن بعض الدارسين؛ وربما لأنهم لا يدركون كنه العربية في مصادرها ومطائنها التراثية، فقد أصبح التعامل مع المصطلح التراثي وكأنه مصطلح غربي لا دخل للحضارة العربية به، وليست له جذور فيها، من ذلك مثلا:

3-2-1 مصطلح مقام: Situation: فمع أن الكلمة شائعة الاستعمال في لغتنا العربية إلى الدرجة التي أصبحت فيها مثلا متداولاً: لكل مقام مقال" فإننا نجد من المترجمين من يأتي بكلمات أقلّ منها تأدية وتعبيراً عن المفهوم كما في الأمثلة السابقة؛ والأمر نفسه بالنسبة لكلمة وضع ومواضعة في مقابل Code. ثم تأخذ طريقها بعد ذلك إلى الخطاب التعليمي، و ما ينجزه الدارسون من أبحاث مختلفة.

3-2-2 مصطلحا مرسل ومرسل إليه Emetteur / Récepteur: كثيرا ما يقدم هذان المصطلحان من خلال نظرية التبليغ منسوبين إلى "ياكسون" على أنهما

مصطلحان جديان عرفتهما الدراسات العربية الحديثة من خلال احتكاكها بالغرب، والحقيقة ليست كذلك؛ فقد استعملهما -في حدود ما أعلم- القلقشندي (ت821هـ) في كتابه: "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"⁽²⁴⁾ بقوله: "[...] بقلم اصطلاح عليه كل من المرسل والمرسل إليه لا يعرفه غيرهما"⁽²⁵⁾.

ثم إن نظرية التبليغ أو التواصل أو كما تسمى أحيانا نظرية الخطاب تُقدّم هي الأخرى على أنها اكتشاف جديد في المعرفة اللغوية لا قبل للعربية بها، وتُقدّم معزولة عن التراث اللساني والبلاغي والنقدي العربي القديم، ومن الدارسين من يراها نظرية غربية خالصة. إننا لا ننكر جهود الغربيين واستفادتنا الحقيقية من أبحاثهم ونتائج أعمالهم، ولكن علينا أن نعمل على وضع القضايا أو الأشياء في نصابها ونعطي ما لزيد لزيد وما لعمر لعمر وما إليهما معا لهما معا.

فلا يمكن أن نغفل - في هذه المسألة - آراء "سيبويه" (ت180هـ) و"الجاحظ" (ت255هـ) و"ابن جني" (ت392هـ) و"أبي حيان التوحيدي" (ت414هـ) و"عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) و"السكاكي" (ت626هـ) و"حازم القرطاجني" (ت694هـ) و"ابن خلدون" (ت808هـ)؛ "حازم القرطاجني" مثلا قد انطلق من التأثير المتبادل بين المتخاطبين مركزا على الخطاب الشعري مبرزاً أنه يختلف باختلاف أنحاء التخاطب ومذاهبه مبينا نوعية الحيل المتضمنة فيه والجهات التي من خلالها تنهض النفوس ومنها " ما يرجع إلى القول نفسه أو ما يرجع إلى القائل أو ما يرجع إلى المقول له"⁽²⁶⁾.

فقد استعمل "حازم القرطاجني" مصطلحات متميزة ، ولكأني به ينطلق من نظرية في القول خاصة هي أشبه ما تكون بنظرية الحديث في زماننا. إن إنهاض النفوس -بتعبير "حازم القرطاجني" - وردود الأفعال التي يثيرها المخاطب مصدرها:

- حيل يقوم بها القائل نفسه وتتمثل في جملة الأساليب والتقنيات التعبيرية التي يستعملها في أقواله بما أنه هو العنصر الذي يتقدم بقية العناصر الأخرى وهو مصدرها الأساس.

- أما القول فهو ما يصدره القائل.
 - والمقول فيه؛ ويتمثل الموضوع الذي يدور عنه القول ومحتوياته.
 - المقول له؛ ويمثله الطرف الذي يوجّه إليه القول، وبهذا يكون "حازم القرطاجني" قد أشار إلى كلّ المكونات التي يبنى عليها القول باعتباره نشاطا تبليغيا، كما نلاحظ، أنه قد استعمل الخطاب مرة والقول مرة أخرى ولكأنني به يودّ أن يبيّن لنا وجود فرق بينهما، فالخطاب يقابل المصطلح الأجنبي discours والقول يقابل énoncé فيما أرى⁽²⁷⁾.
- 3-2-3 الحديث عن التأويل: يتم تناوله في كثير من الدراسات اللغوية والنقدية العربية المعاصرة انطلاقا مما كتبه النقاد الغرب دون محاولة ربطه بجهود العلماء العرب القدامى في هذا الميدان؛ فيتم الحديث عن أعلام غربيين كثيرين أمثال: "أمبورتو إيكو" و"ميلان كونديرا" و"فرانسوا راستي" و"بول ريكور" وغيرهم. إن هذا محبّذ وجميل ولا نرفضه، بل نعزّزه وندعمه ولكن لا يمكن إهمال المقولات والجهود العربية في هذا المجال مثلا:
- في تحديد مصطلح "تأويل" لا يمكن برأيي الخاص، إغفال آراء "الموردي" فقد قدّم على نحو مدهش تفسيراً لغوياً للتأويل مفاده أن التأويل لا يرجع إلى تفاوت فطر الناس وتباين قرائحهم على الفهم ... وإنما يكمن بالدرجة الأولى في طبيعة الكلام نفسه، فالتأويل حسب "الموردي" قائم في القول وإمكان تقتضيه اللغة، أي يقتضيه الدال وليس المدلول، وإذن فالدال يصنع المدلول والبياني يصنع المعرفي...⁽²⁸⁾.
- فقد نما وترعرع مصطلح التأويل في بيئة عربية إسلامية محورها الأساسي النص القرآني والدراسات اللغوية والنحوية والفقهية... التي تناولته ولذلك فإنّ لهذا المصطلح تميّزه وأصالته وهويته داخل فضاءه المعرفي العربي القديم وله علماءه ورواده. نكتفي بهذه الأمثلة القليلة، لأن القضية تحتاج إلى أبحاث خاصة.

4-الانفتاح اللّواعي على النظريات اللسانية والنقدية الغربية ومناهجها:

تختلف درجة الانفتاح بين اللسانيين والنقاد العرب على النظريات الغربية الحديثة وكيفية الاستفادة منها، ولا بد من التأكيد على أن الاستفادة من النظريات والمناهج الغربية مشروعة وضرورة تحتمها اللحظة الحضارية التي نعيشها، لكن يجب أن ننتبه إلى أن هذه النظريات والمناهج يتم إنتاجها ضمن زخم ثقافي وفكري وعلمي خاص بها، وفي إطار سياقات معرفية وفلسفية محدّدة، وبغية تحقيق أهداف معيّنة بالنظر إلى المجتمعات التي أنتجتها وعاشت مخاضها، وبالنظر إلى اللغة التي كتبت بها والنصوص التي طبقت عليها، فلا يكون انفتاحنا عليها لا مشروطاً ومرتها أبداً بمرجعياتها المختلفة.

إن مقولات المناهج الغربية ومعطياتها ليست أبداً مجرد خطوات إجرائية مفصولة نهائياً عن خلفياتها المعرفية المؤطرة لها، وإنما تمتد جذورها لترتبط بروى فكرية مخبوءة لا مرئية تشكّل أسسها المعرفية التي من دونها يفقد المنهج قدرته وفعاليته، فكلّ منهج يصدر عن خلفية أو مرجعية فكرية إما صريحة أو ضمنية، والوعي بها شرط أساسي في الانفتاح عليها والقدرة على التحكّم السليم في استعمالها.⁽²⁹⁾

وبناء على هذا، لا بد من توفر الوعي النقدي القائم على إدراك الفوارق بين الأوضاع في ما يتعلّق بالأداء التربوي على مدارج الجامعة، وفي ما يتعلّق بالبحث أيضاً. ففي غياب مثل هذا الوعي لدى المدرّس ولدى الباحث يفقد كل انفتاح مشروعيته المعرفية ليصبح اختراقاً فكرياً يطمس هوية الأنأ، ويكرّس تبعثها للآخر، كأخطر مظهر من مظاهر الاستعمار الثقافي الجديد متناسين أنه "لكي نفتح لا بد أن نكون أولاً"⁽³⁰⁾.

وبهذا صار الباحث العربي في ميدان اللسانيات والنقد وحتى في ميادين أخرى علمية وتكنولوجية واجتماعية وإنسانية يجد نفسه أمام كمّ هائل من الأقوال والآراء اللسانية وأسماء الأعلام الغربيين وهو يشتغل على النصوص المختلفة منطلقاً من نظرية لسانية أو نقدية معيّنة ومطبّقاً أحد مناهجها، فيؤدي به ذلك إلى تغييب النص

والبعد عن فهمه وتحليله، أو يعمل على تطويعه قسريا للمقولات النظرية والمنهجية الغربية غصبا دون الرضى بما يشبه الولادة القيصرية، فتأتي النتائج بناء على ذلك مثيرة للأسئلة والشكوك وأحيانا الاستغراب، فكثيرا ما يتمّ الحديث مثلا عن تطبيق المنهج البنوي أو السيميائي أو التداولي في دراسة النصوص والبحث فيها، ويكون ذلك بطريقة متشابهة وكأنه تطبيق لمنهج واحد ولا توجد فروق بين هذه التطبيقات ولا تتغيّر إلّا بـ "تنوّع النصوص المدروسة"⁽³¹⁾.

كما يتم الانتقال من هذا المنهج إلى ذلك دون ضوابط ومبررات مقنعة ودون تمثّل للمنهج المنتقل منه ووعي كاف بالمنهج الجديد المنتقل إليه، وكأن الأمر يأخذ شكل الموضة كما هو الشأن في الحلاقة وعرض الأزياء...

لقد أوقعنا هذا في كثير من المطبّات وكثير من السطحية والسهولة التي أبعدتنا عن "طرح الإشكاليات الأساسية الكبرى والحساسة المرتبطة بحقيقة هذه المناهج التاريخية والحضارية في علاقتها بواقعنا الراهن."⁽³²⁾

ثالثا : تصور مقترح:

من خلال ما تقدّم عرضه عن علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب، يمكن أن نصل إلى بعض الاقتراحات التي من شأنها أن تعيننا في تقديم تصوّر مقترح إسهاما في حلّ الإشكالات الكثيرة التي تمّ عرضها، وهي كما رأينا كثيرة ومتنوّعة ومتشابهة وعابرة لمجالات معرفية متعددة ويتمثّل هذا التصوّر في الاقتراحات الآتية:

- 1- أن تصبح **مادة علم المصطلح** مقرّرة في جميع الفروع العلمية والتكنولوجية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ومنها اللغة والأدب، في الجامعة الجزائرية، إلى جانب مواد لغوية أخرى مهمّة في نظري؛ مثل تعليمات اللغة وعلم التأثيل وعلم الدلالة وصناعة المعاجم ومناهج البحث والتيارات الفكرية...ولما لعلم المصطلح من أهميّة في بناء المعرفة وترسيخها وإجادة استثمارها في واقع استعمالها⁽³³⁾.

فتعدّ المصطلحات وسيلة أساسية لتنمية التفكير العلمي وتوجيهه الوجهة الصحيحة بما يخدم المتعلّم الجامعي وكذا الباحث، ويلبي حاجاتهما ويناسب إمكاناتهما، وتشكّل مدخلا منهجيا فعّالا لاكتساب الملكات الوظيفية المؤهلة لحل المشكلات المختلفة في التدريس والبحث، وتمكّن من التفكير العلمي الموضوعي القائم على الدليل والبرهان والمنطق السليم وإدراك العلاقات الرابطة بين الظواهر في أقل وقت ممكن⁽³⁴⁾.

ولهذا فلا بد -على رأي أستاذنا الفاضل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح- من تكوين اختصاصيين في علم المصطلحات والترجمة المتخصصة، من أجل سد فراغ مهول وخطير يعانيه وطننا العربي بصفة عامة وبلدنا الجزائر بصفة خاصة وإن هذا التكوين لا يعني تكوين تراجمة فقط بل اختصاصيين في علم المصطلح، ومن ثم اختصاصيين في علوم اللسان التطبيقية... وإنا لمقتنعون بأن هذا النوع من التكوين على مستوى واسع هو مفتاح الحل لكثير من الإشكالات المطروحة.⁽³⁵⁾

ولعلنا بهذا نساهم في تكوين خريج المستقبل وإعداده من جامعة المستقبل بالنظر إلى التغير السريع في مسيرة العالم في شتى مجالات الحياة⁽³⁶⁾. ويستحسن أن يكون المحتوى الخاص بهذه المادة مراعيًا لجانبين اثنين هما:

الموروث الحضاري العربي القديم والرؤيا المستقبلية:

فقد اهتم العلماء العرب القدامى بالمصطلح وأثره في التواصل العلمي فضمنوا كثيرا من كتبهم مداخل مختصرة خاصة بمفاهيم المصطلحات المستعملة وهذا لأن معرفة المصطلح كما قال "الفلقشندي": "هي اللازم المحتّم والمهم المقدّم لعموم الحاجة إليه واقتصار القاصر عليه. إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يصاب بها طريق المصنّع..."⁽³⁷⁾، وكما قال "الشاهد البوشيخي" إن العلوم كلّها في حاجة: "إلى تاريخ أمين دقيق، تاريخ ينطلق واصفا الجزئيات ثم يتدرّج راصدا التطوّرات، ثم يقف مستخلصا الكلّيات، تاريخ يقوم على العلوم وعلى المصطلحات المدقّقة والفهوم الممحصّة المحقّقة، تاريخ يقام فيه لكل علم عموده وتضبط فيه لكل علم حدوده، ويتبلور فيه نسق كل علم وجوده، تاريخ يتحدّد به الرصيد ويعرف به

القديم من الجديد ويكون حجر الأساس لكل بناء جديد. إنه التاريخ المنتظر للعلوم في تاريخنا الطويل العريض.⁽³⁸⁾

تعدّ فكرة "الشاهد البوشيخي" -هنا- على درجة كبيرة من الأهمية لأنه يتحدث فيها عن الأصول النظرية والأسس المعرفية المكوّنة للعلم؛ أيّ علم ومنه علم المصطلح.

وإذا دققنا النظر أكثر وجدنا أن ما تعانيه منظومتنا التربوية العربية والجزائرية يكمن في كوننا لا نركّز في التدريس والبحث على المبادئ والأسس والأصول التي تنشأ فيها المفاهيم والنظريات، فينكّون لنا أستاذ أو باحث يعاني القطيعة مع الأصول المرجعية للعلم أو المعرفة التي يشغل بها، ولا يدرك علاقتها وحدودها الفاصلة مع العلوم والمعارف الأخرى. وإن مفتاح التراث هو مصطلحاته، وإنّما تؤتي البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته.

وإن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات من أجل تجديد بناء التراث، ذلك بأن الأمة تحتاج من أجل تجديد ذاتها إلى تفصيل عناصر القوة ومعرفة مقدار ذخيرتها ونوعها لتوظيفها والاستفادة منها، وتعرف وجوه النقص فيها لتقويمها وتكميلها، وعلى أساس ذلك يتمّ بناء مصطلح الغد الذي تتلخّص علاقته بمستقبل الذات في ثلاث ضرورات هي:

- ضرورة الإبداع المصطلحي لبناء مستقبل الذات.
- ضرورة الاستقلال المصطلحي ولا يكون ذلك إلاّ باستقلال مفهوم المصطلح.
- ضرورة التفوّق المصطلحي كمّاً وكيفاً ولا تفوّق للمصطلح بغير تفوّق أهله⁽³⁹⁾.

إن الرؤيا المستقبلية تحاول أن تربط علاقات نسب ووشائج قربي مع الآخر وتؤسّس تواصلاً علمياً فعالاً معه في إطار ما يقتضيه عصرنا من تبادل للمصطلح والمنافع بتوظيف العلم والتعليم في المجالات المختلفة ولا توظيف ولا استثمار ولا إبداع إلاّ بإجادة الفهم والاستيعاب والتمثّل والتقويم لما أنتج وما يستنتج.

2- أما طريقة تبليغ المصطلح: فيمكن أن تراعي العوامل الآتية:

1-2- الأسس المعرفية للمصطلح أو تقديم المصطلح في مقامه:

يعدّ المصطلح إفرأزا للمعرفة وأداة لها في الوقت نفسه، والارتباط بينهما يمثل علاقة لزوم لا انفصام لها ولا بد منها، ويمكن أن نلاحظ في هذا الإطار أن تطوّر المعرفة مرتبط هو أيضا بتطوّر المصطلح⁽⁴⁰⁾.

ولهذا فلا بد من لفت أنظار الطلبة والباحثين إلى أن المصطلحات تنشأ وتترعرع في فضاء معرفي خاص بها، وتشكّل مفاهيمها بالنظر إلى الأصول النظرية والأسس المعرفية التي تحيط بها، ولذلك فإن محاولة استكشاف السياقات الاجتماعية والثقافية والحضارية التي تولد فيها الأنظمة المصطلحية والمفاهيمية سيجعلنا نفرّق بين الوجوه والفروق، ونصل إلى حقيقة مفهوم المصطلح في علمه ولغته. فهناك عوامل ثقافية تخبّوها مفاهيم المصطلحات ومعرفتها تسهّل نقلها من لغة إلى لغة أخرى وتساعد في إجابة توظيفها واستثمارها، فتوجد عبارات أو مفردات تستعصي على الترجمة وقد يكون لها تاريخ في ثقافتها ومن غير الممكن فصلها عنه، وإنّما يتجلى في استعمالاتها السابقة، وهكذا فإن النظام اللغوي وحده غير كاف لنقل المصطلح من لغة إلى أخرى، وإنّما تحتاج -إلى جانب معرفة النظام اللغوي- معرفة النظام الثقافي كذلك.

فاللغة هي الوسيلة الأساسية في عمليات الهوية وتحديدتها والتعرّف على الذات الفردية والجماعية وقواسمها المشتركة مثل: التاريخ والدين والمصير المشترك، والآمال والطموحات والتحدّيات المنتظرة...

إن لكل مصطلح نشأة ونموا وتطوّرا مثله مثل الكائن الحي، وهذا إذ يصنع لنفسه بذلك تاريخا فإنّه يؤرّخ ضمنا لحركة الفكر البشري ومراحل تطوّره؛ فهو جزء حيوي في هذه البنية التاريخية النامية المتطوّرة، وإذا كان ماضي الزمن يجعل تحديد دلالاته وحصرها إشكاليا فليس ذلك إلّا للثراء الدلالي الذي يكتسبه عبر مراحل تطوّره من ذلك مثلا:

-مصطلح "الاستعارة":في الخطاب النقدي العربي القديم وتطوّره منذ اليونان والبلاغيين الرومان حتى عصرنا الحالي، فتوجد كتابات كثيرة عنه قديما وحديثا ما يكفي لمجلدات إن جاز التعبير⁽⁴¹⁾.

-وإن مفهوم البيان مثلا؛ قد نشأ وترعرع في أحضان حقل معرفي بلورته العلوم العربية الإسلامية الاستدلالية الخالصة المتمثلة في النحو والفقه وعلم الكلام والبلاغة، وبخاصة "علماء البيان" من لغويين ونحاة وبلاغيين وأصوليين ومتكلمين سواء أكانوا معتزلة أم حنابلة أم ظاهريين فهؤلاء جميعا باحثون مختصون صاغوا مفاهيم الحقل المعرفي الذي ينتمون إليه وهو حقل البيان⁽⁴²⁾.

ولا بد من الإشارة إلى أن البحث في مفهوم البيان يعدّ من الأعمال الأساسية التي أسهمت في نقل الثقافة العربية الإسلامية من نطاق المشافهة والرواية إلى نطاق الكتابة والدراسة⁽⁴³⁾.

ولقد اشترط العلماء العرب القدامى " أن يقوم المصطلح وينشأ داخل فضاء خاص يتولى ابتكاره وصياغته علماء مختصون وباحثون في ظل حقل معرفي معيّن"⁽⁴⁴⁾.

وقد ارتبط هذا بمشروع تأصيل المعارف الإسلامية وتوثيقها، فقرّروا أن يعتمد على العرف الخاص وأهل العرف هم الذين لهم الحق في وضعه وتغييره إذا لم يف بمقتضيات الدلالة على مسماه⁽⁴⁵⁾.

إن البيان كلمة لها تميّزها وتفرّدها وخصوصياتها في التراث العربي ولا أعتقد أننا نجد الكلمة المناسبة التي تتسع للدلالة على مفهوم البيان، باللغات الأجنبية بسهولة، فربّما لا توجد.

2-2 -تقديم المصطلح في موضعه وسياقه النصي:

بعد هذا يبقى لعلم المصطلح نظامه اللساني الخاص الذي يحكم بنيته اللغوية الداخلية، ولذلك يعدّ المصطلح كلمة أساسية يجب أن يقدّم في موضعه من السياق اللغوي الذي يرد فيه، فتساعد في تجلية معناه وتوضيحه وفهمه، دون أن ننسى العناصر الرابطة بين البنيات اللغوية المختلفة وما تؤدّيه من وظيفة، مثل أدوات

العطف والجر والضمائر وأسماء الإشارة... وهذا يكون من خلال الدراسة النصية للمصطلح التي نعدّها مع "الشاهد البوشيخي" هي الركن وعمود منهج الدراسة المصطلحية، فما قبله يمهّد له، وما بعده يستمد منه، إذا أحسن فيه يوركت النتائج، وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه لم تفُض الدراسة إلى شيء يذكر⁽⁴⁶⁾.

إن النصوص هي المادة الخام التي يجب الانطلاق منها لدراسة المصطلحات وما تحمله من معلومات تتجلى من خلال القرائن المقالية والحالية، وكل ذلك يتم من خلال تقديم المصطلح في سياقه النصي بغية الوصول إلى القبض على المفهوم وفهمه وتمثّله، وذلك من خلال دراسة النتائج التي تمّ استخلاصها وفهمها من النصوص، وما اتصل بها من توضيح للمفاهيم والتصورات وذلك بـ:

2-2-1 تقديم المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي المراد تعليمه وتحديد نوعه مع مراعاة الدقة والوضوح والاقتصاد من حيث اللفظ والإحاطة بكل العناصر والسمات الدلالية المكوّنة له.

2-2-1-1 تقديم الصفات المميّزة للمصطلح: وتتمثّل في:

2-2-1-2 - الصفات المصنّفة: وهي جملة الخصائص المحدّدة لطبيعة المصطلح في الجهاز المصطلحي الذي ينتمي إليه، كالوظيفة التي يؤديها في نظامه والموقع الذي يحتله بالنظر إلى هرم مفاهيم المصطلحات الأخرى، مما يساعد المتعلّم على تنظيم خطة الدرس ويوضح له مستوى الإتقان الذي يحققه المتعلّم في استيعاب مفهوم المصطلح.

2-2-1-3 - الصفات المبيّنة: وهي جملة الخصائص والسمات التي تحدّد المصطلح من خلال اتساعه وضيقه ومدى فعالية اصطلاحيته أو ضعفها.

2-2-1-4 - الصفات الحاكمة: وهي جملة الصفات التي تقرّر حكماً على المصطلح، من سلبيات وإيجابيات يميّز بها عن غيره، وكذلك البحث في العلاقات بين مفهوم المصطلح وغيره من مفاهيم المصطلحات الأخرى، فهناك علاقات ترتبط بمدرسة أو اتجاه أو بمنظومة اصطلاحية ما أو بباحث .

وهناك علاقات من نوع آخر مثل:

علاقات الاختلاف كالتضاد، أو علاقات الائتلاف كالترادف والعطف، أو علاقات التداخل والتكامل مثل العام والخاص والأصل والفرع، فإذا عرف المتعلّم والباحث جملة العلاقات الواصلة لمفهوم المصطلح بسواه أو الفاصلة له عن سواه تمكّن من إدراكه وفهمه وتمييزه⁽⁴⁷⁾.

رابعاً: خلاصة الحديث:

اخترت أن أقدم جملة هذه الأفكار التي طالما شغلتنني وبخاصة في أقسام اللغة العربية وآدابها، واشتغالي بالتدريس والبحث لبعض المواد المقرّرة فيها وملاحظة ما يعانيه الباحث والمدرّس والطالب في الوقت نفسه من صعوبات أهمها ما تعلّق بالمصطلح والمنهج.

إن المسألة تحتاج إلى ذخيرة كافية ودربة جيّدة في التعليم أولاً وفي البحث ثانياً، بغية الإسهام في تحقيق الجودة النوعية للتعليم العالي والبحث العلمي في بلادنا، وذلك يحتاج إلى ذاكرة وقادة تدرك ماضيها بعين نقّادة وتحاول استشراف مستقبلها بموضوعية بعيدة عن العواطف والأهواء.

- 1- انظر د/ محمود فهمي حجازي- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص، 19، 20.
- 2- انظر المرجع نفسه ص 24.
- 3- تترجم كلمة "مفهوم عادة بالمصطلح الأجنبي **concept** ولكن يبدو أن هذا المقابل الأجنبي يصلح لكلمة "تصور" أكثر من "مفهوم".
- 4- أحمد بوحسن- مدخل إلى علم المصطلح، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 61/60 سنة 1989، ص، 84.
- 5- انظر- محمد إقبال عروي- من بنود الاصطلاح في التراث العربي الإسلامي- مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد 23/22، أكتوبر 1988، الإمارات العربية المتحدة، ص، 16.
- 6- د/ خولة طالب الإبراهيمي- من الثانوية إلى الجامعة، بين التدريس والموقف من المعرفة، جامعة تبحث عن نفسها، طلبة أم تلاميذ؟ أعمال ندوة الجامعة اليوم، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية- ماي 1998، ص 63.
- 7- د/ خير الله عصار- مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية - ج 1- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص، 27.
- 8- لا نعم الحكم وإنما يوجد طلبة جيّدون ولكنهم قليلون قليلون.
- 9- د/ خير الله عصار- مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية ص، 28.
- 10- انظر عارف عبد الغني- الطرق الديداكتيكية (محاولة في التصنيف)، المجلة العربية للدراسات التربوية والنفسية- عدد 11/سنة 1990، المغرب، ص، 17.
- 11- د/ خير الله عصار- مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية ص، 22.
- 12- انظر، د/ ثريا ملحسن- منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، دار الكتاب اللبناني- ص، 10.
- 13- انظر، د/ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2007، ص، 11، 12، 13، 14، 15.
- 14- انظر، د/ مصطفى محسن، التربية وتحولات عصر العولمة، مدخل للنقد والاستشراف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 1/ سنة 2005، ص، 7، 8.
- 15- انظر، د/ مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث- ط 1، 1988، ص، 40.

- 16- انظر، د/ سليمان العسكري، التعليم والثقافة: العلاقة الغائبة، مجلة العربي، عدد190، سنة 1999، ص، 18 وما بعدها.
- 17- د/ محمد خير البقاعي -تلقي بارت في الخطاب العربي النقدي واللساني والترجمي، كتابه "لذة النص" نموذجاً -عالم الفكر -المجلد السابع والعشرون- العدد الأول سنة 1998، ص، 27.
- 18- د/ خالد محمود جمعة، اللسانيات ولغة الأدب، مجلة علامات في النقد، ديسمبر 1994، ص، 118، 119.
- 19- علي حرب، الحقيقة والمجاز، نظرة لغوية في العقل والدولة، مجلة دراسات عربية ، عدد 6، سنة 1982، ص، 61.
- 20- اقترح مصطلح التفويض الدكتور عبد المالك مرتاض بدلاً من تفكيك وتفكيكية وتشريح، انظر مجلة علامات في النقد ج34، المجلد التاسع، ص، 275، ولا بد من الإشارة ههنا إلى أن الأستاذ عبد المالك مرتاض كثيراً ما يقترح بعض المصطلحات مثل: اللسانياتي ويعني به المشتغل باللسانيات le linguiste، وله استعمالات لغوية أخرى لعلها تصلح أن تكون دراسة مستقلة.
- 21- رسخ هذا المصطلح في استعمالات معظم اللسانيين والنقاد الجزائريين وبعض العرب، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، مؤسس المدرسة الخليلية الحديثة في علوم اللسان، والقارئ لخطاب عبد الرحمن الحاج صالح اللساني يجده يتميز حقيقة بـ"فقه المصطلح".
- 22- انظر، د/ عبد الله بوخلخال، السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث: النشأة والمفهوم والتعريف، ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول: السيميائية والنص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، سنة 1995، ص، 74 وما بعدها.
- 23- انظر حسن ناظم ، مفاهيم في الشعرية- دراسة في الأصول والمناهج والمفاهيم- المركز الثقافي القومي، بيروت، 1994، ص، 14.
- 24- يعد هذا الكتاب -في نظري- مؤسساً لما يسمى في عصرنا بلغة التخصص la langue de spécialité .
- 25- انظر-محمد حسن مراياتي، ويحي مير علم، ومحمد حسن الطيان، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، ج1، دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، مجمع اللغة العربية، دمشق، دار طلاس، 1988، ص، 31.
- 26- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- ط2، 1981، ص، 346.

- 27- انظر، بشير إبرير- توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، دكتوراه الدولة مخطوطة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، سنة 2000/1999، الفصل الأول الخاص بالنظرية التبليغية عند العلماء العرب القدامى.
- 28- علي حرب، الحقيقة والمجاز، نظرة لغوية في العقل والدولة، ص، 47.
- 29- انظر، عبد العالي بوطيب، إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد السابع والعشرون ، العدد1، سنة 1998، ص، 13.
- 30- المرجع نفسه، ص، 13.
- 31- انظر المرجع نفسه، ص، 14.
- 32- المرجع نفسه، ص، 14.
- 33- تم إدراج مادة علم المصطلح على طلبة اللغة العربية وآدابها في الدفعات الممتدة من سنة 1999 إلى سنة 2002، وكانت لها فائدة كبيرة ونفع واضح بالنسبة للطلاب، ولكن واجهتها صعوبات كبيرة أهمها من يدرس هذه المادة ... فالجامعات الجزائرية تفتقر إلى هذا النوع من الاختصاصيين الأمر الذي أدى إلى إبعادها من المقرر بعد ذلك مع مواد أخرى مهمة مثل: لغة التخصص، وتقليص الحجم الساعي بقرابة 80% لمواد أخرى مثل: اللسانيات التطبيقية والتعليميات، وللأسف تم تفضيل مواد أخرى أقل فائدة ونفعا...
- 34- انظر، المركز الوطني للوثائق التربوية، الكتاب السنوي الأول، تعليمية المواد العلمية سنة 1998، الجزائر ، ص، 174، 171.
- 35- انظر-للمزيد من التفاصيل- د/ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2007، ص، 372، وما بعدها.
- 36- انظر، مصطفى محسن -مذكور سابقا- ص، 205.
- 37- الفلقشندي - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، د/ يوسف علي الطويل، ط1، دار الفكر، دمشق، 1987، ج1، ص، 31.
- 38- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات، مجلة الفيصل، عدد307، سنة 2002، ص، 18.
- 39- انظر المرجع نفسه، ص، 21.
- 40- انظر، د/ عز الدين إسماعيل، جدلية المصطلح الأدبي- مجلة علامات في النقد، ج8، المجلد 2، سنة 1993، ص، 113.
- 41- انظر المرجع نفسه، ص، 125 / 126.

- 42- انظر، محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، 1996، ص، 13.
- 43- انظر المرجع نفسه، ص، 13، 14.
- 44- محمد إقبال عروي، من بنود الاصطلاح في التراث الإسلامي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعية المآجد الثقافية، العدد 22، 23، أكتوبر 1998، الإدارات العربية المتحدة، ص، 15.
- 45- انظر المرجع نفسه، ص، 15.
- 46- انظر الشاهد البوشيخي، المرجع المذكور سابقاً، ص، 23، 24.
- 47- انظر كلا من: الشاهد البوشيخي، المرجع المذكور سابقاً، ص، 23، 24. وجودت أحمد سعادة ومحمد يعقوب اليوسف، تدريس مفاهيم اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1988، ص، 109، وما بعدها.

المراجع:

- 1- أحمد بوحسن-مدخل إلى علم المصطلح، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد61/60 سنة 1989.
- 2- عبد الله بوخلخال، السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث: النشأة والمفهوم والتعريف، ضمن أعمال ملتقى الدولي الأول: السيميائية والنص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، سنة 1995.
- 3- بشير إبرير- توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، دكتوراه الدولة مخطوطة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، سنة 2000/1999.
- 4- ثريا ملحسن- منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، دار الكتاب اللبناني.
- 5- حسن ناظم ، مفاهيم في الشعرية- دراسة في الأصول والمناهج والمفاهيم- المركز الثقافي القومي، بيروت، 1994.
- 6- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- ط2، 1981.
- 7- خالد محمود جمعة، اللسانيات ولغة الأدب، مجلة علامات في النقد، نادي جدة الأدبي، المملكة العربية السعودية ، ديسمبر 1994.

- 8- خولة طالب الإبراهيمي- من الثانوية إلى الجامعة، بين التدريس والموقف من المعرفة، جامعة تبحث عن نفسها، طلبة أم تلاميذ؟ أعمال ندوة الجامعة اليوم، مركز البحث في والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية- ماي 1998.
- 9- خير الله عصار- مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية - ج1- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 10- سليمان العسكري، التعليم والثقافة الغائبة، مجلة العربي، عدد190، سنة 1999.
- 11- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2007.
- 12- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات، مجلة الفيصل، عدد307، سنة 2002.
- 13- عبد العالي بوطيب، إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد السابع والعشرون ، العدد1، سنة 1998.
- 14- عارف عبد الغني- الطرق الديدانتيكية (محاولة في التصنيف)، المجلة العربية للدراسات التربوية والنفسية-المغرب، عدد 11/سنة 1990 .
- 15- / عز الدين إسماعيل، جدلية المصطلح الأدبي- مجلة علامات في النقد، نادي جدة الأدبي، المملكة العربية السعودية، ج8، المجلد 2، سنة 1993.
- 16- علي حرب، الحقيقة والمجاز، نظرة لغوية في العقل والدولة، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة-بيروت- لبنان، عدد 6، سنة 1982
- 17- القلقشندي - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، د/ يوسف علي الطويل، ط1، دار الفكر، دمشق، 1987.
- 18- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث-ط1، دار طلاس- دمشق- سوريا 1988.
- 19- محمد إقبال عروي- من بنود الاصطلاح في التراث العربي الإسلامي -مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد22/23، أكتوبر 1988.
- 20- محمد حسن مراياتي، ويحي مير علم، ومحمد حسن الطيان، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، ج1، دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، مجمع اللغة العربية، دمشق، دار طلاس، 1988.
- 21- محمد خير البقاعي -تلقى بارت في الخطاب العربي النقدي واللساني والترجمي، كتابه "لذة النص" نموذجاً -عالم الفكر -المجلد السابع والعشرون-الكويت، العدد الأول سنة 1998.

- 22- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، 1996.
- 23- المركز الوطني للوثائق التربوية، الكتاب السنوي الأول، تعليمية المواد العلمية سنة 1998، الجزائر.
- 24- محمود فهمي حجازي-الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- 25- / مصطفى محسن، التربية وتحولات عصر العولمة، مدخل للنقد والاستشراف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1/ سنة 2005.

خالد بن عبد الكريم بسندي
قسم اللغة العربية
جامعة الملك سعود - الرياض
المملكة العربية السعودية

المصطلح اللساني عند الفاسي الفهري

ملخص

المصطلح مفتاح العلم و قول القائل: لا مشاجة في الاصطلاح يحتاج إلى فصل تأمل، لأن المصطلح أحدي مشكلات العمل اللغوي أمام المتخصص و القارئ العادي. نظرا للتعدد و التداخل بين المصطلحات عند ذوي الصناعة أنفسهم و من العبث ان ينفرد شخص ما بمسألة وضع المصطلح، لانه مشروط بالإجماع. يحاول ما البحث دراسة المصطلح عند الفاسي الفهري و بيان أبعاده الصيغية و التركيبية و الدلالية و يسلط الضوء على تعدد مدخل مصطلح "نحو" في كتب الفهري.

1-المصطلح: الأسس، والضوابط،
والمنهجية:

1-1- الأسس

بنى الفهري⁽¹⁾ مصطلحاته التي
أوردها في كتبه ومقالاته، وضمنها
معجمه على النقاط التالية:

1) أن واقع المصطلح العربي
الحالي يتجه إلى خارج اللغة
العربية، إلى الترجمة والتعريب
أكثر مما يتجه إلى التوالد من
الداخل. مع أن واقع نقل
المصطلح اللساني إلى العربية
متغاير مع هذا القول؛ لأن عدد
المصطلحات المترجمة (بوضع

Abstract

One of the obstacles facing researchers and students is the problem of terminology; and understanding The terms of any field of study is the Key to comprehending that subject. The accuracy of the famous saying: "Terminology ought to be incontestable" can be called into question, for scholars have used variant definitions for specific terms, be it because the scholars specialized in different fields of study or because they followed varying methodologies. This paper will attempt to study the linguistic terms as seen and used by Al - Fasi Al - Fihri, and how he studied the forms of these terms, their structures and their meanings. It will also try To explain how Al - Fasi Al - Fihri used the term "al - Nahu" (Syntax) in different entries and meanings.

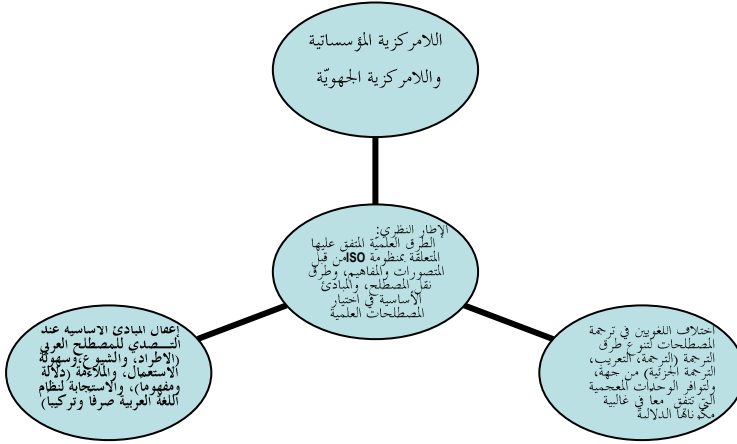
مقابل عربي يتفق ونظامه الصرفي والصرفي) أضعاف عدد المصطلحات المعربة (المتجه إلى خارج اللغة العربية على حد قوله).

(2) أن حجم المعجم العربي الذي يحتوي هذه المصطلحات غير مرض مقارنة مع المعاجم الغربية بالرغم من اتجاهه إلى خارج اللغة إلى الترجمة والتعريب. (3) أن المعجم العربي يفتقد كثيراً من اصطلاحات المدارس اللسانية الحديثة العهد، أو بعض الفروع داخل المدرسة الواحدة، وغياب سمة التمثيلية. وهنا نلاحظ أن ثمة معجماً قد لا ينطبق عليه ما قيل، بل إنه يعد أفضل من كثير من المعاجم اللسانية الغربية من ناحية عدد المصطلحات، ومجالاتها اللسانية المتنوعة بتنوع الدراسات، والنظريات، والفرضيات، والتفسير، والمدارس، والاتجاهات⁽²⁾.

(4) أن وضع المصطلح يتسم بالطابع العفوي؛ إذ لا يقوم على مبادئ منهجية دقيقة، ولا يكثرث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي؛ مما نتج عنه الاضطراب والفوضى في وضع المصطلح، وعدم تنسيق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبية. إن وصف نقل المصطلح بالعفوي يحتاج إلى تحديد مفهوم (العفوية) من جهة أولى، وإلى تعيين الفترة الزمنية من جهة ثانية، وإلى تعيين المصادر المعجمية من جهة ثالثة. إن ثمة منهجاً محدداً عند جل المعاجم اللسانية النظرية والتطبيقية، وهو منهج مستمد من كل الأطروحات النظرية حول كيفية سبك المصطلح العلمي، النابعة من المجامع اللغوية العربية. يتوصل من ذلك إلى أن إضفاء صفة (التشتت)؛ لأنه أدق بكثير من صفة (العفوية) التي توحى بشيء من الانطباعية غير الممنهجة في التصدي للمقابلات العربية لأي مصطلح لساني أجنبي).

فمفهوم التشتت المشار إليه تفسره الخطاطة المرسومة على النحو التالي، والتي تشير إلى ناحيتين لأبعاد المصطلح اللساني (والمتمثلة في عمل الفاسي أنموذجاً من نماذج عدة). الناحية النظرية المنعكسة في

الدائرة الوسطى، والناحية التطبيقية المنعكسة في الدوائر الثلاثة المجاورة⁽³⁾:



5) إن مسألة وضع المصطلح لا تخص كل مجال معرفي على حدة وكل عالم في مجاله أو تخصصه حسب، بل هي موضوع علم المصطلح من حيث هو علم مشترك بين اللسانيين والمنطق وعلم الوجود وعلم المعرفة والتوثيق وحقول التخصص العلمي.

1-2- الضوابط:

تمثلت ضوابط وضع المصطلح عند الفهري في:

- وضع ضوابط للتوليد (neology)
 - الأثالة (etymology)
 - المعجميات (lexicology) التي تضم جوانب دلالية (semantics) وجوانب صرفية (morphology)
 - الترجمة (translation)
- ومن هنا كان لزاما على المصطلحي مراعاة:

(1) معيارية المصطلح.

(2) توحيدة.

(3) الابتعاد عن العفوية في وضعه.

(4) إعادة هيكلة المصطلح اللساني وفق الحقول الدلالية للسانيات المصطلح الصوتي: التشكيل الصوتي والبنية الصوتية والوظيفة الصوتية، المصطلح الصرفي، المصطلح النحوي، المصطلح الدلالي، المصطلح المعجمي، مصطلحات نحو النص، ومصطلحات نحو الجملة، وعلم اللغة النصي، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وهكذا.

(5) ضبط وسائل التوليد في اللغة.

(6) ضبط وسائل الانتقال من لغة إلى لغة.

(7) مراعاة جانبي المبنى والمعنى في وضع المصطلح.

(8) مراعاة الأبعاد الثقافية في وضع المصطلح.

Langage

Langue

Parole

Language

Speech

فقد أخذت بعض المصطلحات بعدا ثقافيا نحو:

يقابلها بالإنجليزية

فهناك من الإنجليز من يستعمل الكلمات الفرنسية للمحافظة على ما قصده دو سوسير في كتابه، وهذه تدل على "أن الحمولة الثقافية تبقى حاضرة في المصطلح"⁽⁴⁾، و"لكي نصل إلى رصد الأبعاد التصورية والثقافية، ينبغي تصور المكون الدلالي على أساس أنه مكون مفهومي وتصوري"⁽⁵⁾

(9) ضبط الكلمة الاصطلاحية وفق وسائل التكوين اللغوي المعهودة، وهي:

(أ) الاشتقاق

(ب) النحت

(ت) التأليف

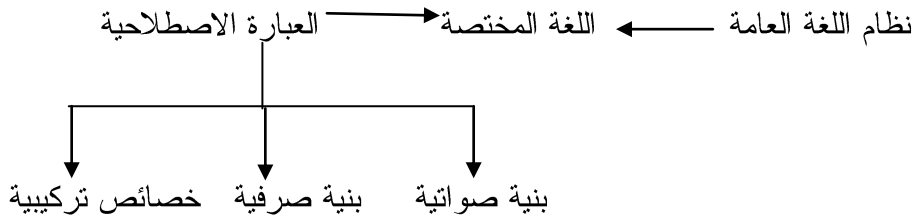
(ث) الدلالة والمعنى.

10) الانفتاح على العلوم الأخرى في تكوين المصطلح واستعارة بعض المصطلحات منها، كعلم الرياضيات والهندسة والتربية، نحو ما ظهر في مصطلحاته، قطر الدائرة ، براميترات

11) استعارة بعض المصطلحات في المجالات الدلالية من حقول معرفية أخرى

12) مراعاة مبدأ التكافؤ عند وضع المصطلح، كما في لفظ "عربون" في العربية يقابلها في الإنجليزية (deposit) ولكن لفظ (deposit) في الإنجليزية لا يعني أن الذي يضع جزءا من المال لشراء شيء معرض لأن يفقد ماله⁽⁶⁾ بينما (arrha) في الفرنسية و"عربون" في العربية يعني أن الذي يضع جزءا من المال إذا لم يكمل المال فإنه يفقده . ولفظ "عربون" في العربية يتسع لمجالات أخرى. وغالبا ما ترتبط معرفة المفاهيم بمعرفة الموضوعات والأشياء وخصائصها في الواقع العملي مما يتيح التكافؤات بين لغات متعددة وكذلك وضع حدود لاستعمال الكلمات الجديدة في مجال معرفي مبين.

13) مراعاة نظام اللغة العام، كما يظهر في الشكل التالي:



لأننا إذا خرجنا عن ضوابط اللغة العامة يقع التشكيك في سلامة العبارة، مع أن هناك مجالا للتجاوز والضرورة في وضع المصطلح، ويظهر من خلال توظيف وسائل اللغة: الاشتقاق والنحت والتأليف.

14) مراعاة ثلاثة معاجم عند عمل المصطلح، هي:

1) معجم داخل في اللغة المصدر.

(2) معجم متوفر في اللغة الهدف.

(3) معجم ناشئ في اللغة الهدف كذلك.

1-3 - المنهجية:

واعتمد في وضع المصطلح منهجية تبعد المصطلح القديم في مقابل المصطلح الداخل؛ بحجة أن "توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة من شأنه أن يفسد علينا تمثل المفاهيم الواردة والمفاهيم المحلية على السواء، ولا يمكن إعادة تعريف المصطلح القديم وتخصيصه إذا كان موظفاً"⁽⁷⁾ فمثلاً لفظ مبتدأ موظف في النحو بمدلول عاملي محدد، وهو مفهوم صوري ولا يمكن توظيفه لترجمة topic وهو مفهوم وظيفي. وبعد ذلك من المنزقات التي يقع فيها المترجمون إذ يقابل بين المصطلح الوارد في التراث والمصطلح الغربي ويعتقد أنه يصدق عليه. ومن هذه المنزقات أيضاً عقد المناسبات الزائفة بين syntax ونظم، و performative وإنشائي، و comment وخبر، و competence وملكة. وذكر العجمي أن الفاسي الفهري "استخدم بعض المصطلحات المستنبطة من نظرية العامل، لكن دلالاتها مختلفة عن الدلالات القديمة؛ لأن المصطلح يُوظف في خدمة مفهوم النظرية اللسانية المطبقة دون أن تترجم مصطلحاتها إلى ما يوافقها في العربية، وذلك مثل ترجمة مصطلح subject الموجود في جميع النظريات المطبقة في اللغات الأوروبية، وهو مفهوم لا يمكن أن يتعدد في تلك اللغات لخلوها من الجملة الاسمية الخالصة؛ لذا يستخدم في مقابل ذلك مصطلح "الفاعل" بغير مفهومه القديم لدى النحويين العرب"⁽⁸⁾.

2- مصطلحات الفهري:

كان الفهري يميل إلى التوسع في المصطلحات التي يستخدمها مثلما كان يتوسع في تعريب المصطلحات التي يضعها. فوضع لمفهوم التعريب ضوابط، وجعل له درجات "أسفلها تعريب لا يمس إلا اللفظ وثانيها ما يمس اللفظ والمعنى وأرقاها تعريب الفكر اللساني" وذكر أن للمعرب معنى ضيقاً، في الوقت الذي وسع فيه مفهوم الترجمة ليشمل ترجمة المفردة والنص، وهو عنده تعريب وهذا ما نلحه

تحت عنوانه "تعريب الدلالة"⁽⁹⁾ فألفاظه التي استخدمها كانت عن الترجمة، يقول "عملية الترجمة لها أبعاد دلالية أكثر مشكلية"⁽¹⁰⁾. وذكر أحمد مختار عمر أن مما يلاحظ على مصطلحات الفهري "أنها تتسم بالابتكار والتوسع في التعريب وإدخال صيغ ومشتقات غير مألوفة في لغة الألسنية"⁽¹¹⁾ وهذه الأخيرة هي التي أشار إليها الفهري في تقديمه حيث وضع وسائل لضبط المنهجية وتوحيد المصطلح. واستعان في تحديد مصطلحاته بـ "مجموعة من المدارس اللسانية لا بمدرسة واحدة وكذلك بمختلف الفروع والمكونات داخل المدرسة الواحدة" إلا أن هذا الاعتماد على مقابل عربي واحد لمصطلحات قد تعددت دلالاتها في المدارس أمر لا يصلح في مثل هذه الحالات ، كما أننا عندما ندقق في مصطلحاته نجد إغفالا لبعض المصطلحات من ذلك مصطلح *pheme* (باللغة الفرنسية) عند بورس ومصطلح *acte phatique* عند أوستين وربما يعود السبب إلى أن عمله المصطلحي كان فرديا - وهو ما انتقده في تقديمه من أن المصطلح اللساني يتسم بطابع العفوية والفردية - أو لأنه يميل إلى المدرسة التوليدية أكثر من غيرها أو لأنه يؤمن بعدم أهمية مثل هذه المصطلحات في بعدها المراسي، وهو ما أشار إليه في قوله "وهناك مصطلحات بالمقابل غير منتجة أو غير ممثلة وبالتالي لا ضرورة في أن يحتويها المعجم". وهنا نسأل علام اعتمد في عدها غير منتجة؟ وما مدلول المصطلح المنتج عنده؟ وما مدى التمثيل عنده؟ ومتى يكون المصطلح ممثلا؟ ثم إن معاجم المصطلحات يجب أن تكون شاملة لكل مصطلح يضم قطاعه حتى ولو لم تكن منتجة أو ممثلة كما يعتقد؛ لأننا أمام معالجة معجمية لا أمام حصر مفاهيم تخضع لمقياس تداولها أو إنتاجها وتمثيلها في اللسانيات.

كذلك نجد أن مدلول الكثير من مصطلحاته يحتاج منا العودة إلى السياق، وهذا ما ذكره الفهري نفسه في سياق اختيار المفهوم، يقول إن "اختيار مفهوم ملائم من بين لائحة المفاهيم التي يعبر عنها اللفظ المشترك يتطلب مجهودا معرفيا خاصا، ويتسبب أحيانا في أخطاء. ويقع رفع الالتباس عن طريق السياق اللغوي المباشر أو

السياق الخطابى أو الوضع الذي يحدث فيه التواصل، أي كل مصادر المعلومات المتوفرة لرفع اللبس⁽¹²⁾

ولذا نجد غيابا للمفهوم في مصطلحاته، فكان عمله منصبا على إيراد المقابل العربى للمصطلح الإنجليزي حسب، دون تحديد للمفهوم الذي يتطلب جهدا كبيرا في العودة إلى معاجم أخرى ذات صفة تخصصية لمعرفة المفهوم أو العودة إلى كتبه أو إلى مراجعه التي اعتمدها للشأن نفسه، وهو ما كان وعد به في تقديمه لمعجمه. فالهدف الرئيس من المعجم وهو إيصال المفهوم لهذه المصطلحات لم يتحقق بالصورة التي أرادها. وقد تفرد في بعض ألفاظه المصطلحية التي استخدمها حتى بدت كأنها غامضة، نحو: المركب الصفي والمركب الوصفي، ونحو استخدامه "كاسعة" في الوقت الذي استخدم "لاحقة" وهما بمعنى واحد، الأمر الذي يسبب إرباكا لدى القارئ لأنه يظنهما متغايرتين في المعنى، ومثله مصطلح الصرف الاشتقاقي (derivational morphology) أو الصُرْفِي (flexional)⁽¹³⁾ وهما عنده بمعنى واحد، ونحو استخدامه ألفاظ جاذية، تمفصل، مُبْنِيْن مما يدفع القارئ للعودة إلى سياقها النصي لمعرفة مقصوده منها.

ونجد عنده تفاوتاً في المصطلح فقد راوح في تقديمه بين مصطلحات: علم اللسان واللسانيات واللسانية، وكذا نجد تعدداً في إطار التسمية، نحو: اللغة المختصة والمعجم المختص والمعجم الاصطلاحي والمعجم القطاعي وهي عنده بمدلول واحد، يقول: "إشكالية التقريب بين اللغة العامة المتداولة أو المعجم العام واللغة المختصة أو المعجم المختص أو الاصطلاحي أو القطاعي"⁽¹⁴⁾.

3- أبعاد عمل المصطلح عنده:

انتظم عمل المصطلح اللساني عند الفهري أبعاداً ثلاثة، هي:

3-1 - البعد الصيغي:

ذكر الفهري أن صرف العربية صرف غير سلسلي (non - concatenative)، أي أنه لا يركب بين سلسلة لفظية وسلسلة لفظية أخرى بضمهما خطياً، وهذا ينطبق على الإنجليزية والفرنسية اللتين يتألف من ضم سابقة

فيهما أو لاحقة إلى الجذر مفردة جديدة، دون تغيير يذكر في البنية الداخلية للجذر أو للصيغة أصل الاشتقاق، نحو: eat نشق منها eater و eating و eatable و uneatable وهذا لا يكون في العربية لأن الاشتقاق في العربية داخلي في كثير من الأحيان، فنجد أن آلية وضع المفردة الاصطلاحية عند الترجمة من الإنجليزية أو الفرنسية ألا تترجم السابقة بسابقة ولا اللاحقة بلاحقة، وهذا ليس مطردًا ولا يعني أن جميع اللواحق الأجنبية لا يمكن أن تقابلها لواحق عربية، أو كلمات تؤدي معنى اللاصقة.

فنتم ترجمة صيغة بصيغة أخرى، كأن يناسب بين الصيغة الإنجليزية المختومة بـ:

- (1) ing والمصدر بالعربية
- (2) er باسم الفاعل
- (3) ize التعدية بالتضعيف
- (4) استخدم الكاسعة eme لتقابل في العربية الكلمات المختومة بياء وتاء، دلالة على الوحدة، نحو :

Phoneme صوتية

Morpheme صرفية

Lexeme معجمية

Sememe سيمية

Mimeme إيمائية

إن نقل اللاحقة eme بياء وتاء ليس دقيقاً في سياق الدرس اللساني نفسه. وهذا يتضح من تحليل

مصطلح morpheme - على سبيل المثال - الذي يشير إلى أصغر وحدة صرفية تدل على معنى في الكلمة مثل (أل) التعريف في الوحدة المعجمية (العلوم).

allomorph	morph	morpheme	Morphology
التغيرات الصوتية والصرفية المتماثلة في المستويات اللغوية المتنوعة:	الوحدة الصغرى الممثلة للمورفيم: * (الألف) * (اللام) وهما وحدتان	* (أل) التي تدل على التعريف * (مصر) الجذر * (ياء النسب) * (ون) التي تدل على جمع المذكر السالم	دراسة بنية الكلمة، (المصريون) على سبيل المثال
(أل... مصريون) (ال... مصريون) (ل... مصريون)	صوتيتان تمثل صرفياً واحداً هو (أل) التعريف		

إن إعمال (الياء والياء) في ترجمة اللاحقة eme يعترضه نوع من اللبس، وابتعد عن حس التصدي للمفهوم الدقيق لمصطلح morpheme، فالقول بـ (الصرفية) يعود إما إلى قضية صرفية في ظواهر اللغة، أو قضية صرفية في علم الصرف نفسه. ومسائل تحليل كلمة (المصريون) من ناحية الصرف (المورفيم)، والوحدة الصرفية الصغرى (المورف)، والبديل الصرفي (الألومورف) تعد قضايا صرفية في علم الصرف morphology.

وطرق نقل المصطلحات السابقة تتأني على طريقتين:

الأولى: إما بإضافة اللاحقة (يم) إلى اسم المجال بتعريبهما معاً (مورفيم) أو بترجمة اسم المجال وتعريب اللاحقة (صرفيم) الذي يعرف بالترجمة الجزئية التعريب الجزئي.

الثانية: كلمة (وحدة) للمصطلحات المنتهية بـ (eme)، و(بديل) للمبتدئة بـ (allo).

وإليك المقابلات العربية المتسقة و الطريقتين:

الطريقة الأولى: (التعريب: فونيم، مورفيم، لكسيم، سيميم، ميميم). (الترجمة الجزئية: صوتيم، صرفيم، معجميم (مستحدث منا)، معنيم، إيمائيم (مستحدث منا).
الطريقة الثانية: وحدة صوتية (وليست وحدة صوتيمي)، ووحدة صرفية (وليست وحدة صرفيمية)، ووحدة معجمية، ووحدة دلالية، ووحدة إيمائية.

- (5) السابقة (co) تقابل لفظ "شركة" ومشتقات من المادة نفسها، نحو:
- Co- domain ميدان شريك
Coreference شريك التداخل
Covariance شركة إحالية

- (6) راعى جانب المناسبة بين المعنى والصيغة، فاستعمل:
- أ) فِعَالَة وفَعَالَة للدلالة على الصناعة أو فرع من فروعها، نحو:

phonology	صِوَاة
morphology	صِرَافَة أو صِرَف
semantics	دِلَالَة

إعمال هاتين الصيغتين غير دقيق في نظرية علم المصطلح القائمة على فهم تصوّر المصطلح بشكل دقيق؛ لأن ثمة فرقاً بين المجال النظري المتسم بالعلمية والمجال التطبيقي المتسم بالصناعة. مثل: lexicology علم المعاجم، و lexicography صناعة المعجم. ولا يمكن بأي حال من الأحوال ترجمة اللواحق العلمية (مثل: -logy و -ics) بالصيغة الاشتقاقية الدالة على الحرفة أو الصناعة. ومثله أيضاً - في مجال الطب على سبيل المثال - cardiology الذي يترجم بـ (علم أمراض القلب)، و cardiography الذي يترجم بـ (خطاطة القلب).

ب) فَعَالِيَّةٌ للدلالة على معوقات الملكة اللغوية:

agrammatism	نُحَائِيَّة
agraphia	كُتَابِيَّة
alexia	قُرَائِيَّة

يضع الفاسي الفهري مقابلات عربية لا تتوافق - فيما أظن - ومفهوم المصطلحات، فهل ثمة علاقة دلالية بين مفهوم الصيغة الاشتقاقية (فعالية) ومفهوم المصطلحات؟! تدل البادئة (a) على مفهوم النقيض أو النفي، وتدفع هذه الدلالة إلى سلب المعرفة النحوية للمصطلح الأول، وصعوبة الكتابة للمصطلح الثاني، وبطلان المقدرة القرائية للمصطلح الثالث لأسباب فسيولوجية (وأعني: العمى)، على عكس مصطلح

dyslexia الذي يدل على عدم القدرة على القراءة لأسباب بيولوجية حيوية في الدماغ أو في اللسان.

حسبة نحوية agrammatism

حسبة كتابية agraphia

عمى قرائي alexia

حسبة قرائية dyslexia

(7) جعل الفرع أصلاً للاشتقاق في بعض الصيغ، نحو: سلسلي نسبة إلى سلسلة concatenative مَوْضَعَة مصدر موضع يوضع topicalization، مَقُولَة categorization

يُعمل الفاسي الفهري صيغة (فَعَلَّة) لإفادة صناعة معنى الفعل (يُفعل)، وهذا شائع في الدرس اللساني على غرار نكلزة anglicization or anglification، ورؤمنة Romanisation، وفرنسة francisation، ولتينة latinisation. أما ترجمة المصطلح categorisation — (مقولة) فيحتاج إلى إعادة نظر لأجل إقصائه؛ لأن ثمة فرقاً بين مفهوم (مقولة) الذي يفيد إضفاء صفة القول على الشيء وإكسابه إياها، ومفهوم التصنيف المقرر في علم التصنيف taxonomy، فمصطلح categorization يدل على تصنيف التجارب الإنسانية والخبرات المتراكمة لها من الناحية الثقافية والحضارية من جهة، والتصنيف الخاص باللغويين مثل الدرس النحوي وتصنيفاته. وعلى ذلك، فإن المقابل (تبويب) أكثر دقة مثل (تعريب) arabization بصرف النظر عن صيغة (فعللة) التي تقابل الوحدات المعجمية المستجدة neologised في النظام اللغوي مثل:

latinise, latinising, latinised, latinisation (neologism: accepted contemporary use)

يُلتين، مُلتين (وصف للغة)، مُلتين (وصف للاستعمال اللغوي)، لَتينة (مستجدات توليدية لكلمة latin: استعمال معاصر مقبول)

Categorize, categorizing, categorized, categorization (familiar lexemes)

بَوَّب، تَبَوَّبِي، مَبَوَّب، تَبَوَّب (أو عند بعضهم: صَنَّف، تَصَنَّفِي، مَصَنَّف، تَصَنِّف) (وحدات معجمية مألوفة في المعاجم)

ولعل سائلاً يسأل، لَمْ هذه الصيغة الاشتقاقية (فعللة) تنطبق على (التنية، ونكلزة... إلخ). ولا تنطبق على (عربية)، ونرد عليه بالقول إن كلمة (تعريب) مستقرة في النظام اللغوي العربي، ودالة على مفهوم مصطلح arabization، وهذا الإعمال يتماشى ومبدأ استعمال الكلمة العربية القديمة التي تحمل المعنى نفسه للمصطلح اللساني الأجنبي.

(8) استخدم النحت قليلاً نحو: اختزاله كلمة بديلة إلى بَدْ مستخدماً السابقة allo

بَدْ صوتة Allophone (بديلة صوتية)

بَدْ صرفة allomorph (بديلة صرفية)

أظن أن الفاسي الفهري نفسه قد قال إن إعمال التعريب الجزئي (الترجمة الجزئية) أسهل من إعمال النحت⁽¹⁵⁾. انظر:

(9) خصص المصدر الصناعي جمعا لفروع أخرى من الصناعة خاصة ما ختم بلاصقة emics للجمع، نحو: صرفيات morphemics ، صوتيات phonemics و معجميات lexicology

هذان المقابلان ليسا دقيقين لمفهوم المصطلحين (انظر إلى معالجة نقل اللاحقة - (eme

صوتيات phonetics فونيميّات phonemics أو صوتيميّات

صرفيات morphology مورفيميّات morphemics أو صرفيميّات

(10) أجاز النسب إلى المثني و الجمع، نحو: شفثانيّ bilabial، جانبانيّ bilateral، أزداديّ antonym فضلاتيّة complementation. (أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، انظر: أحمد مختار عمر. "المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية"، مجلة عالم الفكر، مج(20)، ع(3)، 1989، ص 8، 9).

3-2 - البعد التركيبي:

وضع الفهري مبادئ سار وفقها عند وضع المصطلح المركب؛ لأن اللغات تختلف في استعمال الوسائل التركيبية بهدف الاصطلاح.

ففي الإنجليزية نجد أن double articulation (ازدواجية التفصل) مكونة من صفة وموصوف :

↓ ↓
موصوف صفة

بينما في العربية (ازدواجية التفصل) مكونة من مضاف ومضاف إليه

↓ ↓
مضاف مضاف إليه

ولذا راعى البعد التركيبي عند وضع المقابل العربي، فنجد أن المقابل الحرفي في العربية لتركيب (successive cyclicity) هو السلكية المتتابعة إلا أنه قابلها بالتتابع السلكي.

كما اهتم الفهري في بنائه المصطلحي بالمتلازمات اللفظية collocations إما بتكرار الأول، نحو:

individual constant ثابت فردي

logical constant ثابت منطقي

linguistic constant ثابت لغوي

predicate constant ثابت حملي

=====

generative model نموذج توليدي

performance model نموذج إنجازي

transformational model نموذج تحويلي

أو بتكرار الثاني ، نحو:

natural language لغة طبيعية

natural order رتبة طبيعية

=====

إدخال معجمي lexical insertion

حشو معجمي lexical redundancy

3-3 - البعد الدلالي:

لجأ الفهري عند وضع المصطلح إلى معاينة الحقول الدلالية في كل من اللغتين، وإقامة ما يمكن إقامته من مناسبات، وفرز ما ليس له مقابل في اللغة الهدف ويحتاج إلى الوضع والتوليد؛ لذا عمد إلى ربط الدال بالمدلول؛ ليتجنب فوضى الاصطلاح، وتعدد المقابلات العربية للمصطلح الواحد.

فعندما وجد في المعاجم اللسانية تعددا للمقابلات العربية، نحو:

(sing) ترجمت برمز أو علامة أو إشارة أو دليل

خصص (sing) بدليل؛ ليناسب بينه وبين ما يقابل الدال (signifier) والمدلول (signified) والدلالة (signification) باستعمال المادة المعجمية ذاتها. وقابل (symbol) برمز و (mark) بعلامة و (demonstrative) بإشارة.

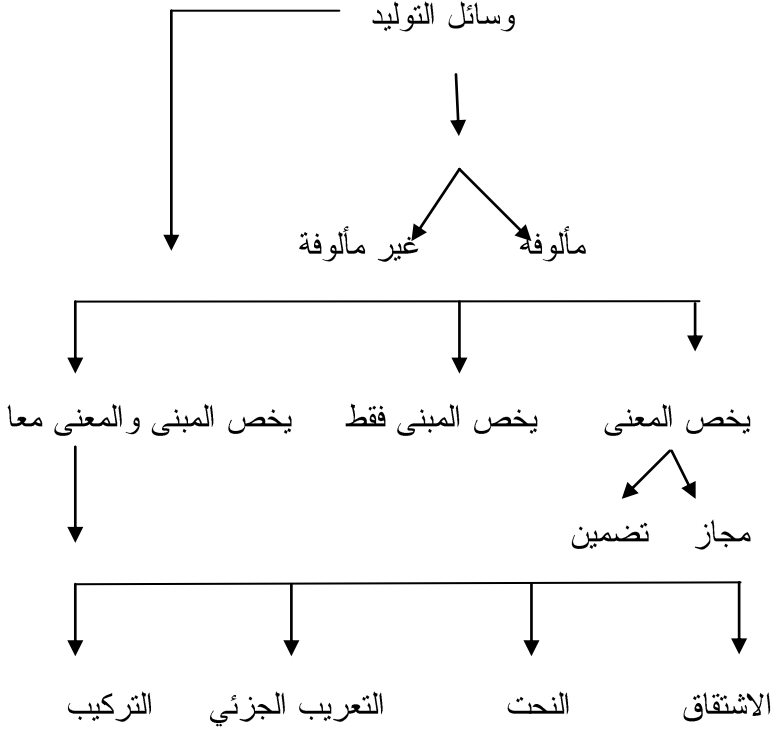
وعندما يجد خلطا في الدال الاصطلاحي يلجأ إلى التغيير وفق ما يناسب الدلالة، فنجد أنه يفضل ترجمة (phrase) بمركب؛ لأنه كما يذكر لفظ عربي أصيل يليق بالمعنى المقصود، أما مصطلح "تركيب" فقد يناسبه (compounding) وكذلك (syntax). وأما مصطلح "تركيبة" فتناسب المعنى، إلا أن النسبة إليها تؤدي إلى خلط بين ما هو (syntactic) وما يتعلق بالتركيبة. أما إذا كان المقابل هو "مركب"، قال في (phrase structure) بنية مركبية وهي تختلف عن (syntactic structure) بنية تركيبية وفي (phrase marker) مؤشر مركبي.

ولكنه بين أن مسألة الحقول الدلالية تتصل حسب رأيه بمسألة تداخل القطاعات المعرفية الذي يتسبب في مشكلين:

- 1) صعوبة تحديد حجم المصطلح اللساني: أين يبدأ وأين ينتهي وتبدأ معاجم أخرى (تداخل ألفاظ الفيزياء أو الرياضيات أو الفلسفة أو علم النفس

- (2) اختلاط المفاهيم في أذهان بعض اللسانيين أنفسهم، نحو: (connotation) أو (denotation) ليس هو المدلول الفلسفي لهاتين اللفظتين فـ (connotation) في الفلسفة هو المفهوم وفي اللغة ظل المعنى أو المعنى المواكب و (denotation) في الفلسفة تعني ما يعنيه لفظ (extension) أي الماصدق، وفي اللغة هي الدلالة الأولى أو دلالة الوضع؛ لذا نجد أن المصطلح اللساني عنده تداخل مع قطاعات معرفية، وحمل أبعادا فلسفية ورياضية وفيزيائية ونفسية واجتماعية.
- (3) تعدد الألفاظ للمفهوم الواحد أو مفاهيم مشابهة، (sound و phone و phonic ...)

وتتضح وسائل توليد المصطلح في الشكل التالي:



bridge verbs	استخدم المجاز: نحو مصطلح الأفعال الجسور
escape hatch	باب الإفلات
wh island	الجزيرة الميمية
chopping rule	القاعدة الباترة

وهذا هو المجاز الآنّي لا المجاز الذي انتقل إلى حقيقة.

الأساليب غير المألوفة:

لجأ إلى **المعرب** عند عدم وجود مقابل عربيّ مناسب، نحو: اكوستيّات

acoustics

التعريب الجزئيّ وبين أنه استخدمه تحرياً للدقة، ولأنه أخف على اللسان من النحت والتركيب، نحو:

metalanguage	ميتالغة
metalinguistic	ميتالغوي
sociolinguistics	سوسيولسانيات
psycholinguistics	سيوكولسانيات
biolinguistics	بيولسانيات

وذكر أن بعض هذه المفردات تستعصي ترجمتها عن طريق التركيب؛ لأنها مصطلحات مبهمة إلى حدّ، والتركيب يوضحها.

4- مرجعيته المصطلحية:

توخى الفهري نسقية في جميع مستويات العمل الذي أنجزه في مجال بناء المصطلح اللساني، وتتضح ملامحها في أنه:

- اعتمد في استخلاص المواد المعجمية على دراسات المتخصصين في ميدان الأصواتيات والصوارة والدلالة والذريعات واكتساب اللغة والمنطق اللساني واللسانيات التطبيقية واللسانيات التاريخية والمقارنة

- اعتمد على المعاجم اللسانية الأحادية اللغة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية اعتنى بمجموعة من المدارس اللسانية لا بمدرسة واحدة كالبنوية والسوسيرية ومدرسة براغ الوظيفية
- اعتنى بمختلف الفروع والمكونات داخل المدرسة الواحدة، كالنحو التطبيقي والنحو المعجمي الوظيفي والنحو التوليدي والنحو التحويلي والنحو العلاقي .
- اعتمد على أعمال عدد من اللغويين العرب المحدثين أمثال إبراهيم أنيس ومحمود السمران وعلي عبد الواحد وافي وتمام حسان وعبد الرحمن أيوب وكمال بشر وأحمد مختار عمر وداود عبده وغيرهم.
- اعتمد على مجموعة من الأعمال المعجمية البحثية نحو: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية للحمزاوي، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب لمجدي وهبة وكامل المهندس، واستقرى مجموعة من المعاجم غير اللغوية في الفيزياء والرياضيات والإعلام. فنجد في مصطلحاته أنه استفاد ممن سبقه في الحقل، نحو copulative verb (فعل رابطي) فقد سبقه إليه الحمزاوي.
- راعى في عمل المصطلح:
 - (1) الإنتاجية للمصطلح والتمثيلية، فهناك جملة من المصطلحات غير منتجة أو غير ممثلة وبالتالي لا ضرورة في أن يحتويها المعجم.
 - (2) النسقية في نقل الصيغ.
 - (3) اعتبار المعاني المختلفة للمصطلح الواحد داخل حقول مختلفة نحو: abduction بمعنى الانبساط في حقل الأصوات أما في أصول النظرية فيدل على الاستدلال الاحتمالي.

4) البحث عن أصل المعنى أو ما يوجد بين الحقول المختلفة، نحو absorption في حقل الأصوات تدل على نوع من المماثلة، وهي في التركيب الامتصاص، نحو: الامتصاص الإعرابي case absorption ولذا اكتفى بمعنى الامتصاص ليعبر عما يحدث في الأصوات والتركيب.

ولذا أرجع الفهري عدم رواج المصطلحات التي أقرتها المؤسسات العلمية في العالم العربي والمجامع إلى :

- 1) غياب التمثيل النظري للقضية المصطلحية.
- 2) عفوية المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح. مع أنه وضع منهجية لضبط المصطلح ومثله ما فعله سميح استيتية في وضع هيكلي للمصطلح وكذلك المسدي.

- نجده خالف غيره في بعض المصطلحات نحو adequacy قابلها بمعنى كفاية، في حين استخدم competence بمعنى قدرة. في حين نجد باقر قد قابل competence بالقابلية⁽¹⁶⁾.

5- إشكالية المصطلح عنده:

وضع الفهري مشكل المصطلح في بعدين: بعد نظري وآخر منهجي وإجرائي وهما ما تفرعا عن علم المصطلحات في الدرس اللساني الحديث ذلك "أن النظري يقوم على دراسة النسقية للمصطلحات أو الكلمات أو التراكيب الخاصة من حيث تسمية مجال الشيء أو المفهوم ويعرف هذا الفرع بالنظرية العامة لعلم المصطلح، أما الفرع أو البعد الثاني فهو مجموعة المصطلحات التي تمثل المفاهيم أو الأشياء الخاصة بميدان معين من المعارف أو النشاط الإنساني ويعرف هذا الفرع بالنظرية الخاصة ويتصل بالدراسات المعجمية على خلاف النظرية العامة التي تقترب من المفرداتية"⁽¹⁷⁾.

وذكر أن أي برنامج اصطلاحي يواجه إشكالين هما:

- 1) الحاجة إلى توفير عدد هائل من المصطلحات لمواكبة الحاجة الملحة إلى التعبير عن مفاهيم وتصورات جديدة بعبارات اصطلاحية.
- 2) إشكالية التعريب والشفافية بين اللغة العامة واللغة المختصة أو المعجم القطاعي أو الاصطلاحي التي تحتاج إلى مقارنة لغوية طبيعية ومقاربة موسوعية تواضعية.

6- مقاربات مصطلحية:

يعد الفهري رائداً من رواد العمل المصطلحي قد أخضع مصطلحاته لمبادئ وقيود نظرية ومنهجية من شأنها أن تكون علماً مستقلاً هو المصطلحية إلا أن هذه الأسس والأطر إنما يمكن النظر إليها بوصفها "جزءاً من الطريقة المثلى للغة البحث العلمي من حيث الاطراد والدقة والوضوح بدل أن تكون خاصة بصوغ المصطلح"⁽¹⁸⁾. وهذه الإشارة هي الوحيدة التي نجدها عن دور المصطلحية في وضع المصطلحات. ومن هذه الأسس والأطر "أن المترجم غالباً ما يعتقد أن المقابل العربي الوارد في التراث يصدق على ما يصدق عليه المصطلح الغربي لأن قراءته للتراث غالباً ما تتكيف حسب الثقافة اللسانية السائدة، فتقوم بإسقاطات ظرفية وذاتية" لكنه ابتعد في عمله المصطلحي عن استعمال المصطلح المتوفر القديم في مقابل المصطلح الداخل" وإن اضطر إلى ذلك قدم مميّزاً دلالياً للألفاظ التراثية التي اختارها وما تحمله من بعد لساني، حتى لا تختلط على القارئ، نحو: مصطلح الفعل والمفعول المطلق واللافت للنظر أن مصطلحاته في معجمه تحمل تعريباً دلالياً للغتين اثنتين وما تحمله من أبعاد متخالفة أو متقاربة ومدارس واتجاهات، فظني يميل إلى اختلاف النسقية أو الدلالية في اصطلاحات هاتين اللغتين — بالرغم من أنهما من فصيلة لغوية واحدة — ولهذا فإن دمج هاتين اللغتين معاً وكأنهما توأمتان ثم وضع توأم ثالث لهما في العربية وكأن هذه المصطلحات الثلاثة تحمل مدلولاً واحداً لا نرى في ذلك حيادية، مع أنه أوضح في تقديمه إلى تحمله أبعاد كل لغة وإشكالية وضرورة ذلك في النقل إلى لغة أخرى، فإن كان هذا التحمل قد حصل ووصل إلى مبتغاه هذا ما لا نستطيع الحكم عليه فإننا نقول إنه لم

يوضح آلية هذا التحمل من جهة كما أنه وقع في إشكالية الذاتية التي تفرض على هذه الأعمال الفردية بصورة خاصة، فذاتية المترجم تظهر لا محالة لأنها نابعة من تأويله وليست نابعة من تجربة عامة يشترك فيها عدة أشخاص؛ لذا حملت مصطلحاته بعدا ذاتيا في حدود تأويله.

فتقديم الفهري انصب على لغة المصدر والهدف فكانت معالجته أشمل وأدق من حيث معالجة المفاهيم والألفاظ، لا لغة الهدف فحسب كما يفعل بعض من يعالج مثل هذه القضايا فلغة المصدر "تعد نقطة الانطلاق للترجمة أو التوليد وهي المرجع الأخير في دراسة وقياس تلك المعربات أو المترجمات والحكم عليها"، وفكر الفهري كان موجها صوب العقل والمنطق والنظر إلى القضية من عدة زوايا نظرا لغزارة الفهري اللسانية، ومن هنا نجد أن الفهري قد قابل مصطلح *ambiguous* بـ "ملتبس" مع أن الأقرب إلى المصطلح هو متعدد الدلالات، يقول استيتية "لست أدري ما الذي جعل اللغويين العرب عندما يترجمون هذه الكلمة يختارون "الغموض"، ويتركون "متعدد الدلالات أو المشتبه"، مع أن هذين الأخيرين أقرب إلى المصطلح الذي استعمله تشومسكي في نظريته" (19).

وبمقاربة بعض مصطلحاته ظهر وجود بعض التباين في المقابلات العربية للمصطلح الواحد بين معجمه والمعاجم الأخرى، نحو:

جملة (قضية)	(الفهري)	clause
جملية	(الخولي)	
عبارة	(باكلا وآخرون)	
جملة صغرى	(المسدي)	minor clause
نحو الحالات	(الفهري)	case grammar
قواعد الحالات	(الخولي)	
قواعد الحالات	(بركة)	
النحو الإعرابي	(المسدي)	

وذكر هليل (20) أن الفهري أحسن صنعا حين ترجم المصطلح بـ(نحو الحالات) والمسدي حين ترجمه بـ(النحو الإعرابي) فلسنا هنا بصدد قواعد ولكن بصدد مقارنة نحوية تؤكد العلاقات الدلالية في الجملة، وتعرف هذه العلاقات بالحالات (21).

ميتالغة	(الفهري)	metalanguage
لغة واصفة	(الخولي وبركة)	
ما وراء اللغة	(باكلا وآخرون)	
لغة تعبيدية	(المسدي)	

وأشار هليل (22) إلى أن (لغة واصفة) مقابل عام غير مقيد وعرضة لتفسيرات وتأويلات مختلفة قد يؤدي إلى اللبس. وكذلك (ما وراء اللغة) و(لغة تعبيدية) غير مفهومين، فلا نفهم ما الذي وراء اللغة ولا ما هو التعبيد. ولذلك قابلها الفهري بلفظها.

أظن أن المقابل (لغة واصفة) أفضل من المقابل (ميتالغة)، لاختصاص صيغته بالنظام اللغوي العربي المحض. والمقابل (لغة واصفة) دالة بشكل مباشر على

مفهوم مصطلح metalanguage

لغة موصوفة: اللغة المستعملة	→ ←	لغة واصفة: اللغة التي تصف اللغة المستعملة
-----------------------------	--------	---

بَدْ صوت (بديلة صوتية)	(الفهري)	allophone
بديل صوتي أو لفظي	(وبركة)	
ألفون، متغير صوتي	(الخولي)	
الوفون	(باكلا وآخرون)	
صوتهم تعاملتي	(المسدي)	

وعند الفهري نفسه نجد أنه قابلها بـ(بَدْ صوتة) (23)

موضوع (الحديث)	(الفهري)	topic
مبتدأ	(الخولي)	

موضوع (الكلام)، مبتدأ	(بركة)
الموضوع / المسند إليه (باكلا وآخرون)	
تعليق	(الفهري)
تعليق، خبر	(الخولي)
الخبر (في النحو)	(باكلا وآخرون)

وهنا نجد أن بعضهم جمع بين المصطلح التراثي و المقابل الإنجليزي، فالمبتدأ والخبر والمسند إليه مصطلحات تراثية، أما الفهري فقد ابتعد عنها، وهو ما نبه إلى خطورته وعدّه من المنزلاقات، يقول إن "من منزقات اعتماد الماصدق كذلك أن المترجم غالبا ما يعتقد أن المقابل العربي الوارد في التراث يصدق على ما يصدق عليه المصطلح الغربي، لأن قراءته للتراث النحوي واللغوي والبلاغي غالبا ما تتكيف حسب الثقافة اللسانية السائدة، بإسقاطات ظرفية وذاتية، وينتهي إلى مناسبات غير قائمة"⁽²⁴⁾ ومن أسباب هذا التباين "اختلاف مصادر التكوين العلمي والمعرفي للسانيين العرب وتوزعهم بين ثقافة فرنسية وإنجليزية وألمانية وكالتفاوت النظري والمنهجي بين المستوى العلمي للسانيين العرب، وكسيادة النزعة الفردية التي تحول إلى نزعة قطرية في وضع المصطلح العربي المتخصص وعدم الاكتراث بالرأي الآخر، كما أن هذا التباين يتعدى هذين المستويين كوجود تراث اصطلاحي يلتبس الأمر على أصحابها"⁽²⁵⁾

المسند والمسند إليه Subject – predicate: يستعملان في مجال اللسانيات على مستوى الخطاب.

المبتدأ والخبر topic – comment: يستعملان في مجال علم النظم syntax على مستوى الجملة.

الموضوع – المحمول theme – rheme يستعملان في مجال النحو الوظيفي functional grammar لدى مدرسة براغ للنظر إلى عنصري التركيب من الناحية الوظيفية.

(هذا التقسيم منا وفقاً لما أُفِّق عليه في كتب اللسانيات حول مفاهيم هذه المصطلحات)

القسم الثاني: مصطلح "نحو" وتعدد المداخل:

إن مصطلح "نحو" في ظل المصطلحات اللسانية، وتعدد المدارس و كثرة المناهج غدا مصطلحات، يحار

المتخصص بله المتلقي غير المتخصص في مدلولاتها، مما شعبه، وأربك مسائله، ودخل مرحلة جديدة، تفرعت فيها مداخله، وتتنوع اتجاهاته، وتشعبت أبوابه، وتعددت مصطلحاته، واتخذت هذه المصطلحات أبعاداً متنوعة:

كالبعد التقابلي: في نحو عام ونحو خاص

ونحو توليدي ونحو تحويلي

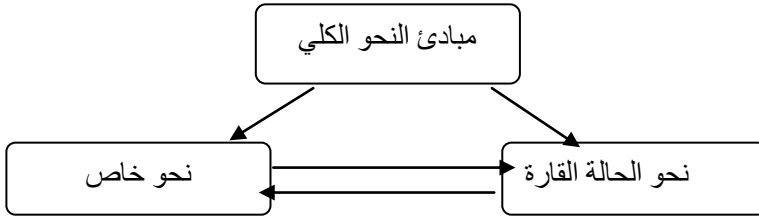
والبعد التكاملي:

ومن نحو يضبط النص المكتوب إلى نحو يحكم الأعراف المنطوقة، كالنحو

الخطابي ومن نحو يضبط التركيب إلى نحو يحكم السياق، كالنحو السياقي

وقد انطلق الفهري في وجوه تعدد مصطلح "نحو" من أن البنية المعرفية اللغوية عند الإنسان تمر بثلاث حالات:

- الحالة الفطرية و(هي المرحلة الأولى للدماغ)، وتقتضي بناء نحو كليّ
- حالة وسيطة (توجد عند الطفل مثلاً).
- الحالة القارة نسبياً وتوجد عند الإنسان البالغ، وهذه الحالة تقتضي بناء نحو خاص بلغة من اللغات



فإذا ما حدد اللغوي خصائص المرحلة الأولى ووصف ما يوجد فيها تشكل تصويره للنحو الكلي، وكذلك معرفة مميزات الحالة القارة، ووصف ما يوجد فيها

يمثل نحو الحالة القارة، ويتم بناء النحو الخاص الذي يعتمد في تشكيله مبادئ النحو الكلي. فيلعب النحو الكلي "دورا هاما في تحديد المرحلة القارة"⁽²⁶⁾

وبين أن هناك علاقة وثيقة بين النحو بمعناه الضيق (أي نسق القواعد التركيبية والصرفية والصوتية والدلالية) والمعجم. ومضمون هذه العلاقة أن النحو ما هو إلا إسقاط للمعجم. فالقواعد التركيبية والصوتية يمكن اعتبارها إلى حدّ قواعد حشو تكرر جزءا مما يوجد في المعجم، وهو الجزء المنتج الذي يمثل المعلومات التي لا يحتاج الطفل إلى تعلمها كل مرة⁽²⁷⁾. ويجب أن يكون النحو:

- ذا واقع نفسي. ومن هنا ضرورة ربط العلاقة في خريطة ابستمولوجية بين اللسانيات وعلم النفس، وضرورة اتصال النتائج التي يمكن أن نحصل عليها في كل من العلمين، إذ يجب أن نصل، في نهاية المطاف، على وضع نحو موحد يصف المعرفة اللغوية الباطنية لمتكلم اللغة.

- وذا كفاية معرفية (cognitive adequacy) بحيث يمكن إدخاله في الآلة كمخزون قاعدي يمكن من معالجة المعلومات حين يتعلق الأمر بالترجمة الآلية أو تحليل النصوص⁽²⁸⁾.

لذا نجد أن النحو عنده "عبارة عن نسق من الأوليات (primitives) والمسلّمات (postulates) والمبادئ العامة (principles) وهو مُبْنِيٌّ بشكل دقيق يعتمد قواعد استدلالية (rules of inference) تجعل منه بنية استنباطية (deductive structure) مقيدة"⁽²⁹⁾، وهذا التعريف يصدق على العلم غير مختص بالنحو.

ويسهم النحو الكلي في بناء النحو الخاص، إذ المتعلم مزود بهذه المبادئ والمسلّمات التي تمكنه، حين يخرج إلى المحيط، من وضع الافتراضات الواردة التي تجعله يثبت البرامترات في أقرب وقت وبرر أن لفظ grammar مثلا كان يصدق عند التوزيعيين وبعض التوليديين على التركيب أساسا، وكان يقابل grammar لفظ semantics، وحين أصبح النحو يضم التركيب والدلالة، وكذلك المكونات الأخرى، صرفية وصوتية، ومعجمية، أصبح من غير الممكن أن يناسب

لفظ "تركيب" هذا اللفظ، ومثله لفظ النحو عند العرب لذا ناسب بعضهم بينه وبين grammar، وناسب بعضهم الآخر بينه وبين syntax .
أما عن تعدد مصطلح "نحو" فيظهر كما يأتي:

- نحو مُلبس ambiguous grammar
- نحو تطبيقي applicational grammar وص 237 يذكر النحو التطبيقي
- نحو الأقواس arc pair grammar
- نحو تحويلي من نمط المظاهر Aspects type transformational
- نحو مُصاب attained grammar ويقابله أيضا بـ "تم بلوغه"
- نحو ناسب attributive grammar
- نحو مركبي مَزِيد (مُتَمَّى) augmented phrase structure grammar
- نحو شبكة مراحل مَزِيد (مُتَمَّى) augmented transition net work grammar
- نحو مثنوي binary grammar
- نحو الحالات case grammar وتحول مدخل النحو التوليدي إلى الحديث عن النموذج المعروف بـ "نحو الحالات المتناهية"، المداخل المتعلقة بـ "تركيب العبارة" (30) .
- هي اسم نظرية حديثة في التحليل النحوي وضعها اللغوي الأمريكي شارلز فيلمور (Charles J. Fillmore)، وقد وجدتها تترجم هكذا في عدة لغات، إذ لم تجر العادة على التصرف بأسماء النظريات عند ترجمتها.
- مقولة نحوية ترتبط بالمركب الاسمي نحو الحالات ابتدعه فيلمور Fillmore يحلل الجملة بموجهات معينة.
- نحو غير مقيد بالسياق context free grammar أو يقابله بـ "غير سياقي"
- نحو سياقي (تابع للسياق) context sensitive grammar
- نحو احتمال contingency grammar
- نحو تقابلي contrastive grammar

- نحو المكونات constative grammar آليات التضام المتحركة في العلاقات بين المكونات الموسعة والمخصصات الخاصة بالعلاقة بين المكونات النواة والمكونات الموسعة يمكن أن تربط بالمكونات الأولى أو الثانية ولكن نربطها طبعاً بالمكونات النواة نظراً لأن عددها محدود عكس المكونات الموسعة. (وإذا رغبت أن تكون المخصصات الصرفية التركيبية معدودة فيجب ربطها بالقواعد المعجمية أي بالمكونات النواة. وفعلاً فإن العلاقات المكونات النواة - والمكونات الموسعة هي معدودة نظراً للقلة النسبية للمكونات الموسعة وهذا ليس وضع العلاقات بين المكونات الموسعة - والمكونات النواة فإن المكونات النواة غير معدود.

- نحو نووي core grammar وهو الذي ينشأ بنشأ بنشأ البرامترات عن طريق التفاعل بين التجربة والبنية الفطرية باستعمال أمثلة أخرى، وهو "ما تتميه الملكة اللغوية كمكون للحالة القارة في ظروف تجريبية تبعد عن ظروف الحياة العادية، وبالخصوص ظروف تجانس التجربة اللسانية" (31)

- نحو عميق deep grammar أو deep structure حسب كريستال (32)

- نحو جملي محدود definite clause grammar

- نحو تعليق (تبعية) dependency grammar

النحو العلاقي dependency grammar ويقابله بـ "نحو التبعية" (33) وهو النحو الذي اقترحه بوسطل وبيرلمتر Perlmutter ويتعلق الأمر بعلاقات نحوية مثل فاعل ومفعول ويجب أن تظهر هذه العلائق في صياغة عدد من القواعد أو المبادئ الكلية التي تحكم مسألة وجود القواعد ومسألة انتقائها، وتتعلق مسألة الوجود بمعرفة أنواع القواعد التي يمكن أن نجدها في اللغات الطبيعية. أما مسألة الانتقاء، فتتعلق بمعرفة الشروط التي يمكن ضمنها للغة ذات خصائص معينة أن تتوفر على قاعدة معينة تنتمي إلى مجموعة قواعد ممكنة في لغة واحدة (34).

نحو وصفي descriptive grammar

نحو خطابي discourse grammar (35) وهو الذي يعتمد على قاعدة تأويلية، لا تحويلية،

نحو توليدي generative grammar وترجمه باقر⁽³⁶⁾ بالقواعد التوليدية
generative grammars

النحو الوظيفي المعجمي lexical functional grammar النحو المعجمي
الوظيفي

نحو خاص particular grammar وهو النحو الذي تتجسد فيه المعرفة اللغوية
التي يمثلها نحو الحالة القارة، ويحصل هذا البناء في ظروف تجريبية معينة
باعتماد مبادئ النحو الكلي⁽³⁷⁾.

النحو الواقعي realistic grammar نحو التبعية .

نحو جملي sentence grammar وهو الذي " يحدد نوع الصلة الضرورية بين
الموضع/البؤرة وبين مركب اسمي يوجد داخل الإسقاط المؤاخي"⁽³⁸⁾

نحو تحويلي transformational grammar

نحو كلي universal grammar وهو "نسق كلي للتمثل الذهني للغة، وهدف
النظرية اللسانية أن تكشف عن هذا النسق أو النحو الكلي universal grammar
وتحدد مميزاته، وتحدد كذلك مضمون الأنحاء الخاصة particular grammars
وطرق بنائها" وهذا هو مفهوم الملكة اللغوية، فالملكة عنده " ما هي إلا نسق كلي
للتمثل الذهني للغة" وكأنني يزواج بين مفهومي الملكة والنحو الكلي اللذين هما نسق
تكشف عنهما النظرية اللسانية.

- 1- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 223/2
- 2- انظر: معجم المصطلحات اللغوية لرمزي بعلبكي.
- 3- ينظر ما ذكره الحمزاوي في كتابه: المنهجية العامة في ترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، ص40. وينظر إلى المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها رقم (16) من كتاب: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، ص 123.
- 4- المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، الفهري، ص148
- 5- المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، الفهري، ص148
- 6- المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، الفهري، ص149
- 7- اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للأفاق، عبد القادر الفاسي الفهري، منشور في كتاب: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، ط1(دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1991م) ص36.
- 8- تطوير مقررات اللغة العربية في التعليم العام: الرغبة في الإصلاح والعجز الدائم، فالح شبيب العجمي، بحث منشور في كتاب مؤتمر علم اللغة الثاني، اللغة العربية في التعليم العام، ط(دار الهاني، مصر، 2004م) ص595 - 596
- 9- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 230/2.
- 10- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 230/2.
- 11- أحمد مختار عمر
- 12- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 202/2.
- 13- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 93/1
- 14- المقاربة والتخطيط في البحث اللساني، الفهري، ص138
- 15- "المصطلح اللساني"، الفاسي الفهري، مجلة اللسان، ع23، 1983، ص145
- 16- جوانب من نظرية النحو، نعوم جومسكي، ترجمة، مرتضى جواد باقر، (جامعة البصرة، البصرة، 1983م) ص27
- 17- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 226/2
- 18- التحيز اللغوي وقضايا أخرى، حمزة المزيني، ط1(كتاب الرياض، الرياض، 2004م) ص205.
- 19- المشكلات اللغوية، سمير استيتية، ط(الأردن، جامعة اليرموك، 1995م) ص96 .

- 20- دراسة تقييمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي، محمد حلمي هليل ، بحث منشور في كتاب "تقدم اللسانيات في الأقطار العربية " وقائع ندوة جهوية ،دار الغرب الإسلامي، الرباط 1987 ، ص307 .
- 21- Richards et al 1985 نقلا عن دراسة تقييمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي ، محمد حلمي هليل، ص307 .
- 22- دراسة تقييمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي ، محمد حلمي هليل، ص309
- 23- اللسانيات، الفهري، ص235
- 24- اللسانيات ص234
- 25- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مصطفى غلفان، مجلة اللسان
- 26- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 45/1
- 27- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 33./1
- 28- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 33/1
- 29- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 43/1
- 30- طبيعة المفهوم اللساني وتحديد في "معجم اللسانيات الحديثة"، مصطفى غلفان ، كلية الآداب عين الشق - البيضاء
- 31- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 44/1.
- 32- ADictionary of linguistics and phonetics , David Crystal , p 94
- 33- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 237./2
- 34- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 78/1.
- 35- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 130/1.
- 36- جوانب من نظرية النحو، نعم جومسكي، ترجمة، مرتضى جواد باقر، (جامعة البصرة، البصرة، 1983م) ص27
- 37- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 43/1.
- 38- اللسانيات واللغة العربية، الفهري، 130/1
- المصادر والمراجع**
- باكلا، محمد حسن وآخرون، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، بيروت، مكتبة لبنان، 1983م. 2- بركة بسام، معجم اللسانية، طرابلس، جروس، 1985م.
- جومسكي، نعم، من نظرية النحو، ترجمة، مرتضى جواد باقر، (البصرة، جامعة البصرة، 1983م).

- الحمزاوي، محمد رشاد، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 14، تونس، 1977م.
- ---- "مشاكل وضع المصطلحات اللغوية أو تقنيات الترجمة"، مجلة اللسان العربي، المجلد 18، الجزء الأول، 1980م.
- ---- من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، ط(تونس، دار الغرب الإسلامي، 1983م).
- ---- "ثلاثة معاجم للمصطلحات اللسانية باللغة العربية"، مجلة الجمعية، 1986م، 2: 167-188
- ---- "قاموس اللسانيات"، مجلة الجمعية، 1987م، 3: 199-204.
- استيتية، سمير، المشكلات اللغوية، ط(الأردن، جامعة اليرموك، 1995م).
- العجمي، فالح شبيب، تطوير مقررات اللغة العربية في التعليم العام: الرغبة في الإصلاح والعجز الدائم، بحث منشور في كتاب مؤتمر علم اللغة الثاني، اللغة العربية في التعليم العام، ط(دار الهاني، مصر، 2004م).
- غلفان، مصطفى، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مجلة اللسان
- المزيني، حمزة، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، ط1 (كتاب الرياض، الرياض، 2004م).
- المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات، ط(تونس، الدار العربية للكتاب، 1984م) مع ثبت المصطلحات في كتاب "التفكير اللساني في الحضارة العربية" وكتاب "الأسلوبية و الأسلوب".
- مشروع معجم علم اللغة "اللسانيات"، مكتب تنسيق التعريب، الرباط.
- مصلوح، سعد، دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، ط1 (القاهرة، عالم الكتب، 1989م).
- الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، ط(الرباط، دار توبقال، الكتاب الأول 1982، والكتاب الثاني ط4، 2000م).
- --، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، ط1 (الدار البيضاء، 1998م).
- هليل، محمد حلمي، دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي، بحث في كتاب "تقدم اللسانيات في الأقطار العربية" وقائع ندوة جهوية 1987م، ط1 (الرباط، دار الغرب الإسلامي، 1991م).
- الوعر، مازن، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ط1 (دمشق، دار طلاس، 1987م).
- David , Crystal ADictionary of linguistics and phonetics , London, Andre deuth, 1980.

فاوست بين الحقيقة التاريخية والخيال الأدبي

عمار رجال
قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة باجي مختار-عناية

ملخص

تمثل شخصية "فاوست" في صورتها الحقيقية أو في صورتها الخيالية الخرافية، مادة نموذجية لبداءيات العهد الأوروبي الحديث الذي بات يؤمن بمبدأ الفردية ومن جهة، ويؤسس من جهة أخرى- لحوار لا مفر منه مع موقف كنيسة القرون الوسطى، والمتطلبات الراهنة التي فرضتها التطورات الاقتصادية والعلمية، دون نسيان القراءات الجديدة للحضارات القديمة وعليه كان جديرا بنا تتبع حياة "فاوست" الحقيقي التاريخي التي سنكشف حقا عن حقائق مثيرة للإنسان القرون الوسطى وبداية عصر النهضة.

Résumé

شغل "فاوست" الكتاب والأدباء ورجال الدين والعلم... وصار أسطورة تتنافس في سبر أغوارها وتحليل أبعادها أقلام عدّة، في لغات مختلفة، عبر قرون طويلة. كما أثير جدل كبير حول هذه الشخصية، حيث تضاربت بشأن حقيقتها الآراء والمواقف، كما كان للشك نصيب في نسج خيوطها وكشف تاريخها، وللخيال دور في ذيوها وشهرتها. وربما كان للأدباء النصيب الأوفر في الاهتمام بهذه الشخصية والوقوف عندها مليا، للاستلها منها طورا، وتوظيفها بغرض تمرير أفكارهم تارة أخرى. فكان من الطبيعي بعد هذا كله أن نقف عند حياة "فاوست"

Le personnage de Faust est, aussi bien dans sa réalité historique que dans ses représentations, un produit typique du début des temps modernes, qui voit se constituer en Europe la notion de l'individualisme, et s'articuler le débat inévitable entre la vision du monde qui prévalait dans la chrétienté médiévale et les exigences nouvelles nourries par l'essor de l'économie et des sciences ainsi que la redécouverte des civilisations antiques. C'est là que Faust, réel et imaginaire, se présente comme témoin des grands changements à la fin du moyen âge et du début de la renaissance.

و تاريخه، قصد فهمه فهما صحيحا، إذ كيف يستطيع الإنسان أن يعرف بعالم أجنبي أو أديب. تعريفا واضحا أو شبه واضح، لاسيما إذا كان الناس غربا عن هذا العالم أو الأديب. بقدر ما هو غريب عنهم ؟. أظن أن أفضل ما يفعل في هذا المجال، هو أن يقدم صورة بيوغرافية له، أو ترجمة حياته لأنها شيء لا بد منه⁽¹⁾. ولا يجب أن نقلل في هذا الشأن من نظرية "سانت بوف" Saint Beuve التي تؤكد على أن أفضل وأضمن وسيلة للبحث وللحكم على كاتب أو رجل هو الاهتمام البالغ بحياته والاستماع إليه ولمدة طويلة⁽²⁾.

فاوست التاريخي :

إن المعلومات التاريخية عن "فاوست" شحيحة ومتضاربة، وبالعودة إلى القرن السادس عشر، حيث عاش معظم سنواته، نقف عند أخبار أختصرها الباحثون في التأكيد على حقيقة أن هذه الشخصية عاشت بالفعل في ألمانيا، ليقولوا بعدها إن "فاوست" كان ساحرا، ومنجما، وطبيبيا، يحصل على رزقه من التجول وادعاء العلم والإتيان بالمعجزات، فقد استطاع أن يستميل حبّ وإعجاب الجماهير بخاصة الطلبة منهم، وكان في أغلب الأحيان مضطهدا ومطاردا من قبل الشرطة بفعل نصبه واحتياله، جنت عليه سلوكاته الشاذة وقادته إلى ذلك المصير المأساوي بعد تحالفه مع الشيطان⁽³⁾.

يفرض علينا "فاوست"، باعتباره صلب موضوعنا وجوهره، اعتماد الدقة والموضوعية والمصادقية في كل ما نقوله وندونه، وعليه ارتأينا تصنيف ما ورد من معلومات وشهادات إلى مستويات بحسب خصوصية كل واحد منها.

1 - الشهادات الأولى:

اختلفت الآراء بشأن مولد "فاوست" وموطنه، حيث قيل إنه ولد في أواخر القرن الخامس عشر، وتوفي على الأرجح في سنة 1543. أما مكان مولده فتضاربت الشهادات بين مدن ألمانية كثيرة منها: "كاندلنج" Kundling، و"رودا" Roda، و"سوندوادل" Sondwedel، و"هيدلبرغ" Heidelberg، و"كولونيا" Cologne،

وهناك شبه إجماع بأنه درس السحر بجامعة "كراكوفيا" Cracovie، وهي من الجامعات القليلة التي اشتهرت بتدريس هذا العلم في أوروبا⁽⁴⁾.

يجعلنا تتبع سيرة "فاوست" نقف أمام شخصية غريبة الأطوار، متميزة التفكير، مثيرة للجدل، هي أقرب للخيال من الواقع.

وجاءت أول شهادة تاريخية عن "فاوست" من قبل جماعة إنسانيين Humanistes التقت به وعرفته عن كثب، وكم أفرعها هول ما كان يقوم به من سلوكات شاذة، وما كان يعلنه من تطلعات رهيبة مخيفة، وعليه لم تتوان الجماعة من إصدار أحكام جد قاسية بشأنه⁽⁵⁾.

أما أول وثيقة ذكرته، هي رسالة طويلة كتبها قس مدينة "سبونهم" Sponheim الألمانية المدعو "يوهن ترتهيم" Johan Tritheim بتاريخ 20 أغسطس من عام 1507 إلى صديقة العالم الرياضي والفلكي "يوهن فردونج" Johan Virdung يخبره فيها عن "فاوست" ((إن هذا الرجل الذي كتبت إلي بشأنه، هو المدعو "جورج سابليكوس" Sabelicus الذي تجاسر فادعى أنه أول العرافين، وهو متشرد، متنفج، وكاتب جوال، يستحق أن يجلد من أجل أن يشفى من ولعه بالإعلان عن أمور رهيبة مخالفة للكتاب المقدس. إن الألقاب التي ينتحلها لنفسه هي الدليل على عقل أبله مختل، ومدع وليس فيلسوفا. فهذه هي الألقاب التي يتخذها لنفسه : المعلم "جيورجيوس سابليكوس" Georgius Sabelicus، و"فاوستوس الأصغر" Faustus Junior، ينبوع العرافة، فلكي، ساحر بارع، وقارئ موفق، ومتكهن بأمور الزراعة، ومتكهن بالنار، وحصيف في السحر المائي. فانظر إلى حماقة هذا الرجل الحمقاء، وإلى أي درجة من الجنون بلغ. إنه يزعم إنه ينبوع العرافة، مع أنه في الواقع يجهل كل العلوم الحقيقية، ولهذا كان الأحرى به أن يلقب نفسه "مهرج" لا معلم⁽⁶⁾ .

وتتفق شهادة هذا القس مع شهادات أخرى، تفيد بأن الغرور بلغ بفاوست حدّ ادعاء القدرة على إعادة تشكيل مؤلفات أفلاطون وأرسطو لو حدث أن ضاعت وامحت من عقول الناس.. كما كان له بمدينة "فورسبورج" Wurzbourg،

و"كرويسنتاخ" Kreuznach حضوراً متميزاً أعلن من خلاله في جسارة لا متناهية قدرته على إحياء معجزات المسيح. وحدث بهذه المدينة أن خلت من وظيفة مدرس، فعين بها، لكن ثبت عليه بدليل اتهام بتورطه في أبشع أعمال الفجور، وعليه تم نفيه⁽⁷⁾.

وتوالى الشهادات ، إذ بتاريخ 12 فيفري 1520 توسل له أمير وقس مدينة "بامبرغ" Bamberg الألمانية أن يقرأ له طالعه. وصدر بتاريخ 17 جوان 1528 حكم بقضي بطرده من مدينة "إنقولسخت" Ingolstadt نتيجة ممارساته المشبوهة، ثم حكم آخر يقضي بأن مجلس مدينة "نيرمبارج" Nuremberg يرفض كلية أية مساعدة للدكتور "فاوستوس" باعتباره دجّالاً محتالاً خطيراً⁽⁸⁾. وتليها شهادة تفيد بأنه أقام مطولاً في "أرفورت" Erfurt، وأظهر فيها من الخوارق والتهاول الكثير، حتى إنه استطاع بدعاواه أن يحصل على منصب محاضر عام بجامعة⁽⁹⁾. ولا يخفى أن مصدر هذه الشهادات والأحكام قساوسة ورجال دين مسيحيين من القرون الوسطى كانوا يرون أن أيّ تكبير غير مألوف في عرفهم سحر وزندقة وإلحاد.. وقد يكون فاوست من ذلك الصنف.

2 - شهادة "لوتر" وأتباعه:

أثار فاوست اهتمام رجال الدين الإصلاحيين في ألمانيا بزعامه القس "لوتر" خلال القرن السادس عشر، فعملوا على رصد خطواته، بهدف التصدي له، حتى لا ينال من نضالهم في إصلاح الكنيسة ومحاربة الفساد، فهم ((أحسوا بحق، أن تلك الأشياء الجميلة التي أغرت فاوست لم تكن إنجيلية، وأنها وثنية وبابوية))⁽¹⁰⁾، فهذا كاهن مدينة "قوطة" Gotha المدعو "موتيانوس روفس" Mutianus Rufus يكتب بتاريخ 09 أكتوبر 1513 بأن فاوست ظهر بمدينة "أورفت" Erfurt ، وكم ضاق به ذرعاً مقيموا الفندق جراء ما كان يدعيه أمامهم من خرافات ومعجزات، زاعماً نفسه نصف إله، ولكنه في واقع الحال، به مس من الجنون وكثير من الغرور⁽¹¹⁾. ولعل شهادة "ملا نختون" Melanchton، أشهر أتباع لوتر، تزيح الكثير من الشكوك حول حقيقة فاوست، حيث دوّن في كتابه "تفسير الإنجيل" بأنه تعرف على

فاوست شخصيا بحكم أنهما ينحدران من مدينة واحدة هي "كوندلنج" Kundling، درس براكوفيا وتعلم بها السحر، كان متشردا، مغامرا، سريع الانحراف، كان دوما بصحبة شيطان (في شكل كلب) يسهر على خدمته، وهذا دليل على نظرة رجال الدين المسيحيين الخرافية لفاوست. ومن أغرب ما ورد في هذه الشهادة هو محاولة فاوست، بمدينة البندقية Venice، التهام ساحر كان ينافسه في مسائل مختلفة، كما ادعى بأن له القدرة على الطيران في الهواء، إذ مكنه من ذلك قليلا شيطانه، ثم تركه يسقط أرضا، ونجا من الموت بأعجوبة⁽¹²⁾. ومن أكثر الشهادات مصداقية ما سجله "لوتر" نفسه عن فاوست، إذ جاء في أحاديثه: ((إن فاوست هذا له أن يصنع ما يشاء، لكنه في النهاية سيدفع الثمن غاليا. فليس هو إلا شيطانا متعجرفا مغرورا طموحا، يريد الحصول على الجاه في هذه الدنيا، رغم الله وكلامه، وعلى حساب ضميره وجاره، لكن من لا يريد البقاء ما عليه إلا أن يذهب مباشرة إلى الشيطان))⁽¹³⁾.

تضاف شهادة أخرى لأحد أصدقاء "ملانختون" يدعى "بوتنر" Butner تعود إلى تاريخ 1576 تؤكد بأن فاوست كان يُظهر من الخوارق والتهاوليل الكثير، منها قدرته على انتحال شخصيات معروفة كأبطال إلياذة هوميروس من مثل هكتور Hector وأوليس Ulysse والحسناء هيلينا Heleine وغيرهم كهرقل Hercule وشمشون Samson وداوود DAVID أمام دهشة الحاضرين⁽¹⁴⁾.

إن تاريخ فاوست ليس غاية في حد ذاتها، بل هو وسيلة لفهم هذا "الرجل" والوقوف عند الدوافع الحقيقية لسلوكاته الغريبة، بل لتمرده على كل ما يعوقه ويحجمه، ويصبح شاغله الشاغل أن يكشف غموض كل شيء، يبحث عن جديد، ويطأ أرضا غير التي وطأها، ويرى ما لم يره بعد حتى ليحب أن يجرب كل شيء⁽¹⁵⁾. إن كل ما يقوم به فاوست من عمل تسري فيه أنفاس القرن السادس عشر، وتنعكس فيه روح الإنسان الذي بدأ يبحث ويسأل ويشتاق للمعرفة، ويخرج شيئا فشيئا من كهف الطمأنينة اللاهوتية، محاولا إشباع هذا الشوق بكل وسائل السحر والعلم والتنجيم⁽¹⁶⁾. فرغبته الجامحة في خروج "الأنا" عن الحدود التي

رسمت لها، واندفاعه وراء "مغامرة المعرفة والتطلع" .. كلها عوامل مكنته من التفوق على خصومه، فها هو في فصل شتاء، بمناسبة حفلة دينية، تمكن من إحضار شجرة كرم محملة بعناقيد العنب الناضج، فوجه بذلك ضربة قاسية للمشككين في قدراته وللمستهزئين بمعجزاته، ولم ينج من انتقامه حتى أولئك الذين أرادوا به خيرا، إذ قيل عنه بأنه أسكن شيطانا ببيت رجل صالح حاول إنقاذه مما هو فيه⁽¹⁷⁾.

من هنا يتضح لنا كم هو مهم تاريخ "فاوست"، إنه يكشف لنا عن روح ذلك العصر، الذي فقد فيه الإنسان راحته وطمأنينته، وضاع في غياهب الشك، يبحث عن ذاته؛ تأنها بين إيمان مضطرب وأفكار جديدة، وشوق عارم للإجابة عن أسئلة ظلت تؤرقه: هل يستطيع الإنسان أن يرى كيف تسير النجوم بنظام، وكيف يرتبط كل شيء في الكون بكل شيء، وكيف تسري عليه قوانين الحياة كما تسري على سائر الموجودات.. فالإنسان من قديم الزمان حريص على الخلود، كلف بمصارعة الزمان، يريد جهد استطاعته، أن يؤكد ذاته وسط سيله الجارف⁽¹⁸⁾.

موت "فاوست" :

قضى "فاوست" حياته متمردا على القوانين والأعراف والأخلاق تاركا العنان لشهواته ودوافعه وطموحاته.. ليس بغرض تحقيق الثروة أو المتعة، بل سعيا وراء المعرفة، لم يتردد قط في توظيف كل الوسائل الممكنة تحقيقا لأهدافه، إلى أن بلغ به الأمر اللجوء إلى الشخص الوحيد الذي وعده بالإجابة على أسئلته: إنه الشيطان الذي تحالف معه، بعد أن باع له نفسه، شريطة إشباع كل طلباته ورغباته، حسب ما ذهب إليه معاصروه من مفكري القرون الوسطى.

وصل "فاوست"، بعد رحلة طويلة مع شيطانه إلى قناعة بأن العمل ليس بأخ للحلم، وإنه لم يفهم القول المأثور فهما صحيحا إيجابيا: ((إن من يأتي إلى الدنيا دون أن يترك فيها أثرا لا هو بمن يطاق ولا بمن يستحق أن يلتفت إليه))⁽¹⁹⁾. وبالتالي ندم على كل شيء، وتمكن منه اليأس والقلق، وأدرك جزاء أعماله "الغريبة" وما ينتظره في الجحيم من ألوان العذاب، إذ في يوم وعلى غير العادة بدا

حزينا، حتى أن خادم الفندق الذي يقيم فيه بمدينة "ويتمبرج" Wurttemberg انتبه لحاله وسأله عن الأمر، ولم يكن من "فاوست" إلا أن توسل إليه بألا يفزع من هول ما سيقع في تلك الليلة، لأنه أدرك أجله المحتوم، وفعلا، عند منتصف الليل، هزّ الفندق انفجار عنيف، وفي الصباح عثر على "فاوست جثة هامدة في غرفته ووجهه ملتفت إلى ظهره إذ يكون الشيطان قتله على هذا النحو⁽²⁰⁾، حسب الرؤية الخرافية وقد يكون انتحر بعدما ملّ وبئس من الحياة.

الخاتمة:

تنوعت الشهادات بشأن فاوست سواء في حياته أو بعد موته، وجاءت عموما متقاربة حول سلوكاته وأعاجيبه ومغامراته.. إلا أن هناك مشاكل أثّرت حول مصادر هذه الشهادات منها:

1 - هل هذه الشهادات تتحدث كلها عن الشخص نفسه؟ فإذا كان "ترتهميم" Tritheim يسميه "فاوست الأصغر" Faust Junior أو "جورجيوس سابليكوس" Georgius Sabellicus، ويسمى في سجلات جامعة "هيدلبرج" "يوهن فاوست" Johan Faust، وهناك من يسميه "فاوست الثري" Faust le Fortuné إشارة إلى نجاحاته في السحر والشعوذة؛ كما يسمى أيضا بـ "فاوست الأكبر" Faust Senior، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى طرح بعضهم سؤالا مهما: هل "فاوست هو الاسم الحقيقي أم هو اسم مستعار؟.

2 - لم يصل الباحثون إلى اتفاق مقنع بشأن عمره، بل هناك اتفاق على فترة يكون قد عاش فيها فاوست امتدت من نهاية القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن السادس عشر، أي أن فاوست توفي بين الخامسة والأربعين وبين سنّ الستين، ولو أن هناك من يرى بأنه مات في سنّ كبيرة.

3 - أما المشكلة الأخرى، فهي تتعلق بسنة وفاته، ففي عام 1548 تحدث البعض عنه وكأنه قد مات، وفي رسالة تعود إلى 1561 لطبيب سويسري هو "كونراد جسنر" Conrad Gessner يؤكد فيها بأن "فاوست" مات منذ فترة قصيرة جدا، والأرجح إنه توفي بعد سنة 1540⁽²¹⁾.

واضح من هذا العرض أن "فاوست" استقطب اهتمام الكثير من كبار رجال الفكر والأدب والدين والعلم. وفرض نفسه كشخصية خرافية خيالية في بداية الأمر. إنها شخصية غامضة، أثارت غضب واستياء الجميع لخروجها عن المألوف، ونالت إعجاب المتحمسين والفضوليين، في انتظار أن تدق ساعة الأدب العظيم في ألمانيا بعد القرن السادس عشر. مارس الطب وعالج المرضى وطرد الجان وتنبأ بالمستقبل، وعرف المرأة من باب الشهوة إلى أن بثت فيه حبا هذا من هيجانه وتمرده. وهي موضوعات ثرية تستحق الوقوف عندها مليا. وحاولت قلة أن تتعاطف مع "فاوست" والتخفيف من روعه، إلا أن هناك أمرا خطيرا حال دون غفران الناس له، ألا وهو تحالفه مع الشيطان، وليس بوسعنا إلا أن نردد ((إن "فاوست" إنسان يرفض الكون كما هو، من غير أن يتقبل ضرورة الخلاص منه، وسبب هذا التناقض يعود إلى تشوق الإنسان العارم للحقيقة المطلقة، وضعفه للوصول إلى هذه الحقيقة. ومن ثم عززه عن فهم وقائع التمرد ورغبته الجارفة للتحطيم))⁽²²⁾. هكذا أصبح "فاوست" مادة فكرية متنوعة تنهل منها مختلف الآداب بلغاتها المختلفة ومراحلها المتعاقبة.

الهوامش والمراجع :

- 1 - حافظ الجمالي، صورة الحياة لدى مالرو، مجلة المعرفة، عدد 179، 1977، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص88.
- 2 - Sainte Beuve, Chateaubriand et son groupe littéraire, 2 volumes, Paris 1872, Tome 1, P161, 162.
- 3 - انظر أ. د. عبد الغفار مكاوي، البلد البعيد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت، د.ط، ص43.
- BANQUIS Geneviève, Faust à travers quatre siècles, éditions Montaigne, Paris, 1955, P11.
- 4 - المرجع نفسه، ص11 و12.
- 5 - المرجع نفسه، ص12.
- 6 - جيته، فاوست، الجزء الأول، المقدمة، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، وزارة الإعلام، الكويت، 1989، د.ط، ص14.
- 7 - BANQUIS Geneviève, Faust a travers quatre siècles, P12.
- 8 - المرجع السابق، ص13.
- 9 - جيته، فاوست، المقدمة ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص16.
- 10 - د. عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر؛ دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، 1980، د.ط، ص142.
- 11 - Geneviève Banquis, Faust a travers quatre siècles, P12-13
- 12 - المرجع السابق، ص13 و14.
- 13 - جيته، فاوست، الجزء الأول، المقدمة، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، ص20.
- 14 - نفسه، ص16.
- 15 - جينه، آلام فارتز، ترجمة عادل موسى عبد العزيز، مركز شذوان، 1999، ط1، ص37.
- 16 - د. عبد الغفار مكاوي، البلد البعيد، ص42.
- 17 - Geneviève Banquis, Faust a travers quatre siècles, P15
- 18 - د. عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقريّة، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، الكويت، د.ط، د.ت، ص109.
- 19 - جون كروكشانك، ألبير كامى وأدب التمرد، ترجمة وتعليق جلال العشري، د.ط، د.ت، ص7.

- 20- انظر جيته، فاوست، الجزء الأول، المقدمة، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، ص19. وانظر كذلك: Geneviève Banquis, Faust a travers quatre siècles, P14
- 21- انظر المرجعين السابقين، ص23، وص19.
- 22- يوسف عبد المسيح ثروت، دراسات في المسرح المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، بيروت، بغداد، الطبعة الأولى، 1972، ص38.

الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليالية الحديثة(*)

يحيى بعيطيش
كلية الآداب واللغات جامعة منتوري
قسنطينة

ملخص

تحاول هذه الدراسة — كما يدل عنوانها — أن تقدم لمحة مختصرة ومحددة عن الكفاية العلمية في النظرية الخليالية الحديثة للساني الجزائري الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حاج صالح، من خلال استعراض مكونات كفايتها العلمية ممثلة في (الأصالة، الاستقامة، التفريع العامل، الخ...) وذلك من خلال مجالين متميزين هما:

— مجال مناهج التدريس التي تقوم على جملة من المبادئ المتعلم، مجال تعليمية النحو العربي الذي يأخذ بعين الاعتبار الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي.

مقدمة:

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حاج صالح، نجم ساطع في سماء اللسانيات الحديثة مغربا ومشرقا، ولا أحد من اللسانيين المعاصرين ينكر سطوع ضوئه، إن على مستوى التأطير والتدريس في الجامعات العربية مغربا ومشرقا، وتخرج جيل من اللسانيين النوعيين أو على مستوى التعريف باللسانيات الحديثة وبنظرياتها الأساسية، أو على مستوى المشاريع اللسانية الكبرى، كمشروع الرصيد اللغوي أو الذخيرة اللغوية، أو على مستوى المساهمة الإبداعية في مجال توليد المصطلح اللساني الأصيل، وخاصة النظرية الخليالية الحديثة التي اقترنت باسمه. إن هذه النظرية الديناميكية،

Résumé :

La présente étude, comme l'indique son intitulé, tente de présenter un bref et précis aperçu sur l'adéquation scientifique et didactique de la théorie Néo-khalilienne, élaborée par le linguiste Algérien, Abderrahmane Hadj Salah, tout en mettant l'accent sur les composantes de l'adéquation scientifique (telles que l'originalité, l'énoncé juste et absurde, la transformation, le gouverneur, ect...) En effet l'adéquation didactique, comprend deux champs distincts:

- Champ d'élaboration des méthodologies d'enseignement
- Champ de la didactique de la grammaire arabe, qui tiens compte de la différence entre grammaire scientifique et grammaire pédagogique.

لم تقتصر على التنظير الشامل الذي حقق لها الكفاية العلمية، التي تجسدت في ضبط وتقنين البنية اللغوية أو النحوية للغة العربية فحسب، بل سعت ولا تزال في سعي دؤوب إلى تحقيق الكفاية المراسية أو التطبيقية، بمحاولة استثمار وتوظيف مبادئها في مجالات حيوية، كالترجمة ومعالجة النصوص وتحليلها وتخزينها بواسطة الحاسوب، ومعالجة الاضطرابات اللغوية أو أمراض الكلام، وخاصة مجال تعليمية اللغات.. وبما أنه من الصعوبة بمكان الإحاطة بكل الجوانب أو المستويات السالفة الذكر في ندوة علمية أو تكميلية، بله مداخلة واحدة، فإنني أطمح في هذه الورقة أن أسلط الضوء على المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها الكفاية العلمية للنظرية الخيلية (كمفهوم الأصالة والاستقامة والعامل والأصل والفرع والتفرع ..) وعلى كفايتها التعليمية ممثلة في استثمار بعض المفاهيم العلمية السالفة الذكر، بتحويلها أو نقلها بيداغوجيا إلى مهارات عملية، يحصلها المتعلم ليبلغ بها بسهولة وتلقائية أغراضه ومقاصده ومشاعره وأفكاره، في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة والمجتمع مشافهة أو كتابة، حسب الموقف الذي يكون فيه.

تمهيد:

ترجع أصول النظرية الخيلية الحديثة إلى الأعمال الجلية الرائدة التي قدمها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) مجسدة في أول معجم عربي، هو معجم العين⁽¹⁾، وفي آرائه العلمية الخصبة التي تربو على ستمائة رأي⁽²⁾، ضمنها تلميذه سبويه كتابه المشهور بالكتاب، فضلا عن أفكار هذا الأخير الذي تمكن بعبقريته وذكائه أن يبسط أفكار أستاذه، ويوسعها ويطورها، و يضيف إليها الكثير من أفكاره التي خالف فيها أستاذه أو وافقه أو رجع بعض آرائه، مكونا بكل ذلك نظرية علمية أصيلة شغلت النحاة وعلماء اللغة بعده ردحا من الزمن.

إن هذه الأفكار الثرية العميقة التي بنى بها سبويه نظرية لغوية بلغت من السعة والشمول والدقة درجة عالية، جعلتها محطة اهتمام كثير من الباحثين والدارسين المحدثين العرب والغربيين المستشرقين بصفة خاصة⁽³⁾.

ومن اللغويين العرب القلائل الذين تفرغوا لنظرية سبويه الدكتور عبد الرحمان حاج صالح الذي عكف عليها وكرس لها ما يناهز نصف قرن من حياته، تمكن خلاله بفضل رسوخ قدمه في التراث اللغوي العربي بفهم مميز أصيل لأفكار الخليل وسبويه، وحسن اطلاعه واستيعابه للنظريات اللغوية الحديثة بصفة عامة، ونماذج النظرية التوليدية التحويلية ولاسيما النموذج العائلي بصفة أخص، حيث تمكن من إغناء الدراسات اللغوية الحديثة بنظرية لغوية حديثة، أسماها النظرية الخليلية الحديثة، وهي نظرية تجمع بين الأصالة القديمة ممثلة في استيحاء أفكار ومفاهيم الخليل وسبويه... والحدثة ممثلة في انتقاء ما يتألف ويتقارب من تلك الأفكار والمفاهيم، مكونة بذلك نظرية متماسكة، قديمة في أصولها حديثة في منهجها وتوجهها العلمي التكنولوجي، لها مفاهيمها العلمية التي تكون كفايتها العلمية، ومبادئها الأساسية التي تكون كفايتها المراسية أو التطبيقية بصفة عامة، وكفايتها التعليمية بصفة خاصة.

أ - الكفاية العلمية:

وقد تجسدت في جملة من المفاهيم، يتقاطع أغلبها مع مفاهيم النظريات النحوية الحديثة، كبعض مفاهيم البنيوية وبعض مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية والوظيفية والتداولية، ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

1 - مفهوم الأصالة :

وتتمثل في الموقف الإيجابي من التراث النحوي الذي قدمه الرعيل الأول من النحاة، حيث تتجسد في النقاء مفاهيم بعض النظريات الحديثة كمفهوم البنية والزمرة و التحويلات والعامل وبين ما أبدعه الخليل بن أحمد وطوره وأنضجه تلميذه سبويه، ومن جاء بعدهما ونحا نحوهما من بعض النحاة الأفاضل القلائل أمثال بن جني (ت 292 هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) والرضي الاستربادي (ت 688 هـ)، حيث تنتهي هذه الأصالة بنهاية القرن السادس، ذلك أن النحو بعده أصبح عبارة عن دراسات مدرسانية (Scholastic)⁽⁴⁾، غلب عليها الطابع التعليمي وغرقت في الجدل العقيم، وانفتح بذلك باب التقليد على

مصراعيه، وبدأ عصر الجمود والاجترار والشروحات وشرح الشرح، ولا أدل على ذلك من شرح الألفية ووضع الحواشي حولها وشرحها وشروح شرحها...

2 - مفهوم الاستقامة:

يميز سبويه بين السلامة الرجعة إلى اللفظ المستقيم الحسن والقبيح، والسلامة الخاصة بالمعنى المستقيم والمحال، ثم يميز بين السلامة التي يقتضيها القياس؛ أي النظام العام الذي يميز لغة من لغة أخرى والسلامة التي يقتضيها الاستعمال الحقيقي للناطقين الحقيقيين بأي لغة ما، وهو ما عرف عند سبويه بالاستحسان؛ أي استحسان الناطقين أنفسهم، وهذا المفهوم كما يلاحظ قريب من مفهوم الحدس في النظرية التوليدية التحويلية، مع فارق أصيل عند سبويه الذي يدقق هذا المفهوم بالكيفية التالية (5) :

أ - مستقيم حسن: مثل أن تقول " أتيتك أمس " و " سأتيك غدا " ؛ فهو سليم في القياس والاستعمال؛ أي مستقيم اللفظ من جهة نحوية، حسن الاستعمال من جهة عقلية.

ب - مستقيم محال: مثل أن تقول " أتيتك غدا " و " سأتيك أمس " ، فهو مستقيم اللفظ من جهة نحوية محال في المعنى من جهة عقلية؛ لأنه يجمع بين متناقضين الماضي والمستقبل.

ج - مستقيم كذب : مثل قولك " حملت الجبل " و " شربت ماء البحر " فهو مستقيم اللفظ من جهة نحوية، لكنه كذب من حيث المعنى؛ أي من جهة الواقع .

د - مستقيم قبيح : مثل " قد زيد رأيت " فهو مستقيم لفظاً، لكنه قبيح من حيث ترتيب مواضع كلماته، لأنها في غير مواضعها المقررة في النظام النحوي العربي. هـ محال كذب : مثل " سوف أشرب ماء البحر أمس " فهو مستقيم لفظاً من جهة النظام النحوي، لكنه محال عقلاً ؛ لأنه يجمع بين المستقبل " سوف " والماضي " أمس "، إضافة إلى أنه كذب؛ لأن المتكلم لا يستطيع في الحقيقة أن يشرب ماء البحر، فهو يدعي ما يكذبه الواقع.

وبناء على ذلك، فإن اللفظ إذا حدد أو فسر وفق اعتبارات تخص المعنى، فإنه يدخل ضمن التحليل الدلالي (Analyse sémantique)، أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه، دون اعتبار للمعنى، فإنه يدخل ضمن التحليل اللفظي النحوي (Analyse grammaticale).

3 - مفهوم الأصل والفرع :

من أهم المفاهيم "الأساسية التي ارتكزت عليها النظرية الخليلية الحديثة مفهوم الأصل والفرع" وهو الأساس المتين الذي أسس عليه الفكر النحوي العربي الأصيل، حيث اعتبر الخليل ومن بعده سبويه والنحاة بعده النظام اللغوي كله أصولاً وفروعاً، وهي فكرة قريبة من ثنائية الجمل الأصلية (Kernel sentence) أو (Phrases de base) التي تولدها القواعد التوليدية، في الجمل المشتقة (Phrases dérivée) التي تنتجها القواعد التحويلية، غير أن ثنائية الأصل والفرع أشمل وأدق، لأنها لا تقتصر على التركيب فحسب، وإنما تستغرق البنية اللغوية في شموليتها وكليتها أفراداً وتركيباً، من ذلك مثلاً أن النكرة أصل المعرفة والمذكر أصل المؤنث والمفرد أصل الجمع⁽⁶⁾...

4 - مفهوم التفرع :

وهو مفهوم قريب من مفهوم التحويل في النظرية التوليدية التحويلية، غير أنه في النظرية الخليلية الحديثة تحويل عربي أصيل أعمق وأدق، ينبني على ما يضاف إلى نواة الجملة الأصل أو نواة الكلمة من مباني، تقابلها زيادة في المعنى، قد تكون على مستوى الجملة من باب التوكيد أو الحصر أو التخصيص . كما تكون بالزيادة والحذف، وبالتقديم والتأخير...

وعلى مستوى الكلمة المفردة، تضاف إلى الكلمة الأصل التي تكون بمثابة نواة أو جذر، تضاف إليها؛ أي الكلمة الأصلية معان جديدة تنقل الكلمة الأصل مثلاً من العموم إلى التخصيص، ومن الأفراد إلى الجمع ومن التذكير إلى التأنيث.. كما قد تضيف بعض اللوينات المعنوية إلى المعنى الأصلي (كما هو الحال مع المشتقات)...

والخلاصة هي أن التفريع، سواء كان على مستوى الأفراد (بنية الكلمة)، أو على مستوى التركيب (بنية الجملة)، هو آلية من الآليات تلك البنية تضاف إلى يمينها أو يسارها أو "حشوها" (7)

5 — مفهوم العامل (8) :

يرتبط العامل في النظرية الخيلية الحديثة ربط تبعية بالبنية التركيبية للجملة، فعلية كانت أو اسمية، فهو المحرك الحقيقي لعناصرها والضابط لترتيبها ولعلاقاتها المحدد لوظائفها التركيبية ولإسناد الحركات الإعرابية المناسبة لها. ويمكن أن نقدم ملخصاً موجزاً لمفهوم العامل من خلال هذه المعادلة المجردة (9) :

$$\left[\begin{array}{c} \downarrow \\ 2م \pm (ع \leftarrow 1م) \end{array} \right] \pm خ$$

حيث ع : عامل، 1م : المعمول الأول ، ← : يربط المعمول الأول بعامله ربط تبعية، بحيث لا يمكن لهذا الأخير التقدم عليه، 2م : المعمول الثاني، ± : إشارة إلى تواجد العامل الثاني أو عدمه، خ : عنصر غير أساسي، أو هو الخانة المخصصة للعناصر غير الأساسية الزائدة عن الإسناد، ↓ : سهم يشير إلى أن المعمول الثاني يمكن أن يتقدم على العامل الأول وعلى معموله (10) .

مفاد هذه المعادلة أن بنية الجملة في العربية، تنطلق من البنية المجردة السالفة الذكر، أساسها نواة حملية واحدة هي الأصل لخلوها من أي زيادة، يمكن أن تفرع عليها زوائد تنصدر الحمل النووي للجملة، تغير اللفظ والمعنى، وتتحكم في بقية عناصر التركيب وتؤثر فيه، كالتأثير في أواخر الكلم، كما يوضحه الشكل الموالي (11)

غائم	الجو	ϕ
غائم	الجو	إن
غائما	الجو	كان
غائما	الجو	حسبت
غائما	الجو	أعلمت زيدا
3	2	1

يحتوي العمود الأول كما يلاحظ ، كلمة أو لفظة أو تركيبا له تأثير على بقية عناصر أو مكونات التركيب في العمودين الثاني والثالث، ولذلك سمي عاملا، لذا فإن العنصر الموجود في العمود الثاني، لا يمكن أن يقدم بحال على عامله، فهو عند سبويه المعمول الأول (م 1)، ويكون مع عامله زوجا مرتبا (Couple ordonné)، أما المعمول الثاني (م 2) الموجود في العمود الثالث، فقد يتقدم على كل العناصر، وقد يخلو موضع العامل من أي عنصر ملفوظ، كما تمثله علامة الشغور (ϕ)، كما هو الحال مع الجملة المحققة في بداية الجدول " الجو غائم " وهو ما يسمونه الابتداء؛ أي عدم التبعية التركيبية لأي عنصر سابق عليه، لا مجرد بداية الجملة كما قد يتبادر إلى الذهن⁽⁹⁾، وقد يكون كلمة واحدة، مثل كلمة أو مورفيم " إن، كان " كما في الجملة المحققة " إن الجو غائم " أو " كان الجو غائما " ، وقد يكون لفظة مثل " حسبت " أو مركبا بأكمله مثل " أعلمت زيدا " كما تمثله الجملتان المحققتان في الجدول ، وهما على التوالي: حسبت الجو غائما ، أعلمت زيدا الجو غائما .

يستخلص مما سبق أن العامل عند النحاة الأوائل، لا يقتصر دوره — كما سبقت الإشارة إليه — على الأثر الإعرابي، وإنما يتعداه إلى العلاقة التي تربط بين مكونات أو عناصر الجملة، وهذا الربط كما يوضحه القدماء نوعان :

أ - ربط بناء: يربط بين العناصر الأساسية في الجملة بجملة من العلاقات، أهمها علاقة الفاعلية التي يبنى فيها الفاعل على الفعل، وعلاقة الابتداء بين المبتدأ أو المبني عليه الخبر

ب - ربط وصل: ويربط العناصر غير الأساسية بعضها ببعض، أو بينها وبين العناصر الأساسية، كالعلاقة بين المضاف والمضاف إليه، وبين الصفة والموصوف .. وعلاقة هذه العناصر غير الأساسية بالعناصر الأساسية..

ومن خلال علاقة البناء أو الوصل التي تتم على مستوى البنية الأصلية، يتم تفرع بنى وتراكيب كثيرة عن طريق التشابك (**L'enmboîtement**) أو التضمن (**L'enchâssement**)، وطريق التكرار (**Récurtivité**) حيث يتم توسيع البنية، إما بالإطالة على خط مستقيم مثل عطف البيان أو عطف النسق والبدل والتوكيد، وإما بالإطالة التضمنية بتكرار أو استبدال عبارات أو تراكيب كاملة في مواضع "ع" أو "م" أو "أ" أو "خ" أو فيها جميعاً⁽¹²⁾، وبتوسيع نواة الجملة الأصلية، تنتقل الجملة من البساطة إلى التعقيد...

كما يتم تفرع مستويات أخرى، إما بإدخال عوامل تغير بنية الجملة، وتغير وظائفها التركيبية وحركاتها الإعرابية، من ذلك مثلاً تغيير وظيفة المبتدأ والخبر إلى مفعولين كما في جملة "حسبت الجو غائماً" أو تحويل وظيفة المفعول إلى مبتدأ بنقله من مكانه الأصلي إلى موضع الصدر، كما في جملة :
قابل زيد خالدا التي تتحول إلى :

خالدا قابله زيد ، يصبح فيها " خالدا " مفعولاً به لعامل محذوف، هو فعل محذوف يفسره المذكور⁽¹³⁾ أو في مستوى تركيب آخر أعلى وهو مستوى " التصدير "، بتغيير فيه وظيفته من مفعول إلى مبتدأ⁽¹⁴⁾ :

خالد ، قابله زيد وفي هذا السياق تدرج الأدوات التي تدخل على (ع، م، خ)، وهي الأدوات التي لها حق الصدارة أو (المسماة بحروف الابتداء)⁽¹⁵⁾؛ إذ هي عوامل توجد في مستوى أعلى، تؤثر معنوياً على كل ما يوجد تحتها، ولا يكون لها

بالضرورة تأثير إعرابي على ما تدخل عليه، من ذلك حروف الاستفهام، والاستفتاح والتوكيد والشرط...

بقي أن نشير في خاتمة هذا الملخص إلى أن كل ما سبق يتعلق بالتحليل اللفظي النحوي (Analyse grammaticale)، الذي سبقت الإشارة إليه، وأما ما يتعلق بالمعني أو التحليل الدلالي (Analyse sémantique) فإن الخليليين يميزون وفقاً لاطراد مفهوم العامل أن المعاني تنقسم إلى أصول وفروع، حيث يتحدد المعنى أو الدلالة الأصلية، أي دلالة المواضعة أو التعيين (Dénnotation) من معطيات المواضعة (données sémiologiques) المتعارف عليها في العشيرة اللغوية الخاصة بلغة من اللغات في زمان معين من تطورها، أما المعنى الفرعي أو الدلالة الفرعية، أو ما يمكن تسميته بالدلالة التضمينية (Connotation)، فتتفرع عن الأولى بعمليات تحويلية شتى لفظية وغير لفظية، هي من جنس العمليات العقلية والمنطقية والسميائية. تكفل بها علم البلاغة في ثوبها القديم الشامل لعلم المعاني الذي هو امتداد لعلم النحو، وعلمي البيان والبديع الخاصين بالكلام البليغ وجمال الأسلوب. وعلم الدلالة في توجهها المعاصر الشامل للدلالات والتداوليات.

6 – مفهوم المثال :

هو حد صوري (Formel) إجرائي تتحدد به العمليات المحدثة للوحدات المعنوية أو الألفاظ، فهو صورة تفريعية على مستوى الكلمة المفردة، تتطلق من أصل أو جذر يشتق منه ما لا يحصر من الصيغ، يسميها النحاة الأوائل المثل (Schèmes) جمع مثال، يمثل بكيفية صورية مجردة هيئة الكلمة بحيث يتم تكوين المفردات أو الكلمات في اللغة العربية بواسطة قولبة جذر يتألف غالباً من ثلاثة أصوات أصلية، هي جذر الكلمة المفترض (√)، يرمز إليه بحروف أصلية هي الفاء للأصل الأول والعين للأصل الثاني

واللام للأصل الثالث، تمثل المادة الصامتة الأصلية لبنية الكلمة أو المفردة النواة

[ف، ع، ل]

3 2 1

يتولد عن هذه النواة عن طريق حروف الزيادة وهي عشرة حروف، جمعها الصرفيون في لفظة

$$\left| \begin{array}{cccccccc} \text{س} & \text{أ} & \text{ل} & \text{ت} & \text{م} & \text{و} & \text{ن} & \text{ي} & \text{ه} & \text{ا} \\ 10 & 9 & 8 & 7 & 6 & 5 & 4 & 3 & 2 & 1 \end{array} \right|$$

يمكن القول - إذا استعرنا مفاهيم النظرية التحويلية - إن المتكلم - السامع (Locuteur-auditeur) يولد بها عددا كبيرا من المثل، أحصى منها

سبويه ما يقرب من ثلاث مئة مثال⁽¹⁶⁾، هي مجموعة القواعد (التوليدية والتحويلية)، التي ينتج بها ملكته

المعجمية (Compétence lexicale)⁽¹⁷⁾، وهي عدد غير محصور من الكلمات تعبر من مفاهيم غير متناهية. ومما يجدر إثباته هنا أن فكرة المثل مفهوم عربي لا نظير له في اللسانيات الغربية، أطلق عليه صاحب النظرية الخيلية مصطلح (Generator pattern) بالإنجليزية، ومصطلح (Schème générateur)، بالفرنسية لتأخذ مكانتها في اللسانيات العامة⁽¹⁸⁾، أضف إلى ذلك أن فكرة المثل كآلية، لا تقتصر على اللفظة أو المفردة، وإنما تتعداها إلى التراكيب بحيث يصبح النحو كله مثل، تبني عليه كل وحدات اللغة أفرادا وتركيبا⁽¹⁹⁾.

7 - مفهوم القياس:

يعتبر القياس مبدأ أساسيا عند النحاة الأوائل، اعتمده في دراساتهم اللغوية، وهو مبدأ علمي يتطابق مع المناهج العلمية الحديثة، إذ تقتضي قواعدها الشمول والاطراد، لذلك اعتبر النحاة العرب الأوائل النحو كله مقاييس ينبني على أساسها الكلام الصحيح والفصح، على أساس ذلك عرفوا النحو بأنه " علم بالمقاييس المستنبطة من كلام العرب "⁽²⁰⁾، وعنوا بذلك القياس على المطرد الشائع من كلام العرب الفصحاء، وقالوا قولتهم الشهيرة " ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب "⁽²¹⁾.

وقد أقرت النظرية الخيلية الحديثة هذا المبدأ، إذ ترى أنه أداة إجرائية لاستنباط القواعد وإلحاق بعض العناصر اللغوية بأخرى لوجود علاقة بينهما⁽²²⁾.

والحقيقة أن القياس قريب من مبدأ الأصل والفرع، فهو الوجه العملي المكمل له، لأن جوهر القياس كما يقول النحاة، هو " إلحاق الفرع بالأصل بجامع " (23)، وهذا القياس يقتضي أربعة أشياء : أصل وفرع وعلة وحكم، وذلك مثلاً : أن تركيب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله ، فنقول : " اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه، فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل "، فالأصل هو الفاعل، والفرع هو ما لم يسم فاعله والعلة الجامعة بينهما هي الإسناد، والحكم هو الرفع، وقس على ذلك قول النحاة الأصل في الأسماء الإعراب وفي الأفعال البناء، والأصل في المبتدأ التعريف وفي الخبر التأكيد ..

وعلى هذا الأساس، يكون الأصل هو اطراد الظاهرة اللغوية وكثرة ورودها، ويكون الفرع قلتها وإن صدرت عن يوثق بعروبه وعربيته ، ويكون القياس هو إلحاق القليل بالمطرد الكثير ..

ومن هنا يلاحظ أن النحاة الأوائل كانوا أقرب إلى التوليديين من بعض النحاة الوصفيين المعاصرين الذين رأوا أن فكرة الأصل والفرع قضية ميتافيزيقية لا تعتمد على مبدأ لغوي سليم .

8 – مفهوم الوضع والاستعمال :

تحليل فكرة الوضع والاستعمال على مرجعية في النظرية الخليلية الحديثة، قريبة من ثنائية القدرة والأداء في النظرية التوليدية التحويلية، حيث يعني الوضع على المستوى الأول، اللسان باعتباره وصفاً علمياً للنظام القواعدي الذي يتجسد به الكلام أو الخطاب، ويعني الاستعمال على المستوى الآخر، الكيفية العفوية التي يجري بها الناطقون الأصليون لهذا النظام في واقع الخطاب (24).

ومن هنا يتضح أن رعي النحاة المبدعين، كانوا يتمتعون بحس علمي كبير، فقد كانوا لا يخلطون بين الوضع والاستعمال، إذ كانوا يفرقون بين الوضع، كنظام قواعدي مجرد، يفترضه عالم اللغة، وهو شيء مختلف تماماً عن الاستعمال الذي يصدر عنه متكلم اللغة الأصلي، في حين خلط بعض النحاة المحدثين بينهما، حين

رفضوا ظاهرة الحذف أو التقدير التي يقتضيهما القياس ومنطق العلم، بحجة أنهما لم تسمعا عن العرب⁽²⁵⁾..

ب - الكفاية التطبيقية أو المراسية:

وتتعلق بأفكار وتصورات ومفاهيم ومصطلحات النظرية الخليلية الحديثة التي كانت محل قراءة فاحصة ودراسة متعمقة موسعة، أسفرت عن تطبيقات متعددة، تجسدت في مشاريع لغوية ضخمة، كمشروع الذخيرة اللغوية⁽²⁶⁾ والرصيد اللغوي الأساسي⁽²⁷⁾، إلى جانب أبحاث أجرتها فرق بحث متخصصة، ودراسات علمية أكاديمية (أطروحات ماجستير ودكتوراه دولة)، مست مجالات متعددة، كمجال المعالجة الآلية للنصوص والترجمة الآلية وأمراض الكلام وتعليمية اللغات ..

وإذا كان تتبع هذه المجالات بالتفصيل متعذرا ويحتاج إلى بحث خاص فإننا نكتفي هنا بمجال تعليمية اللغات، بالتساؤل عن إمكانية تحويل بعض مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة إلى مفاهيم تعليمية بيداغوجية

فهل يمكن لتعليمية اللغة العربية، إن لأبنائها كلغة منشأ أو لغير أبنائها كلغة ثانية أو كلغة أجنبية، أن تستثمر بعض مبادئ النظرية الخليلية الحديثة بصفة عامة ومنهجها النحوي الخليلي الحديث بصفة خاصة؟ وهل يمكن أن نتحدث عن ديداكتيكا خليلية حديثة تتحول بموجبها بعض مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة السالفة الذكر إلى مفاهيم بيداغوجية؟

1- الديداكتيكا الخليلية الحديثة :

إن المتتبع عن كثب للطرائق الحديثة في تعليمية اللغات وللعملية التعليمية في المؤسسات التعليمية الرسمية، يلاحظ تأثيرها ببعض المفاهيم اللسانية الحديثة، كبعض المفاهيم الوظيفية والتوليدية التحويلية وخاصة مفاهيم النظرية البنائية كانت لها تطبيقات عملية في مجال تعليمية اللغات لأبنائها أو لغير أبنائها، استمر تأثيرها إلى بداية السبعينيات من القرن الماضي في أغلب بلدان أوروبا وأميركا، ولا يزال تأثيرها مستمرا في أغلب بلداننا العربية إلى يومنا هذا.. بناء على ذلك، يمكن القول بأنه على غرار الديداكتيكا الوصفية، التي استثمرت بعض مفاهيم النظرية

البنوية، والديداكتيكا الوظيفية⁽²⁸⁾ التي استثمرت بعض مفاهيم اللسانيات الوظيفية بصفة عامة، يمكن أن نتكلم عن ديдаكتيكا خيلية حديثة، تنطلق من المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية الحديثة بصفة عامة، والأدبيات التي دارت حول هذه النظرية، من دراسات أكاديمية ومقالات ومحاضرات ومناقشات في الندوات والملتقيات، حاولت ولا تزال تحاول نقل المفاهيم العلمية للنظرية الخيلية، كمفهوم القياس والتفريع مثلاً، من مستواها الأكاديمي العلمي النظري، إلى مستواها البيداغوجي التعليمي التطبيقي⁽²⁹⁾، بحيث تتحول تلك المفاهيم إلى وسائل أو تقنيات بيداغوجية، يكتسب من خلالها المتعلمون مهارات أو كفاءات لغوية، يظهر أثرها على ألسنتهم في محادثاتهم وقراءاتهم، وعلى أقلامهم في كتاباتهم، وبكلمة مختصرة يمكن القول: إن الديداكتيكا الخيلية الحديثة هي البيداغوجيا التي تستغل مبادئ ومفاهيم النظرية الخيلية بصفة عامة، ومصطلحاتها النحوية بصفة خاصة، لتكون في خدمة المتعلمين بحيث تساعدهم على الارتقاء في المهارات اللغوية الأساسية اللازمة وعلى رأسها المهارات الأربع : الفهم، الحديث، القراءة، الكتابة.

2 - المجالات الديداكتيكية للنظرية الخيلية الحديثة :

نشير في البداية إلى أن أغلب مفاهيم النظرية الخيلية المستثمرة في تعليمية اللغة العربية تتقاطع مع المفاهيم اللسانية الحديثة (بنوية، وظيفية، توليدية تحويلية..)، مع ملاحظة أنها تتميز بأصالتها التي تربطها بخصائص اللسان العربي من جهة، وبالتراث اللغوي الأصل المبدع من جهة أخرى.

وفي هذا السياق يمكن أن نلخص العون الذي يمكن أن تقدمته الديداكتيكا الخيلية الحديثة لتعليم اللغة العربية، سواء كانت لغة منشأ أو لغة ثانية أو لغة أجنبية في مجالين أساسيين هما⁽³⁰⁾ :

2 - 1 مجال إعداد مناهج اللغة العربية :

أولى صاحب النظرية الخيلية الحديثة عناية كبيرة بتعليم اللغة العربية وإعداد مناهجها وفق أسس علمية بيداغوجية حديثة، تجمع بين الأصول اللسانية والتربوية والنفسية، نص عليها في العديد من محاضراته ومناقشاته وتدخلاته، في العديد من

المناسبات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بعض الأسس التي يجب مراعاتها في إعداد مناهج اللغة العربية :

2 - 1 - 1 أولوية المنطوق على المكتوب: وهو مبدأ أساسي أقره الدراسات اللغوية العلمية قديما وحديثا، ويعني بمصطلح النظرية الخليلية الحديثة أن المنطوق في اللغة العربية أو أية لغة، هو الأصل وأن المكتوب أو التحرير فرع عليه، ومن شأن مراعاة هذا المبدأ واحترامه أن يعيد للغة العربية حيويتها وتماسكها مع الحياة الطبيعية، يجعلها لغة صالحة للتعبير عن جميع أحوال الخطاب الطبيعي، ويخلصها من اللغة المصنوعة أو المكتوبة التي حصرتها في اللغة الأدبية المحضة .

2 - 1 - 2 تحقيق الوظيفة الأساسية للغة العربية: وهو مبدأ وظيفي تقوم به أية لغة حية، مفاده في النظرية الخليلية الحديثة أن اللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعية، وجدت أصلا كلغة بشرية كأداة تبليغ واتصال بين الناطقين بها بالدرجة الأولى، الأمر الذي يحتم على المتخصصين في وضع المناهج التعليمية ربطها بمدونة لغوية تستجيب لهذا المبدأ، بحيث تستمد موضوعات هذه المدونة (نصوص القراءة أو المطالعة، موضوعات التعبير الشفوي والكتابي، نصوص القواعد النحوية والبلاغية..) من الحياة المعاصرة التي يعيشها المتعلمون، أي أن تكون مستمدة من بيئتهم الثقافية بالمعنى الشامل مكانا وزمانا، بحيث يتحقق التكيف معها والتفاعل بها.. وهذا خلافا للمناهج التقليدية التي تركز أساسا على الوظيفة الجمالية التي تستمد مدونتها من نصوص أدبية رفيعة (نصوص شعرية بالدرجة الأولى) ..

2 - 1 - 3 مراعاة الاستعمال الطبيعي للغة: من المبادئ المهمة التي انفردت بها النظرية الخليلية الحديثة وتتم عن أصالتها وجديتها في تجديد اللغة العربية على أسس تراثية أصيلة، ولهذا المبدأ صلة وثيقة بالمبدأ الأول، مفاده أن المتخصصين في وضع مناهج اللغة العربية يجب أن يراعوا مستويين لغويين تعايشا جنبا إلى جنب زمن الفصاحة اللغوية القديمة وحفظا للغة العربية حيويتها وعفويتها ومرونتها وتماسكها مع الحياة الطبيعية للغة العربية، وهما :

أ - مستوى الاستعمال أو التعبير الإجلالي للغة : وهو المستوى التعبيري التحبيري الذي تظهر فيه عناية مستعمل اللغة بتحقيق أداء لغوي معين، حيث تظهر فيه عناية المتكلم الشديدة باختيار ألفاظ وتراكيب وبرنامج نطقي مناسب، يحرص فيه على إظهار الحركات الإعرابية، ومد الصوت ومراعاة الوقف والوصل المناسب .. ويرتبط هذا المستوى بمواقف وسياقات معينة، يربطها القدمات بمواقف الحرمة⁽³¹⁾، كخطبة الخطيب وخطاب المذيع على أمواج الإذاعة أو شاشة التلفزة ومحاضرات الأساتذة ... حيث يكون لهذه المواقف حرمتها التي يجب مراعاتها، ولا يفرط فيها أو يتساهل معها

ب - مستوى الاستعمال أو التعبير الاسترسالي : ويقصد به الاستعمال أو التعبير العفوي الذي يجري خارج سياقات ومقامات الحرمة والإجلال، كالأحاديث التي تجري بين الأقارب كالأبناء والأصدقاء والمعارف وغيرهم... حيث تعتبر هذه المواقف مواقف أنس، تسقط فيها الكلفة بين المتخاطبين، وبالتالي تتميز هذه المواقف بكثرة الاختزال والتخفف، إن في تأدية البرنامج النطقي، كاختلاس الحركات والتخفف من الإعراب.. أو الاقتصاد في التعبير، كالتخفف من الروابط والحذف والإضمار أو كثرة التكرار.. ويعتبر هذا المستوى الأخير بمظاهره المختلفة سليما فصيحاً إن استعمل في مقامه، وقد استعمل فصحاء العرب كل مستوى في مقامه المناسب، وإنه لخلط كبير وبعد عن الاستعمال الصحيح، فضلا عن بعده عن الفصاحة أن نضع هذا المستوى أو ذاك في غير مكانه المناسب، فلا يصح أن نضع مقال الأنس في مقام الحرمة، ولا مقال الإجلال أو الحرمة في مقام الإنس..

2 - 1 - 4 تحقيق مبدأ الشمولية: يقوم هذا المبدأ على أساس علمي مفاده أن مناهج اللغة العربية، يجب أن تستند على وصف علمي شامل لوضع اللغة العربية الراهن وكيفية استعمالها في الشارع والنوادي الثقافية وفي المؤسسات التعليمية المختلفة (في مراحل التعليم المختلفة...)، والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وفي وسائل الإعلام المنطوقة والمرئية والمكتوبة... ومن شأن هذا الوصف الشامل أن يجعل اللغة العربية هي الأداة المثلى لتحليل الواقع من جهة، وأنها

الأداة الأساسية للتبليغ من جهة أخرى، بحيث تدخل اللغة العربية كل المجالات الحيوية، وتصبح لغة البيت والشارع والمدرسة والحقل والمؤسسة الاقتصادية والسياسية ولغة المخبر والعلوم والفنون..

2 - 1 - 5 مراعاة الجانب النفعي في تعليم اللغة العربية: ويتعلق هذا المبدأ بمراعاة الجانب الوظيفي أو النفعي البراغماتي، إن في إعداد مناهج اللغة العربية أو تعليمها، بحيث لا يقدم كل شيء للمتعلم أو يدرس له كل شاردة وواردة في اللغة العربية؛ أي أن كل ما يوجد في اللغة ليس صالحا للتعليم، وأن كلما زاد علم المتعلم باللغة وأوضاعها يفيد المتعلم، فكرة خاطئة يكذبها الواقع، فقد ثبت أن المتكلم العادي للغة لا يستعمل في مخاطباته اليومية العادية إلا عددا محدودا من المفردات لا يتجاوز 2500 كلمة⁽³²⁾، كما أن تراكيبه الأساسية محدودة، وبالتالي فإن الإكثار أو المبالغة في شحن ذاكرة متعلم اللغة العربية، بالمفردات والتراكيب غير الوظيفية، ينافي ما يتطلبه الخطاب الطبيعي إنتاجا وفهما.

وبناء على ذلك فإن مناهج اللغة العربية، يجب أن تبنى على التحريات الميدانية التي تستجيب لما يتطلبه الخطاب الطبيعي الذي يحتاجه المتعلم الحقيقي في فترة معينة من الدراسة، أو ما أصبح معروفا بالاحتياجات اللغوية (**Les besoins langagier**) أو الرصيد اللغوي الوظيفي⁽³³⁾؛ أي القدر المشترك من اللغة الذي يكثر دورانه على السنة الناشئة في فترة دراسية معينة، بحيث يكون مناسباً لسنهم ومستواهم العقلي واحتياجاتهم من الألفاظ والعبارات والتراكيب، ولا يزيد على ذلك فيصير عندهم حشواً يضر أكثر مما ينفع .

2 - 2 مجال تعليمية النحو العربي :

غني عن البيان أن النظرية الخليلية الحديثة التي سبق استعراض أهم مفاهيمها، نظرية علمية بالدرجة الأولى، اهتم صاحبها بضبط كفايتها العلمية أو جهازها المفاهيمي الضابط لوصف وتفسير النسق النحوي للغة العربية، ارتقى بها إلى مرتبة الأنحاء الجديدة التي لها سمعة علمية في الوطن العربي، غير أن هذه الكفاية العلمية لا تشفع لها نقل تلك المفاهيم أو بعضها كما هي إلى مجال تعليمية

النحو العربي دون نقل ديداكتيكي يتم فيه تحول تلك المفاهيم العلمية إلى مهارات أو كفايات تعليمية تعليمية. وفي هذا السياق يمكن أن نرصد بعض الأسس الديداكتيكية التي دعا إليها الدكتور حاج صالح، لتعليمية النحو العربي بصفة عامة ولتعليمية نحو النظرية الخليلية الحديثة بصفة خاصة :

2 - 2 - 1 وجوب التفرقة الجوهرية بين النحو العلمي والنحو التعليمي: كثيرا ما أكد صاحب النظرية الخليلية الحديثة هذا المبدأ أو هذه الحقيقة في مقالاته وفي العديد من محاضراته، وملخصها أن النحو العلمي، كنحو الخليل وسبويه الذي يدعو إليه شيء والنحو التعليمي شيء آخر؛ فالأول نظرية علمية، مهمتها الأولى وصف وتفسير النسق العام للغة العربية من خلال جهاز مصطلحي مفاهيمي، يضبط الأحكام والمبادئ العامة والقوانين التي تخضع لها خصائص اللغة العربية.

أما النحو التعليمي هو نحو مهاري، مهمته الأولى بيداغوجية، تنحصر في توظيف أو استثمار بعض المفاهيم والمصطلحات النحوية من هذه النظرية أو تلك، مثل استثمار بعض مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة، لتتخذ أصولا ومبادئ لبناء منهجية تعليمية متسقة ومنظمة، تعتمد على النتائج التي توصل إليها علماء النفس والبيداغوجيا واللسانيات التطبيقية⁽³⁴⁾، من أجل تحقيق أهداف وكفاءات أو مهارات لغوية، تغطي احتياجات فئات معينة من المتعلمين في سنة دراسية ما أو مرحلة تعليمية معينة، بحيث تتحول وفق استراتيجيات وأنشطة تعليمية منظمة إلى معارف عملية سلوكية، تتوفر فيها جودة الممارسة (Savoir-faire) وحسن التصرف (Savoir-Etre)⁽³⁵⁾ في البنى اللغوية التي يقتضيها حال الخطاب أو مقام التبليغ.

2 - 2 - 2 مفهوم النحو الضمني (Grammaire Implicite): له علاقة وطيدة بمفهوم الملكة أو السليقة اللغوية، بوصفها جملة من الاستجابات اللغوية الصحيحة التي يستضمرها متكلم لغة ما بطريقة عفوية من الوسط اللغوي الذي يعيش فيه، بحيث يصدر بعفوية وتلقائية التراكيب اللغوية المناسبة الموائمة للمقام أو الموقف التبليغي المناسب، ولقد أشار الخليل قديما في النص الذي نقله لنا الزجاجي إلى أن "العرب نطقن على سجيتهن وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها

علله، وإن لم ينقل عنها " إذ يظهر من هذا المضمون أنه يفرق بين معرفة العرب بمواقع كلامها، وهي معرفة نحوية ضمنية مغيبة، وبين عدم نقلهم إلينا ذلك في صورة نحو نظري ظاهر أو صريح⁽³⁶⁾.

وقد استثمر المختصون في التعليمية هذا المفهوم، فميزوا في النحو التعليمي أو البيداغوجي (**Grammaire Pédagogique**) بين نحوين : نحو ضمني غير مباشر ونحو صريح (**Grammaire Explicite**) مباشر، فالأول نحو طبيعي سلفي، يتم تعلمه بطريقة عفوية أثناء ممارسة الأنشطة التعليمية المختلفة (نصوص القراءة والمحادثة ...)، دون الخوض في شرح المصطلحات النحوية، مع إمكانية الإشارة إليها من حين لآخر.

أما النحو الصريح فهو النحو الذي يتم تعلمه من خلال منهاج نحوي تحدد فيه الموضوعات النحوية والصرفية، لتقدم ضمن سلسلة من الدروس النظرية التطبيقية، تشرح فيها المصطلحات النحوية بطريقة مباشرة، مدعمة بتعريفات إجرائية على طريقة سبويه الذي يميل إلى الوصف والتمثيل وتعزيز المفاهيم النحوية واللغوية بنماذج حية⁽³⁷⁾، لا تغرق في التعريفات النظرية المجردة، ثم ترسخ بتدريبات وتمارين مختلفة.

وقد أثبتت التجارب نجاعة وفعالية القواعد الضمنية⁽³⁸⁾، فضلاً عن أن الاقتصاد في الوقت والجهد ، يقتضي تقديم النحو الضمني على النحو الصريح خصوصاً في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي، الأمر الذي جعل بعض الدول المتقدمة لا تدرس النحو الصريح إلا في المراحل المتقدمة من التعليم الثانوي والجامعي⁽³⁹⁾.

2 - 2 - 3 مفهوم القياس: أي أن القياس كفعالية للإنتاج والفهم التلقائي لعدد لانتهائي من الصيغ على المستوى الإفرادي، أو الجمل الصحيحة على المستوى التركيبي، بناءً على مثل لصيغ وأنماط جمالية سبق التعرف عليها، وهو قريب من مفهوم الإبداعية في النظرية التوليدية التحويلية الذي جعل المختصين في التعليمية يدعمون تقنية الأنماط التركيبية أو الجمالية (**Sentence Patterns**) التي سنراها النحو البنوي ويطورونها بإدراج جملة من التدريبات أو التمرينات المكثفة لترسيخ

تلك الآليات النحوية الأساسية (أفراداً وتركيباً) في أذهان المتعلمين، من خلال وضعها في سياقات ومقامات تستدعيها العملية التبليغية، وأهم هذه التدريبات أو التمرينات (40):

أ – التمارين الإنتاجية (Exercices de production): وهي نوع من التدريبات المنظمة، يطالب فيها بإنتاج :

– جملة أو جمل قياساً على الأنماط التالية مثلاً : ف + فا // ف + فا + مف // مف + ف + فا ...

– أضف مفعولاً أو صفة أو ابدأ الجملة أو الجمل التالية بفعل كذا أو كذا

ب – تمارين إبداعية (Exercices de création) :

– ابحث عن السؤال أو الأسئلة المناسبة لهذه الجملة أو هذه الجمل.. أو ضع الإجابة المناسبة للسؤال أو الأسئلة التالية ..

– أعد ترتيب الجمل المشوشة لهذه الفقرة... ضع النهاية المناسبة لهذه الحادثة أو القصة.. أكمل الحوار التالي... املأ الفراغات (بالكلمات بالعبارات بالجمل.. المناسبة...)

– الاختيار من متعدد : وغالباً ما يتم باختيار إجابة صحيحة من عدة إجابات خاطئة لكنها قريبة من الإجابة الصحيحة.. ويشمل هذا النوع من التمارين كل المستويات اللغوية تقريباً : المعجم، الدلالة، التراكيب (جمل بسيطة أو معقدة)...

2 – 2 – 4 مفهوم الكفاية النحوية أو أساسيات النحو: ترتبط بالأصول والفروع أو هي مستمدة من مبدأ الأصل والفرع، فالمتعلم ليس بحاجة إلى معارف مفصلة وضافية حول القواعد النحوية أو الصيغ الصرفية، ولا إلى فلسفتها، فهذه أمور تهم المتخصصين⁽⁴¹⁾ لا المتعلمين فضلاً عن المبتدئين، وضررها في هذا السياق أكثر من نفعها، وإنما هو بحاجة ماسة إلى الأساسيات النحوية، إن على المستوى الإفرادي أو التركيبي، يتخذها كأصول يفرع عنها بالمران والتدريب المنهجي ما يقوم لسانه وقلمه من الخطأ.

2 - 2 - 5 البعد عن الأمثلة المصطنعة : ويعني هذا المبدأ الانطلاق من وضعيات تبليغية حقيقية، تمثل الواقع الذي يعيشه المتعلم فعلا ويتفاعل معه، لا من أمثلة أو نصوص مصنوعة هدفها القريب والبعيد التمثيل للصحة القواعدية، دون غيرها، كما يجب ترك التعليقات والتخريجات والتعليقات الهامشية، حتى لو كانت من إنتاج الخليل وسبويه، لأن المطلوب هو تحصيل ملكة اللغة، وليس القدرة على التفسير العلمي للبنى اللغوية التي هي من اختصاص علماء اللسان⁽⁴²⁾.

2 - 2 - 6 ضرورة ربط النحو بالبلاغة: إن النحو والبلاغة مترابطان ومتلازمان، لذا لا يكتفى في تعليم قواعد اللغة العربية بتحقيق الصحة النحوية؛ أي الاختصار على جانب السلامة اللغوية التي تجعل الطالب قادرا على تطبيق القواعد النحوية وحدها، دون مراعاة ما تسلزمه عملية الخطاب وحال المخاطب، من سياقات ومقامات تستوجب اللجوء إلى القواعد البلاغية، التي لا تعد امتدادا للنحو فحسب، وإنما هي شرط ضروري تتوقف عليه نجاح عملية التبليغ، وتتحقق من خلالها صحة مقولة لغويينا القدماء المشهورة لكل مقام مقال.

وعليه فإن البلاغة المقصودة هي القدرة على التبليغ الفعال⁽⁴³⁾ لما تواضع عليه أهل اللغة في المواقف والوضعيات التبليغية المناسبة، وبهذا المعنى الواسع لا تكون البلاغة من الكماليات الموقوفة على الأدب ولا ينحصر استعمالها على التعبير الأدبي فحسب، وإنما هي العمدة في التبليغ على اختلاف أنواعه وأشكاله، إن على مستوى المشافهة أو الكتابة نثرا كانت أم شعرا في مقامات الحرمة والإجلال، أو مقامات الأنس والاسترسال.

الخاتمة :

بعد العرض الموجز الذي حاولنا من خلاله أن نسلط بعض الأضواء على الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، يمكن أن نخلص إلى القول بأن النظرية الخليلية الحديثة هي ملتقى طرق موفق لآراء ومفاهيم النظرية النحوية القديمة التي أنتجها جيل النحاة الأوائل المبدعين، وعلى رأسهم الخليل ابن أحمد

وتلميذه سبويه، مع مفاهيم أساسية من نظريات لسانية حديثة (بنويّة ووظيفية وتوليدية تحويلية وتداولية).

وفي الأخير، يمكن أن نختم مداخلتنا بهذه الاقتراحات :

1 – دعوة اللسانيين المحدثين إلى دراسة النظرية الخليلية الحديثة من أجل تمحيص كفايتها العلمية والتعليمية وإثرائها بقصد إدماجها كنظرية حديثة في أسلاك التعليم المختلفة

2 – الدعوة إلى ديداكتيك حديثة، تستوحي مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة

3 – دعوة المختصين في تعليمية اللغة العربية إلى الاستفادة من الأسس العلمية والمبادئ البيداغوجية للنظرية الخليلية الحديثة، إن في إعداد مناهج اللغة العربية أو في تعليمية النحو العربي

4 – إعادة تكوين أو رسكلة المعلمين على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة .

هوامش البحث

*- أصل هذه الدراسة مداخله قدمت في ملتقى دولي حول "الأعمال العلمية للأستاذ عبد الرحمن حاج صالح و العلوم اللسانية الحديثة" تنظم مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية، يومي 3 و 4 جوان 2008 بفندق الجزائر - الجزائر العاصمة.

1- ينظر : حاج صالح : النظرية الخليلية الحديثة، في: مجلة اللغة والأدب ع : 10 رجب 1417 هـ - ديسمبر 1996 م معهد اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر ، ص ص 85 - 100

2- ينظر: حاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، مداخله قدمت في: تقدم اللسانيات في الأفطار العربية: وقائع ندوة جهوية. أبريل 1987 الرباط ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان، 1991، ص ص: 366 - 394

3- ينظر : Gérard Troupeau : La logique d'Ibn Al-Muqaffa et les origines : Etude de la grammaire Arabe, dans : Arabica , numéro spécial : Etude de linguistique Arabe , juin - septembre 1981

4- حاج صالح : النظرية الخليلية الحديثة : مفاهيمها وأسسها، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية كراسات المركز ع: 04 ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائر 2007 ، ص : 64

5- سبويه، أبو بشر عمر بن قنبر : الكتاب، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة 1983 ص ص: 25- 26 وينظر : بشير إبرير : دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، 2007، ص ص: 42 - 43

6- شريف بوشحidan : التفكير اللساني العربي القديم من خلال النظرية الخليلية الحديثة، في : اللسانيات واللغة العربية، ع: 01 منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، 2006، ص: 140

7- ينظر : حاج صالح : كراسات المركز ع : 04 ، مرجع سابق، ص : 76

8- نفسه، ص : 37

9- نفسه، ص : 37

10- نفسه، ص : 38

11- نفسه، ص : 38

12- ينظر التفاصيل في : كراسات المركز ، مرجع سابق ، ص ص : 80 - 83

13- ينظر بنية الاشتغال مثلا في ألفية ابن ملك

- 14- ينظر: التحليل الوظيفي الذي قدمه أحمد المتوكل، في : الوظائف التداولية في اللغة العربية. دار الثقافة. الدار البيضاء. 1985.
- 15- ينظر التفاصيل ف : كراسات المركز، مرجع سابق، ص: 37
- 16- نفسه، ص: 78
- 17- ينظر: Colin, Maria Teresa Cabré : La terminologie , Ed . Armand Paris France 1998, P : 69
- 18- ينظر: حاج صالح: كراسات المركز ع: 04، مرجع سابق، ص: 77
- 19- نفسه، ص : 77
- 20- ينظر: أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1963
- 21- نفسه
- 22- ينظر أبو البركات بن محمد الأنباري: لمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، ط2 بيروت 1971، ص: 93
- 23- نفسه، ص: 146
- 24- ينظر: ينظر: حاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، مرجع سابق
- 25- ينظر : شريف بوشحdan : التفكير اللساني العربي القديم من خلال النظرية الخليلية الحديثة، مرجع سابق
- 26- ينظر: حاج صالح: مشروع الذخيرة اللغوية وأبعاده العلمية والتطبيقية، في: الآداب، ع: 03 السنة 1417 هـ 1996 م ، معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة ، ص ص: 05 – 19
- 27- ينظر: الرصيد اللغوي الوظيفي (للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائي)، اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي، ط1 منشورات المعهد التربوي الوطني، الجزائر 1395 هـ 1975 م
- 28- ينظر: عبد العزيز الفاربي: مناهج تدريس اللغة العربية بالتعليم الأساسي: من الكفاية اللسانية إلى الكفاية التواصلية، في: منهجية تدريس اللغة الأم بالتعليم الأساسي، وقائع الملتقى المغاربي، قرطاج: 14، 15، 16، أكتوبر 1993، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس 1995، ص ص: 113 – 127
- 29- ينظر: علي آيت أوشان : اللسانيات والديداكتيك: نموذج نحو اللغة العربية الوظيفي، في: النحو الوظيفي واللغة العربية، وقائع ندوة تكميلية للأستاذ أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء، المغرب 2005 ، ص ص: 113 – 131

- 30- ينظر: محاضرات الأستاذ الدكتور حاج صالح:
— الأسس العلمية واللغوية لتطوير تدريس اللغة العربية : مداخلة قدمت في : ندوة تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية جامعة الجزائر 1983
— الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية: مداخلة قدمت في ملتقى الفكر الإسلامي العشريون
— المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، مرجع سابق.
- 31- ينظر محاضرة الأستاذ الدكتور حاج صالح: الأسس العلمية واللغوية لتطوير تدريس اللغة العربية، مرجع سابق
- 32 ينظر : المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، مرجع سابق.
- 33- ينظر : الرصيد اللغوي الوظيفي ، مرجع سابق
- 34- ينظر : Besse . H & Galisson . R : Polémique en didactique ;Clé international. Paris 1980. p p : 35 – 40
- 35- ينظر : Lansier François : Réussir la formation par compétences. Ed. Guérin. Montréal (Québec). Canada 2000.
- 35- نفسه
- 36- أبو القاسم الزجاجي :الإيضاح في علل النحو،تح : مازن المبارك،دار النفائس ط3 بيروت 1979 ص : 66
- 37- ينظر: بشير إيرير : ظواهر التخاطب والمشافهة عند سبويه وكيفية اكتسابها، في: دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، مرجع سابق.
- 38- محمد صاري: المصطلح النحوي وإشكالية تدريسه ، في : أعمال ملتقى اللغة العربية والمصطلح، يومي: 19، 20 ماي 2002، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة باجي مختار عنابة،2006،ص: 129
- 39- نفسه، ص: 129
- 40- ينظر : Jean-Louis Chiss Et Jacques Filliolet :Des changements théoriques dans la linguistique au renouveau de l'exercice de grammaire? : Revue de linguistique appliquée N :48, Octobre – Décembre 1982, Didier , Erudition, France , p : 52
- 41- ينظر : الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية، مرجع سابق.
- 42- ينظر : الأسس العلمية واللغوية لتطوير تدريس اللغة العربية، مرجع سابق.
- 43- ينظر التفاصيل في : عبد الرحمن حاج صالح : التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية،ع:6 جويلية – ديسمبر 1995 الجزائر، ص ص : 9 – 31

لفظ التأويل من منظور علماء المسلمين

أحمد مداس
قسم الأدب العربي
جامعة محمد خيضر-بسكرة

ملخص

كيف فهم علماء الإسلام التأويل؟ وكيف طبقوه على النص الديني ونصوص الأدب؟ ثم كيف كانوا معارفهم الخاصة مع المعرفة الدينية وخاصة في باب العقائد؟ لقد كان لهم رغم التخصص علاقات تواشج ارتبطت أساسا بالانتماء الفكري؛ فجاء التأويل عند كل طائفة مختلفا عن غيرها مما أّجج الصراع الفكري والديني والعقائدي، وأنتج موروثة علميا غنيا يمكن للباحث العربي المعاصر أن يتخذ منها سنداً دون ما حاجة إلى موروثة الغير، رغم التقاطعات التطيرية والإجرائية.

Résumé

Comment les musulmans avaient-ils pu comprendre le concept d'interprétation? comment l'avaient-ils appliqué sur les textes religieux et littéraires? Comment avaient-ils adapté leurs connaissances à la religion, surtout en matière de culte? Ils avaient, malgré la spécialité, des relations de convergence basées sur l'appartenance idéologique. C'est ainsi que l'interprétation apparaissait multiple, ce qui avait donné naissance à un antagonisme intellectuel et religieux qui deviendra par la suite un riche patrimoine pour tout chercheur arabe contemporain. Lui épargnant le besoin du patrimoine d'autrui, malgré les intersections épistémiques et pratiques.

لفظ التأويل من منظور علماء المسلمين:

يجري العمل لتعيين مفهوم التأويل على مناقشة علماء الأصول والفقه والمحدثين وأصحاب المعاجم، واشتراكهم جميعا في مسألة العقائد والتوحيد، وفق معطى نظري وسند إجرائي مع تعيين آلية التأويل واتجاهاته في موروثة.

أ- المعطى النظري:

1- الدلالة والتأويل:

تأرجح التأويل في عرف علماء المسلمين حسب التوجه والاهتمام، ولكنهم خاضوا فيه على اعتبار الموسوعية والشمولية التي تميزوا بها. وسأنتبع مفهوم التأويل لا على أساس تلك التوجهات الخاصة، وإنما على أساس العلاقة القائمة بين الكلمة (mot) والدلالة

(sémantique) في كل مناحي الاستعمال الكلامي اللغوي (langage)، سواء أتعلق الأمر بالعلوم الشرعية أم بالعلوم اللغوية لاشتراكها في موضوع البحث. إنَّ الدليل اللغوي (signe linguistique) المرتبط بالنص الشرعي-أدلة الأحكام- يقوم على ثنائيات متقاربة تنازعها الميل إلى النقل والعقل، وتفصيل الموضوع كما يلي:

1.1- الدليل الشرعي وثنائية القصد والفهم:

إنَّ (الأدلة الشرعية ضربان، أحدهما ما يرجع إلى النقل، والثاني ما يرجع إلى الرأي، وهذه القسمة بالنسبة لأصول الأدلة، وإلا فكل واحد من الضربين مفتقر إلى الآخر؟ لأن الاستدلال بالمنقول لابد فيه من النظر، كما أن الرأي لا يعتبر شرعا إلا إذا استند إلى النقل)⁽¹⁾.

وتكون أنواع الدلالة على ذلك حقيقية وإضافية:

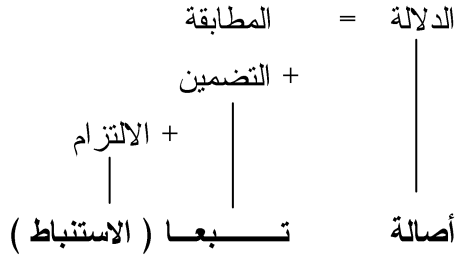
1.1.1- الدلالة الحقيقية والقصد:

الدلالة الحقيقية ما يقصده المتكلم بكلامه، فهي تابعة لقصد المتكلم وإرادته وهذه دلالة لا تختلف⁽²⁾؛ لأن المعنى (sens) تابع لقصد المتكلم، وكذا إرادته والألفاظ في حقيقتها وسيلة من وسائل الدلالة على القصد، ويتبعها ما (اقترن به من القرائن الحالية واللفظية وحال المتكلم وغير ذلك)⁽³⁾.

2.1.1- الدلالة الإضافية والفهم:

والدلالة الإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافا متباينا بحسب تباين السامعين في ذلك⁽⁴⁾. وجرى الغزالي في تعيين الدلالة إلى الجمع بين المقصود أصالة والمقصود تبعا وما كان بينهما، وهي عنده مطابقة وتضمنين والتزام؛ فـ (دلالة المطابقة، أن يدل اللفظ دلالة كاملة على معناه المقصود (...). أما التضمنين فكان يدل لفظ بيت على السقف فقط أو الجدار على اعتبار أن البيت يشمل السقف وكذا الجدار. ودلالة الالتزام تسمى كذلك بالدلالة غير اللفظية، وهي كون اللفظ له معنى لشيء لازم من خارجه كدلالة لفظ السقف على الجدار)⁽⁵⁾. فتكون الأصالة مشتملة على المطابقة وهو القصد المراد، ويشمل

الاستنباطُ التضمينَ والالتزامَ، وهو المضاف على الحقيقة، بما يفتح مجال التأويل بإلحاق غير المقصود بالمقصود. والتأويل هنا مستحسن مرغوب فيه، لتحقيقه المصالح وإدراكه الحقائق. وعليه تجمع أطراف الموضوع كما يلي:



إن الدليل اللغوي الشرعي هو الذي يبيح هذا التقسيم لاشتماله على صفتي الوضوح والغموض ؛ فمنه الواضح في قصده ومراده، ومنه غير الواضح في ذلك كله:

- الواضح⁽⁶⁾: ومنه:

- النص: لغة هو رفع الشيء بحيث يكون في غاية الوضوح والظهور، وهو ما دلَّ على معناه المقصود مع احتمال التأويل والتخصيص.

- الظاهر: ما دلَّ لفظه على المراد منه، وهو غير المقصود أصالة مع احتمال التأويل والنسخ في عهد الرسالة.

- المفسر: ما دلَّ على معناه المقصود أصالة بعيدا عن احتمال التأويل.

- المحكم: ما دلَّ على معناه المقصود أصالة بعيدا عن احتمال التأويل والنسخ.

- غير الواضح⁽⁷⁾: ومنه:

- الخفي: ما دلَّ لفظه على معناه الظاهر، والخفاء يعرض له عند الدلالة ويزول بالنظر والتأمل.

- المشكل: ما خفي معناه لسبب في ذات اللفظ، يزول بقرينة (indice) ما.

- المشترك: ما احتمل لفظه أكثر من معنى، والمقام (situation) يرشد إلى المقصود.

-المجمل: ما صلح لفظه بأحد المعاني ، ولا يتعين معناه إلا بوضوح اللغة⁽⁸⁾،
ويحمل معناه في لفظه فإذا تبينه العالم زال الإجمال.

-المتشابه: من الالتباس، وهو ما خفي معناه، ولا يرجى معرفته في الدنيا لعدم وجود قرينة تدل عليه، ولم يرد عن الشارع بيانه، يؤمن به المسلم، ويُفَوَّضُ في علم حقيقته .

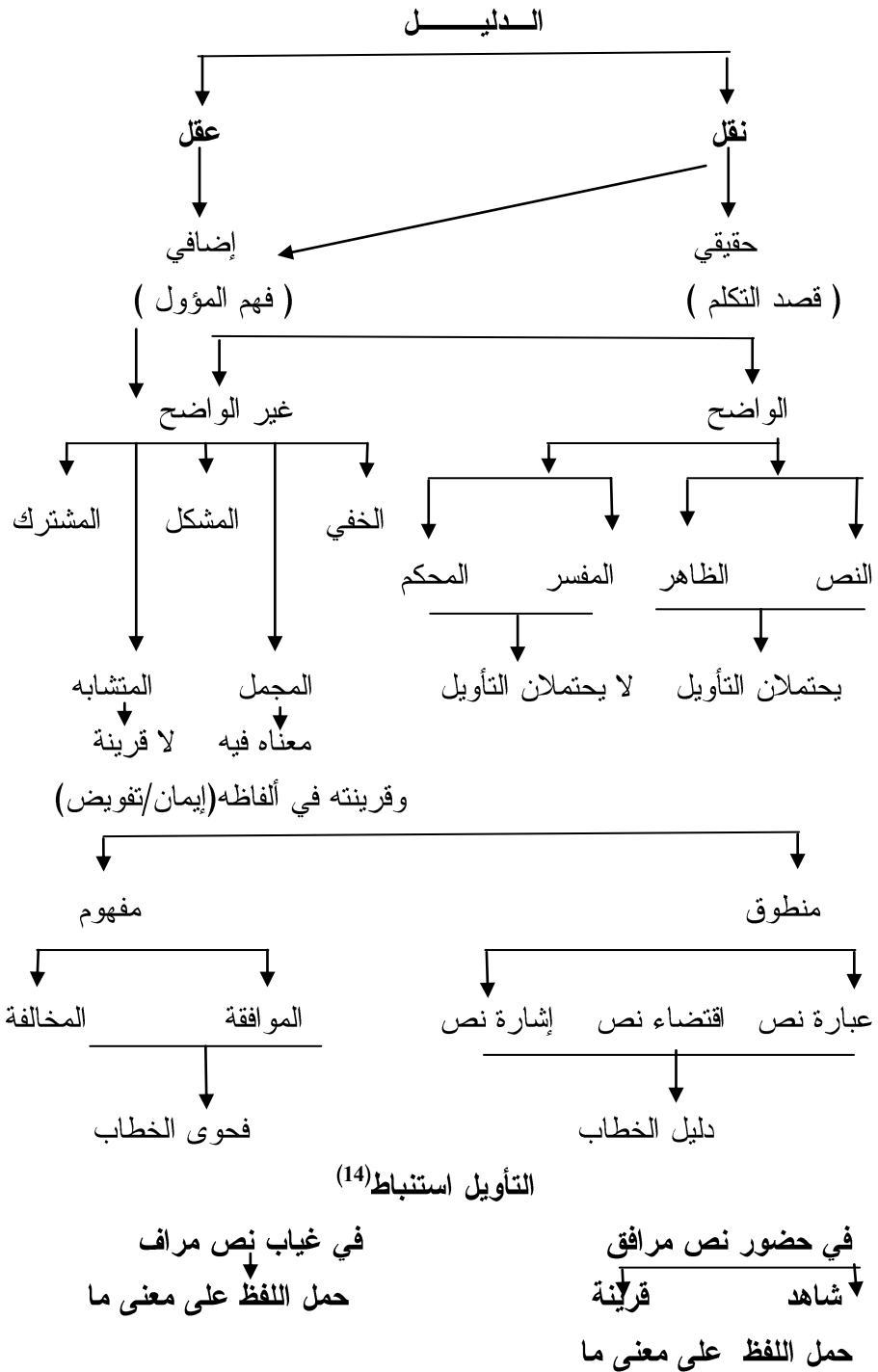
- إشارة النص دلالة إلزامية: ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه⁽⁹⁾ .

- دلالة اقتضاء: اقتضاء النص بلفظه لازم معناه.

- دلالة الفحوى / مفهوم الموافقة: فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة المقام (ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محل النطق)⁽¹⁰⁾، فهي من قبيل التنبيه بالأدنى على الأعلى أو العكس بحيث المسكوت عنه يكون أولى في الحكم من المنطوق به، وقد يكون مساويا ومعادلا أحيانا، بتقدير من فهم المؤول.

- مفهوم المخالفة: وهو (ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق)⁽¹¹⁾. أو (ما يكون المسكوت عنه مخالفا للمذكور إثباتا أو نفيا، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به)⁽¹²⁾.

يتعين من هذا العرض وجود المعنى الحقيقي قصدا من الشارع وعلمنا من المأمور، كما يتعين وجود المعنى الإضافي فهما من المأمور بإعمال التأويل، يلحقه بالحقيقي على سبيل الموافقة أو على سبيل المخالفة، سواء بدا الدليل واضحا أو غامضا. وبذلك يتعين الوضع الجديد -ثنائية النقل والعقل-، وكلاهما يحيل على التأويل فهما؛ لأن إدراك المقاصد لا يتوقف على الظاهر فحسب، بل يستلزم دقة التمحيص وجدة البحث، بما يجعل التأويل المعادل للفهم والإدراك سائدا، بل مفروضا. ويبقى المجمل-رغم قرينته التي يحملها في لفظه- والمتشابه من الأدلة يحيلان على شكل آخر من التأويل، هو محل نزاع، وله مكان غير هذا سيأتي⁽¹³⁾.



وعليه؛ عمد علماء الأصول إلى التمهيد في الدليل اللغوي بحثاً عن الدلالة المقصودة من الشارع في أدلة الأحكام لتحقيق غرض العبادة، وأعملوا التأويل بجميع مستوياته خدمة لهذا الهدف، ثمَّ عمَّمو ذلك ليشمل كل كلام ينتجه الإنسان، ونخلص إلى ما يلي:

1. من الحقيقي الواضح ما يحتمل التأويل، وأما غير الواضح فكله إضافي يقع الفهم فيه تبعاً لا أصالة بالتأويل والاستنباط.
 2. المقصود لذاته مفهوم لذاته، وغير المقصود لذاته مفهوم لذاته ومقصود أيضاً بدلالة الفهم؛ فلو لم يكن كذلك ما شمله الفهم.
 3. القصد يحوي الفهم، وبينهما لغة مشتركة وتواضع، توسَّعت من خلالها مساحة الفهم.
 4. الفهم مراتب ومستويات، والتأويل أغلب الظن في هذه المراتب، والمستنبط عند المؤول مقصود لذاته أو مقصود لغيره.
- يقع التأويل بناءً على هذا منهجاً للدراية والعلم؛ ولذلك يظهر في عدة أشكال كلها تنحو إلى غرض واحد هو إدراك المقصود من الدليل اللغوي، وقد اختلفوا في تعيين حدِّه كما سيأتي إلى مذاهب.
- يُظهر تتبع علاقة أدلة الأحكام بالتأويل نسبية ثنائية النقل/العقل؛ فيتم إعمال العقل في إطار النقل، كما يتم إعمال النقل في إطار العقل، وكلُّ دليل على صحة التوجه والمذهب. كما يقع العقل مقابلاً للنقل في مجال العقائد، وهنا لا يخضع التأويل لقوانين اللغة وحدها وإنما للتيار الفكري والإيديولوجي، ورغم وحدة القصد اتفاقاً يكون الفهم اختلافاً بالضرورة.

2- حدّ التأويل:

توجَّهت طائفة من العلماء إلى تعيين حدّ التأويل من خلال رصد العلاقة بينه وبين التفسير للوصول إلى مفهومهما، وانتهى اجتهادهم -والله أعلم- عند أربعة من المعاني:

1.2- التأويل بمعنى الرجوع إلى الأصل:

ونحن هذا المنحى الراغب الأصفهاني حين أكد أنّ التأويل من الأول، أي الرجوع إلى الأصل⁽¹⁵⁾. وقد لا يكون الأصل في كل الأحوال معروفاً؛ مما يحمل البحث على الاختلاف لاختلاف المدارك وتباينها، وتمايز القدرة على الاستنباط والاستقصاء.

2.2- التأويل بمعنى ما ينتهي إليه الشيء:

كما هو عند الأمدي وأبي بكر الرازي حين أكد أن التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء⁽¹⁶⁾. وتعين ذلك عند ابن كثير في قوله: (التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه)⁽¹⁷⁾. وإلى ذلك يذهب الشنقيطي في أحد احتماليه مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽¹⁸⁾ (ويحتمل أن المراد ... حقيقة أمره التي يؤول إليها)⁽¹⁹⁾. والمعتبر على هذا، تعيين ما يؤول إليه الكلام، وينتهي عنده المعنى المراد باللفظ. وتقتضي المعرفة الاتكاء على ما يؤدي ذلك المراد وهو ما يوسع دائرة الفهم لذات العلة السابقة مع السابق من المعاني.

3.2- التأويل بمعنى حمل الكلام على معنى بغير لفظ المنطوق:

ولذلك بين الفراهيدي أنّ (التأويل تفسير الكلام الذي تختلط معانيه ولا يعلم إلا ببيان غير لفظه)⁽²⁰⁾ بالنقل عن الظاهر إلى ما يُحتمل؛ إذ هو (إخراج اللفظ من دلالاته الحقيقية إلى دلالاته المجازية من دون أن يخل ذلك الانتقال بعادة لسان العرب في التجوز..⁽²¹⁾ أي بوجود القرينة التي تبيح الصرف.

4.2- التأويل في مقابل التفسير تساويًا وتمايزًا:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾⁽²²⁾. هذه الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها التفسير في مقابل كل آيات التأويل السابقة، ولذلك رُبط مفهوم التأويل مرتبطاً بمفهوم التفسير تفرقةً أو تسويةً. وعليه؛ فرّق السيوطي بينهما على أساس أنّ التفسير معاني الألفاظ... والتأويل دلالة التراكيب⁽²³⁾. وسوى الفيروز آبادي بينهما وأعطاهما المفهوم عينه في توضيحه أحدهما معاً؛

إذ عنده (التفسير والتأويل واحد والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر)⁽²⁴⁾، موافقا من قال بحمل الكلام على معنى بغير لفظ المنطوق. يتبيّن من هذا العرض أن أصحاب المعاجم يميلون إلى إيجاد المخرج عند التعارض، ولذلك يميلون إلى حمل اللفظ على المعنى الذي يلائم الجادة متى جاز لهم التأويل؛ فيُسوّغ (التأويل إذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأوّل)⁽²⁵⁾.

لقد جمع الشنقيطي وابن منظور معاني التأويل في ثلاثة اختيارات:

-الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء

-الثاني: التفسير والبيان كما في حديث ابن عباس.

-الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره. وفي هذا الصرف ضوابط يتحدد معها نوع التأويل⁽²⁶⁾.

وفي كلامهم جميعا إرادة الوصول باللفظ إلى ما يطابق معنى مقصودا على أساس الظن الغالب، وما يُوفّق فيه المؤول بعد التدبر والتحصيل. إنّ هذا المعنى قد يشمل المعاني السابقة كونه أكثر دقّة؛ ذلك أنّ حمل الكلام على معنى بغير لفظه، تعيين لما ينتهي إليه عند المؤول ويعتقد أنه الأصل الذي يجب أن يؤخذ به فيه. ويعتقد المؤول حسب هذه التعاريف أن يكون لكل معنى أصلي أكثر من لفظ واحد، أو بعض ألفاظه تخفى عند الاستعمال على الناس، مما يستوجب البحث عنه، لرده إلى المراد منه. لكنّ هذا المراد افتراضي ومحتمل، فيكون الحمل عليه بما يبيحه المقام ويقبله، أو يقوم عليه دليل، ويكون المعنى مستساغا فيه-المقام-، وقد لا يكون في غيره.

3-تيارات التأويل واتجاهاته عند المسلمين:

في حقيقة الأمر تبين لي أنّ تيارات التأويل عند المسلمين تياران. وقد تمسك محمد مفتاح بثلاثة اتجاهات، ميز بين طائفتين وهما في اتجاه واحد. والاتجاه الثاني كما قال وكما هو في المعرفة العامة عند المسلمين.

1.3- أهل الأثر:

ويشمل الاتجاه الحرفي، وفيه الحنابلة والظاهرية⁽²⁷⁾. والتأويل عندهم تحصيل المعنى من الدليل كما هو في لفظه وفي فعل الصحابة والتابعين، والاستقرار على ما كان عليه الحال أيام النبوة، إلا أن الحاصل في حياة الأمة يجعل ذلك مطلباً عزيزاً وتحقيقه أمراً غاية في الصعوبة، فكان لهم موقف مشهود في التأويل؛ لأنهم فهموه على أنه صرف الملفوظ عن ظاهره والنقoul على الله بغير علم، ولكنهم يُعملونه إذا كان في الوضع القائم ما يستدعيه⁽²⁸⁾. ولهم في الصرف عن الظاهر وجه مقبول؛ فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة قال: ((قال رسول الله: «لا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».... وَإِنَّمَا تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ شَأْنُهَا أَنْ تَنْمَ الدَّهْرَ وَتَسْبَهُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ... يَقُولُونَ: أَصَابَتْهُمْ قَوَارِعُ الدَّهْرِ وَأَبَادَهُمُ الدَّهْرُ، فَيَجْعَلُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَيْنِ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ فَيَذِمُونَ الدَّهْرَ »⁽²⁹⁾. ونحوه وجه الصرف تأويلاً على أساس التواضع اللغوي والعرف السائد في كلام العرب، كما هو الأمر مع ((الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعْبَرْ، فَإِذَا عَبَرَتْ، وَقَعَتْ))، فكيف تكون الرؤيا على رجل طائر؟ فبالعقل لا تستقيم. ويجاب على ذلك بأن هذا الكلام يخرج مخرج كلام العرب...[الطويل]:

كَأَن فَوَادِي بَيْنَ أَظْفَارِ طَائِرٍ مِنْ الْخَوْفِ فِي جَوْ السَّمَاءِ مُحَلَقٍ

كَأَن قُلُوبَ أَدْلَائِهَا مَعَالِقَةً بِقُرُونِ الظُّبَاءِ

(يريد أن لا نستقر ولا نطمئن، فكأنما على قرني ظبي... أي تجول في الهواء حتى تعبر... ولا أراد أن كل رؤيا تعبر وتتأول لأن أكثرها أضغاث أحلام)⁽³⁰⁾. ويوافقه الجزري في أن ((الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعْبَرْ))، أي لا يستقر تأويلها حتى تعبر. يريد إنها سريعة السقوط إذا عبرت، كما أن الطير لا يستقر في أكثر أحواله، فكيف يكون ما على رجله؟⁽³¹⁾.

ولهم أساس آخر دفعا للمستعظم ونفياً لكل تأويل فاسد، طال وجرى على آيات الاعتقاد بنية التنزيه ونفي التشبيه والتمثيل؛ فذات الله لا يعرف كنهها إلا هو، وما اشتبه من صفاتها بصفات البشر وجب أن يحمل على ما يوافق تعاليم الدين ولا

يتعارض معها. هذا المجال العقائدي هو الذي فتح أبواباً مائتال مفتوحة إلى اليوم؛ ففي الحديث القدسي: ((مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْراً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِراعاً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))⁽³²⁾، فمن أسرع بنيته، أجابه الله بأسرع مما فعل، وإنما يسرّ الفهم بالتشبيه والتمثيل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾⁽³³⁾، و(السعي الإسراع في المشي... وإنما يراد أنهم أسرعوا بنياتهم وأعمالهم، والله أعلم)⁽³⁴⁾. فتح مثل هذا الحديث مسألة نفي الحوادث عن ذات الله لئلا يُشَبَّهَ بالبشر عند المتكلمة والفلاسفة، رغم أن أهل هذا الاتجاه يرونه من جانب لغوي صرف، ويهتمون الآخرين بقلة التوسع في معرفة كلام العرب كما في حديث ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)). فَإِنَّ مَلَّ اللَّهِ مَرَهُونَ بِمَلِّ عِبَادِهِ، وَهُوَ لَا يَمَلُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ. إِنْ التَّأْوِيلُ، لَوْ كَانَ عَلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، كَانَ عَظِيماً مِنَ الْخَطَا فَاخْشَا. وَلَكِنَّهُ أَرَادَ... لَا يَمَلُّ إِذَا مَلْتُمْ... فَتَثَبَّتِ الْفَضِيلَةُ لَهُ وَالْكَمَالُ وَالتَّمِيزُ⁽³⁵⁾.

ولعل العلة في نشوب هذا الصراع هي الصفات الخبرية⁽³⁶⁾ التي تجاذبها القول بالنقل والقول بالعقل والتأويل؛ ولذلك نفهم قول ابن قتيبة: (ويتهمون غيرهم في النقل، ولا يهتمون آراءهم في التأويل)⁽³⁷⁾، ويعيب عليهم الاختلاف في الدين مع ما يدعونه في معرفة القياس وإعداد آلات النظر⁽³⁸⁾.

ويشمل أيضاً الاتجاه الأصولي المتطرف، وفيه: المالكية والشافعية وبعض الحنابلة. ومن هؤلاء من نفى المجاز تماماً في العقائد والعبادات ووقفوا فيها على الظاهر والمعلوم في لغة العرب، وبنوا ذلك على أدلة عقلية وعقلية، واكتفوا بما اكتفى به الأولون اتباعاً وفهماً واعتقاداً⁽³⁹⁾. وبنفي المجاز نفوا التأويل في هذا المجال، وإن كانوا يعملونه هم أيضاً في غيره كحال الاتجاه الأول. وبين الطائفتين اتفاق كبير، ولم يختلفوا إلا في قضية المجاز في القرآن.

إن الصراع واقع بين أهل الحديث والمتكلمة كما يقول ابن قتيبة⁽⁴⁰⁾، فالحال من النظام والتسليم إلى التنافر والاختلاف. ومن ذلك نفي صفات الكمال والجلال عن الله تعالى عند المعطلة، ليجدوا لها مخارج تعتمد المجاز أصلاً والتأويل

وسيلة⁽⁴¹⁾؛ إذ يصح التأويل وإعمال العقل في العقائد عند المتكلمة بلا قيد ولا شرط، فهو معرفة وتدبر، ويحرم الوضع على غير أهل النظر⁽⁴²⁾.

2.3- أهل الرأي:

ويسميه محمد مفتاح الاتجاه المعتدل، وفيه: الشيعة الاثناعشرية والزيدية والإمامية والإسماعيلية والباطنية. والخوارج الأزارقة والنجدات والصفورية الإباضية. والصفورية والمعتزلة والفلاسفة⁽⁴³⁾. ويعتمدون التأويل بغير المراد-وهم يرونه حقا المراد-، من دون سند ولا قرينة صارفة إلا مقاييس العقل...، ويصرفون اللفظ عما أريد به، بنية سلامة العقيدة وسلامة المعرفة؛ لأنَّ المعتبر عند غيرهم هو الثبات على ما قامت عليه عقائد الأولين، رغم اعتمادهم التأويل والعمل به في ما يرونه مناسبا من المواضع وقد مرَّ بعضها. فلو تمَّ اعتماد [الخليل=الفقير]، لم يكن لإبراهيم وجه فضل، فكل الناس فقراء إلى الله، و [اليد=النعمة]، و [البقرة=عائشة؟]، و [بعضها=طلحة والزبير]، و [الخمير والميسر=أبا بكر وعمر]، و [الجبب والطاغوت=معاوية وعمرو بن العاص]⁽⁴⁴⁾ كما هو الحال عند الروافض إذ تطلب التأويل دليلا أو قرينة تصرف اللفظ من معناه المتداول إلى معناه المراد، وهو ما يسميه الشنقيطي بالتأويل للعب⁽⁴⁵⁾؛ لأنَّه يفتقد إلى ما يقوم عليه. وبين الأشاعرة والمعتزلة نزاعات واختلافات وإن كان التأويل عندهم جائزا مطلقا؛ لأنَّ الإشكال ليس في التأويل بقدر ما هو في التوجه الفكري ليتخذ من قواعده ومناهجه وسائل بحث تُثبتُ أصوله العامة، باعتبارها الحق الذي تتم به المعرفة وينتهي إليه القصد والفهم معا، حتى وإن اشتركوا في الأصول الكبرى مع غيرهم؛ فقد تشذ عند بعضهم الأفكار ويرون ميزة غير التي يراها غيرهم، كحال العقل والنقل بين المتكلمة وخصومهم. إن التأويل هنا مرغوب فيه ومرغوب عنه معا؛ مرغوب فيه عند كل طائفة على حدة، فهي ترى منطلقاتها الفكرية أولى من منطلقات الخصوم، فصرف اللفظ عن ظاهر معناه عند المؤولة-المتكلمة- أولى وأصدق من إثباته عند المفوضة. وعند هؤلاء الفهم مع التفويض أولى وأصدق من الصرف عن المراد.

وبين الطائفتين شبهات كثيرة، تدور حول الفهم من ظاهر اللفظ ومن تأويله⁽⁴⁶⁾، وتظهر منها حقيقتان:

-الأولى: يجري المفوضة على التأويل ابتعادا عن الشناعة وسوء الفهم، ويتوسلون بالمعرفة اللغوية، ولهم في ذلك وجه حق بَيِّن؛ لأن ما ذهبوا إليه معقول كما يؤسس المؤولة لمنهجهم في الفهم والمعرفة.

-الثانية: يجري المؤولة على التأويل واستقصاء الفهم من الأصول التي تقوم عليها حياتهم العلمية والفكرية والدينية، ولا يجرون على ذلك في الشبهات، ودفعاً للمستعظم ورفعاً للبس يميلون إلى ردِّ الأدلة ما كانت حديثاً، فهم لا يعتدون إلا بالمتواتر منه في العقائد، وتأويلها-الأدلة- ما جاءت قرآناً خوفاً من التشبيه والتمثيل والتجسيم، ليقعوا في التعطيل بتعيين الأوصاف لذات الله بحيث لا تشابه بينها وبين صفات البشر، والمفوضة يثبتون كل الصفات الخبرية بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل.

ميّز هذا الوضع التأويل بين المفوضة المشبهة المجسمة عن خصومهم، وإن كانوا لا يكيفون ولا يشبهون، كما ميّز المؤولة المعطلة عنهم، وإن كانوا لا يريدون إلا التنزيه. والتنزيه مطلب لكل طائفة، وعقيدة ينشدونها جميعاً؛ فالمفوضة منزهة تعترتهم شبهة التشبيه والجسيم التي يرفضونها بنية التنزيه، فيثبتون ما أثبت الله لذاته دون أن ينفوا عن ذاته الحوادث كالكلام والنزول والحب والبغض... بكيف مجهول وإيمان بها واجب. والمؤولة منزهة تعترتهم شبهة التعطيل، ويتمسكون بها بنية التنزيه أيضاً، فينزهون الله عما وُصفَ به بعلّة تشبيه ذاته بذوات المخلوقين، وهو ما لا يقع عقلاً، ومخالفتهم للنقل والأدلة القرآنية محمولة على جودة فهم، تجاوزوا فيه الحقيقة إلى المجاز، ليتعالقوا مع الصوفية في هذا الأفق دون أن يتفقوا معهم في غيره، ولا حتى في إعماله⁽⁴⁷⁾، كما هو الحال في مسألة الحلول⁽⁴⁸⁾ مثلاً؛ فغداً الصحيح من التأويل عند كل طائفة تأويلاً فاسداً عند الطائفة الأخرى، وأجج الصراع بينهم جميعاً، وأفقدتهم الهيبة العلمية والقوة المنهجية والمصادقية الدينية⁽⁴⁹⁾. ولهذا نفهم ما رواه القلقشندي أن "المهدي بن تومرت" (لقي أكابر العلماء... وفحول

النظار، ولقي أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ بقولهم في تأويل المتشابه. ويقال إنه لقي أبا حامد الغزالي رحمه الله ... وطعن على أهله في الوقوف مع الظاهر، وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذهب الأشعرية في جميع العقائد⁽⁵⁰⁾، وكان (ينهى عن الجمود على الظاهر، وسمى أتباعه الموحدين تعريضا بتكفير القائلين بالتجسيم الذي يؤدي إليه الوقوف على الظاهر)⁽⁵¹⁾، إيدانا بالصراع الفكري والمذهبي الحادين، اللذين تحولاً إلى صراع سلطوي فيما بعد، يُحمل فيه الناس على المذهب بالقوة. ومع تأصل التمذهب الفقهي، أصبحت فكرة التكفير والضلال قابلة لأن تطغى على الحياة العامة وبخاصة مع خلق القرآن وعقيدة الحلول والكشف في نقطة الفناء عند المتصوفة، فكان ما هو معروف في التاريخ الإسلامي عن أحمد بن حنبل والحلاج وابن عربي، وأصل الخلاف في كل ذلك التأويل والاستبطان والوقوف على الظاهر.

وعلى هذا الأساس تكون اتجاهات التأويل في المجتمع الإسلامي مقتصرة على تيارين:

-الأول أهل الأثر وهم المجتمعون في الاتجاهين السابقين الحرفي والأصولي المتطرف⁽⁵²⁾.

-الثاني أهل الرأي وهم المجتمعون في الاتجاه المعتدل عند مفتاح.
والخلاصة:

1. التأويل ممنوع وجائز (عقائد/معاملات)؛ فيجوز في مواضع ويمتنع في أخرى.
2. التأويل يخضع للمعرفة اللغوية والسياق ومعقولية الطرح.
3. التأويل بسيط قريب، ومركب بعيد، وفاسد مردود وصحيح مقبول.
4. التأويل يتعلق بالحقيقة والمجاز.
5. المعرفة الإلهية متناسبة، والمعرفة الإنسانية متضاربة (الشعور/اللاشعور) (الرغبة/الحقيقة الفوقية). والتأويل محاولة لتحقيق التوفيق بين المقاصد وفهماها قبولاً عند المؤولين (المتلقين).
6. التأويل مخرج من كل تناقض أو تعارض أو غموض؛ إذ هو حل وليس إشكالا.

وفي كل المدارات السابقة، كان الحديث مبنيًا على ما يبيحه التظير في التأويل والبحث عن المعاني، غير أن في ما سيأتي سيكون الحديث عن استعمال العلماء المسلمين للتأويل ممارسة صرفة

ب- السند الإجرائي:

يبدو التأويل في جوانبه التطبيقية كما في المحاور التالية:

1- التأويل احتمالات وترجيح مع قيام الشك:

ويقع ذلك في القرآن والحديث والشعر؛ فقد اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾⁽⁵³⁾ ف: (قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس... قال ابن عباس: هذا المقام المحمود مقام الشفاعة... وقال قتادة: هو أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع)⁽⁵⁴⁾. والحال ذاتها مع قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران/159]. واختلف أهل التأويل في أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه:

-أحدها أنه أمره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح؛ فيعمل عليه.

-ثانيها أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل.

-ثالثها أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون، وإن كان في غنية عن مشورتهم)))⁽⁵⁵⁾.

والشاهد هنا هو وفرة الاحتمالات للدليل الواحد، وإن كان ليس في ذلك ترجيح مباشر إلا أنه يرسم الخطوط العريضة للفهم، كما هو مع محمول الحديث النبوي، إذ روى الموصلي في قوله صلى الله عليه وسلم-: ﴿اللَّهُمَّ اقْطَعْ أَثَرَهُ﴾ وقال: وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل:

-الأول: أنه دعا عليه بالزمانة، لأنه إذا زمن لا يستطيع أن يمشي على الأرض فينقطع حينئذ أثره.

-الوجه الثاني: أنه دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب.

-الوجه الثالث: أنه دعا عليه بأن لا يكون له أثر من الآثار مطلقاً، وهو أن لا يفعل فعلاً يبقى أثره من بعده كائناً ما كان من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك [56].

ويتعين الاختيار من الأوجه الثلاثة بما يناسب المقام الذي قيل فيه الحديث؛ ليكون التأويل وجهاً من وجوه الفهم الممكنة، قائماً على اتساع الملفوظات للمعاني التي يمكن أن يتخيلها المؤول في لحظة إدراك ما.... لأن قيام الاحتمالات -رغم الاتساع الذي يطرحه- يستدعي ترجيحاً من المؤول. وروى الجزري أيضاً في قوله -صلى الله عليه وسلم- : [((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ))،]، يحتمل وجهين من التأويل:

-أحدهما أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو. -والثاني أنه أوتي الكتاب وحياً وأوتي من البيان مثله أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، فيعم ويخص ويزيد وينقص؛ فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن[57]. وقد تبين من الوجهين كما تبين من غيرها أنها معان يمكن أن تعنيها الأحاديث، ولكن يتوجب الترجيح حتى لا يكون المعنى متعدداً أو يكون الكل معنياً أصالة وتبعاً. وقد يكون المرجح دليلاً قائماً بذاته ودالاً على موضوع البحث فيقال به، ويتعين في ضوءه[58]. وقد يأتي الفهم من تعدد الوجوه تقديراً نحوياً، فتتعدد بحسب قراءة الملفوظ وتعيين عناصر الجملة فيه، كما روى المصري في قوله: [(قال رسول الله: ((لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ الْيَوْمِ، وَلَا يُقْتَصُّ مِنْهُ)). فمن رواه مجزوماً على جهة النهي أوجب ظاهر الكلام للقرشي ألا يقتل، وإن ارتد ولا يقتص منه إن قتل. ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل)] [59].

وفي الشعر ما يماثل ذلك؛ فقد أورد الجرجاني ثلاث احتمالات في قول الشاعر:

[البسيط]

(وَإِنْ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا)

-الأول: يجوز أن يراد به خير الشعر ما دلَّ على حكمة يقبلها العقل.

-الثاني: أدب يجب به الفضل.

-الثالث: موعظة تروض جماح الهوى وتبعث على التقوى وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال⁽⁶⁰⁾. وعند الموصلي ما يرويه عن أبي كبير الهذلي في قوله:

[الطويل]

(عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ.

وهذا يحتمل وجهين من التأويل:

-أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة تقضي الأوقات مدة الوصال، فلما انقضى الوصل، عاد الدهر إلى حالته في السكون والبطء.

-والآخر أنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنائم والوشايات، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل، سكنوا وتركوا السعاية. وهذا من باب وضع المضاف إليه مكان المضاف كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية⁽⁶¹⁾. وكلاهما معنى يمكن أن يعتمد المؤول في سياق كلي متعلق.

كما يعلق الحموي على الاتساع في الفهم المرتبط بإيحاء الألفاظ بأن (هذا النوع أعني الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه، وبحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني كقول امرئ القيس: [الطويل]

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْفُلُ

فإن هذا البيت اتسع النقد في تأويله فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا. ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع الصبا. ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعني الجلد بنسيم الصبا، وهو أضعف الوجوه. والوجه الثاني مذهب ابن أبي الأصبع، وهو أنور الوجوه⁽⁶²⁾. لقد استعرض الوجوه التي في المقام ثم رجح أنورها عنده متابعا غيره، مقرا بالاختلاف والترجيح، بما يبيح صحة المذهب أو فساده. فكل اختيار ترجيح ينحو إلى الصحة عند القائل به، حتى وإن كان عند غيره على خلاف الاعتقاد، إنما العبرة بالتمحيص والفهم والقدرة على تقليب الأدلة وفهماها على كل الوجوه. ولذلك يرى الجاحظ أن ذلك (مما يدل على توسعهم في

الكلام وحمل بعضه على بعض واشتقاق بعضه من بعض⁽⁶³⁾، بما يحتمل الصحة والفساد.

2- التأويل صحيح وفساد:

يعدّ التأويل صحيحاً إذا كان غيره يعدّ فاسداً، ولكل طائفة وسائلها في الاعتداد والتقدير، بل لكل عالم وسائله التي يُعملها في إطار فكر الجماعة التي ينتمي إليها. يرى الجاحظ أن تعارض الأدلة يؤدي إلى العمل بأقواها عقلاً؛ بل ويضيف ما هو أقوى مما يوازي الدليل الأول أصلاً. قال: (فأما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال: ﴿وَتُمُودٌ فَمَّا أَبْقَى﴾ [النجم/51] وقال: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة/08]. أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن، ويزعم أن في قبائل العرب من بقايا ثمود⁽⁶⁴⁾. وفي اللفظ ما يدل على وقوع العذاب على الجمهور الأكبر حتى يصح الاستثناء. ويتوسل الأبيشي في فهم القرآن بالأثر والترجيح به مهما كان نوعه، فقد تأول الناس قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان/06]، وعدوه الغناء وكرهوه لأنه (ينفر القلوب، ويستفز العقول، ويبعث على اللهو، ويحض على الطرب. وهذا باطل في أصله، وأخطأ من أول هذا التأويل؛ إنما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والأحاديث القديمة، ويضاهون بها القرآن، ويقولون إنها أفضل منه، وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزواً⁽⁶⁵⁾. ويؤازر هذا ما رواه الترمذي في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة/195]، فقد فهم الناس أنها في حق كل من أجبر نفسه على ما فيه شدة وبأس كحال من أقدم لوحده محارباً الروم فقبل عنه يلقي بنفسه إلى التهلكة، ((وَأَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَبَيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثَرَ نَاصِرُوهُ. فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثَرَ نَاصِرُوهُ فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحُهَا وَتَرْكُنَا الْغَزْوُ))⁽⁶⁶⁾، وليست الإقدام على المعركة كما فهموها، وإن كانت

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقد بين الشاهد سبب النزول، لتفسر الآية تفسيراً سليماً، ثم تكون أصلاً تلحق به كل الفروع فهما وتقديراً. وفيها أيضاً أن إيراد الشاهد ليعدل الناس عن ذلك الفهم، ويترتب عن ذلك مسائل أخرى تدخل في ما تتسع له الآية، ومنها قد يكون ما فعله المحارب منها إذا تمّ تقدير ذلك. لقد ورد الفساد في فهم القرآن والحديث كما ورد في فهم الشعر؛ فقد روى البكري قال: (قال جرير: [البسيط]

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ/حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يريد أن الثأر لا يؤخذ ممنه ولا يدين من قتلته، ولولا هذا التأويل لم يكن لقوله: 'ثم لم يحيين قتلانا' معنى⁽⁶⁷⁾. وقد مرّ مع اتجاهات التأويل بعضه وفي هذا الجزء بعضه، والغاية أن يتم الوصول إلى مفهوم التأويل عند العرب من خلال التصور الفكري المحض والممارسة معاً.

إن قراءة النص عند العرب قائمة على دائرة الخبر والتواصل، وتعيين القصد فهما بحسب القدرة والإدراك فالمعرفة كلها عند القاصد والمؤول باحث عنها وجاهد في تحصيلها متكناً على معطيات النصوص، فاختلفت مقاصد النصوص بمقاصد المؤول وتدخلت الأهواء في الفهم، فصارت الحقائق المتوصل إليها حقائق ثابتة رغم أنها لا تعدو أن تكون فهما يحتمل الخطأ⁽⁶⁸⁾.

3-آلية التأويل:

تقوم آليات التأويل على إقامة العلاقات بين اللفظ المستخدم ومعنييه الأصلي والمراد، أو ما يسمى بالصرف إلى المعنى الخفي؛ لأن اللفظ يمارس لعبة إخفاء بقصد من متلفظه ليعبر عن معنى ما، يفترض أن يدركه المؤول.

تنتهي حدود (limites) التأويل عند تعيين فهم ما اختياراً (choix) مع عرض باقي الاحتمالات (probabilités)، وبيان وجه ضعفها ووجه قوة المختار منها، ليكون هذا التعيين علماً وقع عن دراية وتمحيص. إن عرض تلك الاحتمالات هو الحد الأول، وقراءة كل ذلك هو الحد الثاني، ويكون الترجيح والاختيار الحد الثالث. فإن اكتفى بما وجد مختاراً ومرجحاً ترجيحاً نهائياً، كان ذلك هو الحد الأخير، وإن بنى

على الموجود فهما جديدا، أضاف احتمالا يراه هو المقصود من اللفظ أو التركيب، كان ذلك الحد حدًا جديدا، قد يستقر عنده وقد يعود عنه ويتركه بحب ما يتبين له من الفهم.

يمكن أن تكون الحدود في التأويل هي عينها ما تمّ الوصول إليه فيما سبق، فيكون التأويل السهل القريب أولاها، والأوسط أوسطها والبعيد لعبا- كان كما هو عند الشنقيطي- أو عميقا خفيا كما هو عند غيره؛ كونه ما لا يدرك إلا بالاستبدال، الذي لا يقوم على علاقة إشارية، بل على إحالة يراها المؤول، أو بدليل صارف تحققت فيه شروط الصرف، وألا بقي الملفوظ على ظاهره.

وقد تكون -تصوراً- هي عينها المستويات (niveaux) على اعتبار تدرجها من السهل إلى الصعب ومن القريب إلى البعيد؛ فهو توجهٌ رأسي يرسم ثلاث طبقات من المعنى، يمكن أن تجري على المنطوق، كأن يكون سهلا قريبا أو متوسطا أو بعيدا، فتعيّن أنها أشكال أو أنواع (حدود)، لأن كل حدّ منها مستقل بذاته وبلفظه. فإن جرت على ملفوظ بعينه كانت عندئذ مستويات متعاقبة بعضها أرفع من بعض. إن التأويل يبيح الاتساع، والاتساع مجال خصب لتتويع الدلالات المشتركة في ذات اللفظ بما تمّ تسميته احتمالات، تحمل نغمة شك لا ترفع احتمالا عن درجة الظن الغالب. غير أنه عند القائل به قطع؛ كونه أقصى ما طاله فهمه، مشيرا إلى أنه القصد المراد من الملفوظ، وما يتبعه من غير المقصود لذاته- وهو فهم له دواعيه- يوسع دائرة التأويل، حتى وإن كان تبعا لا أصالة أو مفهوما غير منطوق. وعليه؛ فالمستويات والحدود على هذا متداخلة قد يُعبّر بالواحدة عن الأخرى وكلها تشترك في الغاية، وهي تعيين القصد من اللفظ على اعتبار ما أريد للسامع المؤول أن يفهمه، سواء أكان مطلقا من حيث المعرفة والعلم كما هو حال المتشابه في القرآن، أو كان نسبيا وتتوّع فهمه من قطعي وظني، ويكون التأويل -بناء على ذلك- صحيحا أو فاسدا من حيث الصحة والسلامة. ولا يصرف اللفظ عن ظاهر لفظ ولا عن احتمال إلى آخر إلا بدليل.

يتطلب الصرف دليلاً شامداً أو قرينة داخلية أو خارجية لتتم صناعة المعنى الجديد، وإن كان إدراك نية القاصد الغائبة عند المؤول أصلاً، لا تتعدى الظن الغالب، يؤكد الشنقيطي أن يكون هذا الدليل (أغلب على الظن من الظاهر الذي صرف عنه اللفظ بالتأويل). والاحتمال البعيد يحتاج إلى دليل قوي... والاحتمال القريب يكفيه دليل يجعله أغلب على الظن من الظاهر. والمتوسط من الدليل للمتوسط من الاحتمال⁽⁶⁹⁾. وقد يكون الدليل واحداً من ثلاثة⁽⁷⁰⁾:

1. قرينة .

2. نصاً آخر.

3. قياساً راجحاً.

ويلزمه وجوباً⁽⁷¹⁾:

1. اللفظ الظاهر فيما صُرِفَ عنه محتملاً لما صُرِفَ إليه.

2. الدليل الصارف الأرجح

يؤدي هذا الصرف أو الاستبدال المفيد بالدليل والمقام والقرينة أو الاستبدال الحر القائم على معارف المؤول دوراً مهماً في آلية التأويل للربط بين الملفوظات والأشياء؛ إذ يختار احتمالاً ويهمش الباقي، أو ينشئ الاحتمال الجديد مخالفاً من سبقه، ليترتب على ذلك وجود التأويل الصحيح والفساد. إن النظر في هذه الشروط وما ينتج عنها وما تؤديه في أعمال التأويل - وإن كانت بدافع ديني - قد تم تبنيها في كل أشكال الكلام التي ينتجها الإنسان، فتحول الأمر إلى المنطق لتدارك كل النقائص المحتملة؛ فصار البحث فيما يدفع التناقض، وكيفية ممارسته في الخطاب الديني أولاً ثم في غيره بالبحث في المطلق والمقيد، والعموم والخصوص، والمنطوق والمفهوم، والظاهر والباطن، والجمع بين الأدلة، والترجيح، والناسخ والمنسوخ⁽⁷²⁾. بل تداخلت المعارف بهدف كشف محمولات النصوص عند مختلف طبقات العلماء فصار الاستقراء عند الفلاسفة تأويلاً عند علماء الشرع، وغايتهما معا سبر بواطن الأشياء وجواهرها⁽⁷³⁾؛ فأخذ المجاز مكانة مرموقة في التأويل، حتى بدا المجاز يسبق الحقيقة أو يكون أصلاً وتكون الحقيقة فرعاً⁽⁷⁴⁾... وغدا

التصوف مجالا خصبا للتأويل بحثا في حقيقة الأشياء، وكثر الصراع الفكري والإيديولوجي حتى بلغ حد الهجر والمقاطعة والتكفير، وظهرت تيارات واتجاهات في الحياة العامة، أثرت فيها وعليها، وقد مرّ تصنيفها بحسب علاقاتها بالتأويل .

إن في عرض الاحتمالات إجمالا، ومنه يُستنبط التأويل المجمل. وفي التحليل والقراءة تفصيل ومنها التأويل المفصل. وفي الترجيح تأويل بالشاهد والقرينة. والاحتمال الجديد تأويل بالشاهد والقرينة مع التجاوز. وفي الاستبدال تأويل حر، لقيامه على التكافؤ الدلالي والصرف من غير دليل يحيل عليه. وهي المحاور التي يبنى عليها الفعل الإجرائي في هذا البحث، لتكون الحدود المجمل والمفصل والحر أفضيا، على أن تتعين المستويات في كل حدّ بما يتناسب والتداعي التأويلي في الحيز الواحد(الحدّ) عموديا.

والخلاصة:

التأويل في الثقافة العربية الإسلامية مرتبط بالنص الديني الذي هو أساس الدرس اللغوي. وفي هذا التوجه؛ فإن التأويل يعني :

1. التفسير وتحصيل المعنى المراد من الملفوظ بناء على ما تقضيه قواعد اللغة وأسباب النزول (القرآن) أو الحوادث (الحديث النبوي الشريف)، وهو التحصيل الدلالي الذي يتوقف فيه المتعلم عند حدود المعرفة والفهم للتطبيق من جهة التعبد ، والعلم من جهة التمييز .

2. دفع المستشكل، ويسمى أيضا التأويل، وهو في جميع الأحوال لا يخرج عن كونه محاولة رفع اللبس؛ ولذلك يستساغ في مواضع ويستهن في أخرى. فإذا كان موضع البحث العقائد، تعففت عنه طوائف واعتمدته طوائف أخرى، وإن كان في موضوع الأحكام يجري الكل على اعتماده إما بمعنى التفسير والشرح، وإما بنية دفع المستشكل. ومدار الأمر كله عقيدة(المتكلم)- وهو الأهم -، وكذا علاقة الكلام بالبالغة (حقيقة ومجازا). وعلى هذا الأساس؛ يتجاذب التأويل البلاغيون والنحاة والفلاسفة وعلماء الأصول والفقهاء والمحدثون، وذلك وفق توجهاتهم العقائدية. من هنا يمكن تناوله من جهتين: الأولى، جهة أهل السنة والجماعة، والثانية جهة

المتكلمة والفلاسفة، ويدرج ضمن هذه الطائفة جمع من الفرق الإسلامية، كالشيعة (الرافضة)، والظاهرية والباطنة والجهمية.

لقد تحول الحديث في التأويل إلى زاويتين؛ أولاهما زاوية التفسير بمعنى الشرح والبيان والإيضاح. والثانية زاوية التأويل بمفهوم صرف اللفظ عن معناه الطبيعي، من ناحية ليوافق التوجه الفكري عند كل طائفة، ذلك أن رفض الصفات الخبرية عند المتكلمة أو إثبات بعضها، غايته منع التشبيه والتمثيل والتعطيل معا، وينحو إثباتها بمعانيها الطبيعية عند أهل الأثر إلى عدم التكييف والتعطيل والتمثيل معا أيضا، فامتد الخلاف من النص المقدس إلى النص الإنساني العادي من نثر وشعر. وأصل الخلاف على الأرجح الصفات الخبرية التي أخبر بها الله عن نفسه، فصدق بها جمع كما هي من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف، وصدق بها آخرون بتأولها بما يؤدي معنى النفي والتعطيل، فأثبتوا بعضها وأنكروا بعضها الآخر لمعارضته المنطق والعقل. داخل هذا المناخ، ازدهر التأويل وصار وسيلة بحث لا يستغني عنها باحث، و لكن وفق قيود عقيدته التي تخالف غيرها في تدقيقات لا يأتي على فهمها إلا أهل العلم.

إذن هناك قدرة على إنشاء المعادلات بين الرموز وما تحيل عليه عند المؤول، قد تصل إلى حد رسم مساراتها على اختلاف السياقات، واستشكل الملفوظات. وقد تطور الأمر إلى أن وصل إلى أي القرآن والأحاديث النبوية، واختلف الناس في فهمها وشق عليهم الخلاف فيها، واستشكل عليهم ربط بعضها مع بعض، فاختلّفوا شيئا؟ منهم من يسلم راضيا، ومنهم من يسلم ببعض ويرفض بعضا، ومنهم من يسلم راضيا بالكل ويسعى إلى التأويل راغبا في رفع الإشكال وإحلال التوازن والاتفاق، مبينا أوجه الصرف المناسبة. ومن ذلك شيوخ قولهم "لا بتأويل ولا بتفسير"، فقد تعين أن التفسير شرح وتيسير لملفوظ تعذر أو قصر فهمه عند متلقيه، فيتوسط له المفسر الشارح ويعيد إنتاج عين المعنى بشكل لغوي أكثر بساطة ليحصل عنده الفهم على وجه الاقتصاد، فيتحقق المعنى القصدي أصالةً ولا شيء

سواه. وعند غيره قد يتحقق المعنى الإضافي أو بعضه كما تحقق عنده المعنى القصدي .

وأما التأويل فهو إيجاد مخرج لفهم ملفوظ ما بسبيل ما تجعله يؤدي المعنى المقصود سواء تعلق الأمر بقصده أصالةً أو بإضافاته تبعاً. وهو أكثر شمولية من التفسير الذي لا يعدو أن يكون تحقيقاً لأبسط صور المعنى؛ في مقابل التأويل الذي يتحقق به الشمول والاحتواء للقريب والبعيد والأوسط من المذاهب التأويلية في الملفوظ الواحد.

3. والنص يحوي القول غير المنطوق صراحة ، والمفهوم من الرمز وقناع الألفاظ. وفيهما وجه المعنى الفائض الذي لا يدرك إلا بالقرائن والشواهد والأدلة والمرجعيات الخارجية. والتأويل طريقة لفهم النصوص وإدراك شقها الغائب بإدراك الدلالة الحقيقية على سبيل قصد المتكلم/ المخاطب، وإدراك الدلالة الإضافية على سبيل الفهم الفائض عن القصد؛ فالنص غير محدود ، فيه ما يعين قصده بالشاهد والقرينة، وفيه ما يعين بالنظر والتأمل، والشق الثاني مجال خصب للتأويل.

4. إن كون التأويل عند الله مطلقاً من حيث المعرفة، يجعله من جهة البشر نسبياً رغم وحدة قصده، ولذلك يتنوع فهمه بين قطعي يتساوى فيه الفهم والقصد إجماعاً، وظني لا يتساويان فيه إلا عند القول به، أي حمل اللفظ على قصد ما فهماً. بهذا المعنى يكون التأويل تماماً كالمعادل للتعبير، وعدم الخوض في تعبير الأحلام، يجعل من حكمه ما هو في حكم المرفوع الذي لا يعرف حقيقته إلا الله، وإن خاض فيه الناس على مبدأ الظن الغالب، فلا يضير ذلك الخائض فيه، ما دام تقيّد بشاهد أو قرينة، أو اعتمد حال الرائي ومعارفه (المؤول) الخاصة، ليكون تأويلاً حراً. وهو هنا معادل لما ينتهي إليه الشيء ويؤول إليه. وفيه معنى الرجوع إلى الأصل المساوي للحقيقة التي تم إدراكها فهما بتأييد معرفة سابقة، أو تأمل عميق أو استنباط وفطنة.

5. ومع كل هذا لا يخلو الحديث عن التأويل -وهو يتجاذبه الرأي والأثر- من احتمال الصحة والفساد، كون احتمالات الفهم الممكنة تقبل أن تكون حقيقة اللفظ في مدلوله المقصود، ويبقى الترجيح فعلا يمايز بين الاختيارات بحسب ما تبين للمؤول أنه المراد؛ إذ يتم التأويل-نتيجة لكل ما سبق- على فعل يحصل بأثر ما يتوقف عليه الفهم، ويحمل اللفظ عليه، كونه المقصود اختيارا وتعيينا لحقيقة ما، أو فعل يتم بناءً على الرأي والعقل والنظر. والتأويل في كل ذلك تعيين لمعنى خفيّ، وأما المعنى الظاهر فيدرك بتأويل أقلّ تعقيدا من سابقه آلية وإعمالا.

- 1- الشاطبي : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الشريعة، تح : عبد المالك دراز، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ج 3، ص 41.
- 2- ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبو علي عبد الله محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية ، القاهرة، 1374 هـ / 1955 م، ج 1، ص 350 - 351 .
- 3- السابق، ج 3، ص 119 .
- 4- ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج 1 ، ص 350 - 351
- 5- الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تح: محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي ، القاهرة، 1971، ص 41- 42.
- 6- الأمدي: سيف الدين أبي الحسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج2، ص36
- 7- طاهر سليمان حمودة : دراسة المعنى عند الأصوليين، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ج م ع، 1976م، ص 137.
- 8- الغزالي :المستصفى، ص 269 / 270.
- 9- السابق، ص.372
- 10- الأمدي: الإحكام، ج 2 ، ص46. وفيها دلالة الأعلى على الأدنى والعكس.
- 11- السابق، ج 2، ص 49.
- 12- الشوكاني: محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، (د ت ط)، ج 2 ، ص 172.
- 13- تنظر تيارات التأويل واتجاهاته عند المسلمين في هذا المقال ومنه التأويل عند أهل الرأي.
- 14- ينظر: أحمد البحراني: موقع التأويل: (www.ataweel.com) [دروس التأويل2] تحت عنوان: المنهج وآثار النشأة، يتعين التأويل بمنهج الاستنباط لكون النص القرآني مجمل ومفصل، وفي [علم التأويل] من نفس الموقع حديث عن الظاهر والباطن بما يتماشى والفكر الشيعي.
- 15- معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان، 1392هـ/1972م، ص27.
- 16 - الأمدي: الإحكام، ج2، ص37. وهو مذهب أبي بكر الرازي في: مختار الصحاح، تح وتع: مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1999، ص29.

17- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار نور الكتاب، الجزائر، 1428هـ/2007م، ج2، ص7، تعليقا على الآية 99 من سورة يوسف، وفيه أيضا ج4، ص276، في تفسير سورة الأعراف، الآية53: (هذا ما آل إليه الأمر، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر).

18- سورة آل عمران، الآية: 7.

19- محمد الأمين بن المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص189.

20- الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ت ط، ج8، ص368.

21- ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، تح: محمد عمار، دار المعارف، مصر، 1972، ص8. والمعنى ذاته عند الآمدي في الأحكام، ج2، ص37 وله فيها: (التأويل... حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل بعضه).

22- سورة الفرقان، الآية: 33.

23- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإنشقاق في علوم القرآن، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: فواز أحمد زمركي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2004، ص847-849.

24- الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ج1، ص587.

25- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص204.

26- ينظر: أضواء البيان، ج1، ص189. وقبله جمع معاني التأويل ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) في لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، مادة أول، ج1، ص134: (أول: الأول: الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع. وأول إليه الشيء: رجعته وأول الكلام وتأوله دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسر.. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد... قال أبو منصور: يقال: ألت الشيء أووله إذا جمعته وأصلحته فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه. وقال بعض العرب: أول الله عليك، أي ردّ عليك ضالتك وجمّعها لك... التأويل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه... التأويل: المراجع والمصير مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه... التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلاً وتأولته بمعنى).

27- محمد مفتاح: مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص92. وهذا التصنيف له، ويبدو من حيث العدد سليماً غير أنه من حيث المضمون لا يبدو سليماً وما في متن البحث يبينه.

28- السابق، ص92.

29- مسلم: أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ج7، ص45. ونحو هذا الحديث عند النيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ج5، ص193، حديث 6524.

30- ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م، ص322-323. وعند الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن، السنن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.ط، في السنن، ج2، ص126.

31- الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م، ج3، ص150. وعند ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص196-197، ما نصه: ("كلتا يديه يمين"، فكيف تعقل بدان كلتاها يمين؟ والمراد بذلك التمام والكمال، على عكس المياسرة، وهو حال العرب في كلامها وعقائدها. ويجوز أن يكون المراد: العطاء باليدين معا، فيصب عطاؤها صبا). وهو تأويل بالصرف الجائز على أساس اللغة. والحديث عند مسلم في الصحيح، ج6، ص7.

32- رواه البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ضبط: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/2002م، ص1338، حديث رقم 7405. و: مسلم في صحيحه، ج8، ص66-67. وابن حبان محمد بن أحمد بن حبان، الصحيح(صحيح ابن حبان)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ج1، ص194. والموصلي: أبو يعلى، المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ج11، ص479.

33- سورة الحج، الآية: 51.

34- ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص209.

35- السابق، ص324-325. والحديث عند البخاري في الصحيح، ص215، حديث 1151، بهذا اللفظ، وبآخر نحوه ص23، حديث 43: (فوالله لا يمل الله حتى تملوا). ومالك بن أنس في الموطأ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص13. وابن حبان في الصحيح، ج2، ص135.

36- حسن الشافعي : الأمدي وآراؤه الكلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ/1998م، ص299 وص335 وص238. وهي عند المعتزلة سبع. وباقي الصفات الخبرية الأخرى عند غيرهم أولوها بما يناسب المنهج والتوجه العقلي المختار. وعموما فالوجه الذات و الذات مجموع الصفات، والعين البصر أو الحفظ والرعاية، واليد القدرة، الاستواء الاستيلاء أو التسخير والتصرف، والنزول تنزل اللطف والرحمة، النور الهداية، والكشف عن الساق ظهور أهوال القيامة، هكذا تعينت عند الأمدي كما بينها حسن الشافعي في الأمدي وآراؤه الكلامية، ص300-336.

37- تأويل مختلف الحديث، ص.21

38- السابق، نفس الصفحة؛ لأنَّ (اختلافهم في التوحيد، وفي صفات الله تعالى، وفي قدرته، وفي نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، وعذاب البرزخ، وفي اللوح، وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحى من الله تعالى)، تنتظر نفس الصفحة منه.

39- ينظر: ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص21- 22 . و: الشنقيطي: مذكرة أصول الفقه على 'روضة الناظر' لابن قدامة المقدسي، الدار السلفية، الجزائر، 1391هـ/1971م، ص58-60. يجري ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن على هذا النحو بل يعمق فكرة فهم القرآن على أساس لغة العرب التي نزل بها، جاء في ص 22-23 ما نصه: (وحاملا ما لا أعلم فيه مقالا لإمام مطلع على لغات العرب، لأري به المعاند موضع المجاز وطريق الإمكان...). ومن ذلك الكشف عن الساق عند عظيم الأمور وشدة المعاناة، وقد تعين الكشف عند أهل السنة والجماعة علامة للموقف العظيم والساق ساقه تعالى من غير تشبيه ولا تعطيل. والظاهر أنه يقرب المعنى لشيوع مثله في كلام العرب ويضرب لذلك الأمثلة حتى لا يذهب الفهم إلى سواه.

40- تأويل مختلف الحديث، ص.22

41- الشنقيطي: مذكرة أصول الفقه، ص.58

42- حسن الشافعي: السابق، ص 301 . وفيها: (وأما الغزالي فإنه مع اتجاهه لتأويل الصفات الخبرية، يحرم ذلك على العوام، بل وعلى كثير من الموسومين بالعلم من المتكلمين).

43- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص.92

44- ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص67- 69.

45- ينظر: مذكرة أصول الفقه، ص177، إذ يقول:(اللعب كقول غلاة الشيعة في 'أن تذبخوا بقرة': هي عائشة). والتأويل عنده صحيح وفاسد ولعب بعيد. تنظر الصفحة 179 منه. وتنظر الصفحة 247 من تأويل مختلف الحديث، وفيها:(وهذا التأويل - بحمد الله تعالى - سهل قريب. [واسأل القرية] أي:سل أهلها).

46- ابن قتيبة: نأويل مختلف الحديث، ص20: (ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما، وضع لهم المنهج، واتسع لهم المخرج) . ويمثل:

أ - (إنَّ الشمس تطلع من بين قرني شيطان ، فلا تصلوا لطلوعها) فجعلتم للشيطان قرونا تجري بينها الشمس على عظم حجمها، وهو ما لا يصح عقلاً؛ فأما ترك الصلاة في هذا الزمن فلأنه وقت تعبد فيه الشمس ويسجد لها عند أقوام كثير، بدليل ﴿ وجنتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾[النمل/24]، فكان النهي دفعاً للتشبه بهم من جهة، ومن أخرى لجلوس الشياطين منتصبين قبالة المتعبدين فتكون صلواتهم نامية إليهم[الشياطين]. وأما القرن فهو الحرف والجانب وليس ما شابه قرون البقر وغيرها. تنظر الصفحات: 116-118 منه. وله في الصفحة 119 ما نصه: (وهذا أمر مغيب عنا لا نعلم منه إلا ما علمنا. والذي أخبرتك به، شيء يحتمله التأويل، ويباعده عن الشناعة، والله أعلم). ولا يخلو كلامه من نغمة شك، تعود بالقارئ إلى أغلب الظن. والحديث رواه البخاري في الصحيح، ص600، حديث3273. و: مسلم في الصحيح، ج2، ص105. و: مالك في الموطأ، ج1، ص154. و: البيهقي في السنن، ج5، ص60. ب - (لو جعل القرآن في إهاب، ثم ألقي في النار ما احترق) وهذا خبر لا تشك في بطلانه؛ لأننا قد نرى المصاحف تحترق، وينالها ما ينال غيرها من العروض والكتب. إن لهذا تأويلاً... حدثني يزيد ابن عمرو قال : سألت الأصمعي عن هذا الحديث، فقال: يعني لو جعل القرآن في إنسان ثم ألقي في النار ، ما احترق. و أن من علمه الله القرآن من المسلمين وحفظه إياه، لم تحرقه النار يوم القيامة، إن ألقي فيها بالذنوب. [الإهاب الجلد الذي لم يدبغ، ولذلك جاز أن يكون كناية عن الجسم]. وقد يرد المعنى إلى القرآن لا الإهاب؛ أي (إن كتب القرآن في جلد، ثم ألقي في النار، احترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن، كأن الله عز وجل يرفعه منه، ويصونه عن النار). تنظر الصفحات: 186-188 منه. والحديث رواه الدارمي في السنن، ج2، ص429.

47- محمد مفتاح : مجهول البيان، ص22.

48- الحلول حلول روح ذات في غير بدنها، وقد راح المتصوفة إلى القول بحلول روح الله في المخلوقات.

49- محمود على مكي ونصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج م ع، ط4، 2003، ص13.

50- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987. ج 5، ص 132.

51- القلقشندي: السابق، ج5، ص186.

52- التسمية لمحمد مفتاح، وإنما اعتمدتها كما في كتابه تسهيلاً وتوضيحاً، وأطلقت ما سبق أن أطلقه الأولون أهل الأثر وأهل الرأي، وهو المثبت في المتن.

- 53- سورة الإسراء، الآية: 97.
- 54- ابن كثير: التفسير، ج4، ص 92.
- 55- الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح: المستطرف في كل فن مستظرف، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986، ج1، ص166.
- 56- ابن الأثير: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ج1، ص54. والحديث (اللهم اقطع أثره) عند البيهقي في السنن الكبرى، ج3، ص177.
- 57- الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 4، ص 295.
- 58- السابق، ج1، ص361. وفيه: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج). فمعنى قوله أي لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدثوا عنهم ما سمعتم، ويشهد لهذا التأويل ما جاء في بعض رواياته: (فإن فيهم العجائب)، وقيل: معناه إن الحديث عنهم ليس على الوجوب؛ لأن قوله -عليه الصلاة والسلام- في أول الحديث: (بلغوا عني) على الوجوب ثم أتبعه بقوله: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، أي لا حرج عليكم إن لم تحدثوا عنهم. فجاء الشاهد الصارف إلى المعنى المختار من جنس الحديث ومن رواياته المختلفة. والحديث عند الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة) في السنن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ج7، ص433. والدارمي في السنن، ج1، ص136. وابن حبان في صحيحه، ج6، ص120. وأبو يعلى في مسنده، ج2، ص416.
- 59- تقي الدين أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض: اتفاق المباني وافتراق المعاني، تح: يحي عبد الرؤوف جبر، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1985، ج1، ص98. والحديث رواه مسلم في الصحيح، ج5، ص173. والدارمي في السنن، ج2، ص198. وابن حبان في صحيحه، ج4، ص107.
- ونحو هذا ما رواه الجزري في النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص191-193، مع حديث: (قالت خديجة كلا إنك تكسب المعدوم، وتحمل الكل). فيكون (تكسب على التأويل الأول متعديا إلى مفعول واحد هو المعدوم كقولك كسبت مالا. وعلى التأويل الثاني والثالث يكون متعديا إلى مفعولين، تقول: كسبت زيدا مالا، أي: أعطيته؛ فمعنى الثاني تعطي الناس الشيء المعدوم عندهم، فحذف المفعول الأول. ومعنى الثالث تعطي الفقير المال، فيكون المحذوف المفعول الثاني). والحديث رواه البخاري في الصحيح، ص311، حديث 2297. ومسلم في الصحيح، ج1، ص97، بلفظ (تحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف). وابن حبان في صحيحه، ج6، ص276.

وفي نفس الموضوع ينظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص190 وما بعدها، وص362 في حديثه عن الصفة والقصد والفهم، وقصر الكلام وحصر المعنى. وينظر أيضا الشنقيطي: مذكرة أصول الفقه، ص239، في حديثه عن الصفة واللقب وتعيين المعاني بهما.

60- عبد القاهر: أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003 م، ص202-203. والبيت منسوب كما يقول محقق الكتاب لزهير بن أبي سلمى ولحسان بن ثابت معا.

61- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص56. والآية: 82 من سورة يوسف. والبيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين، للسكري (أبي سعيد الحسن بن الحسين) تح: عبد الستار أحمد فراج، ومراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د ت ط، ج2، ص958.

62- الحموي، نقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الأزاري: خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شعيثو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987، ج2، ص403. وينظر: الخطيب التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي، شرح القصائد العشر، ضبطه وصححه: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ص71. يقول: (المحمل في بيت امرئ القيس:

وألقى بصحراء الغنيط بعاهه نزول اليماني ذي العياب المحمل)، بفتح الميم هو الجمل وبكسرهما هو التاجر). وفي ذلك تقرير المعنى بالقراءة والتوجيه النحوي. ونحوه عنده في (أيمن) و(أيسره) احتمال أن يكون من اليمين أو اليمين أو اليسر أو اليسار، ص67-68 من القصائد العشر.

63- أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، لبنان، ط1، 1968، ج1، ص128.

64- البيان والتبيين، ج1، ص109.

65- المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص320.

66- السنن، ج8، ص296. حديث رقم 3062. وقال حسن صحيح. والرواية عن أبي أيوب الأنصاري.

67- أبو عبيد: عبد الله بن عبد العزيز، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983، ج1، ص423. وعند التبريزي في شرح القصائد العشر، ص67 متحدثا عن أمال وأهان السليط في مطولة امرئ القيس، وفيها ما يستقيم وما لا يستقيم من المعاني. والبيت (الشاهد) في شرح ديوان جرير، لـ: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط1، ص595، في قصيدة يهجو فيها الأخطل بلفظ: (مَرَضٌ) بدل (حَوْرٌ) التي يشيع استعمالها وتنسب إليه.

68- حميد لحميداني: تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، قسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة اليرموك، مؤتمر النقد الحادي عشر، 25-27/07/2006، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006، ص266-268. يمكن أن يكون التأويل بالاتباع مع اعتقاد الصحة، ثم بعد زمن يتبين خلافه، فالواجب ترك الاعتقاد والميل إلى الحقيقة الجديدة. ينظر في هذا الموضوع الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1955، ص.553

69- الشنقيطي: مذكرة أصول الفقه، ص176. وله في أضواء البيان، ج1، ص190-191 ما مفاده أن التأويل الصحيح هو صرف اللفظ عن ظاهره بدليل والتأويل الفاسد أو البعيد هو صرف اللفظ لأمر يظن أنه دليل وليس بدليل، والتأويل للعب هو صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلاً، والكل عند علماء الأصول. قلت: وفي الشعر كلها احتمالات ممكنة ويمكن وصفها بالحسن والجودة إذا أدت معنى متسقاً.

70- الشنقيطي: مذكرة أصول الفقه، ص.177

71- الأمدي : الإحكام، ج2، ص38. والشنقيطي: مذكرة أصول الفقه، ص178:(بيان احتمال اللفظ لما حملة عليه) و(الدليل الصارف له إلى المحتمل المرجوح). و: محمد مفتاح: مجهول البيان، ص98. وعنده: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية، وأن يكون له شاهد نصاً. وهو ما يساوي ما جاء عند الشنقيطي.

72- محمد مفتاح: مجهول البيان، ص99 .

73- علي حرب: التأويل والحقيقة، قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص273. و نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل عند محي الدين بن عربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 1998، ص185 وما بعدها، و ص335 منه فيما سماه قضايا التأويل.

74- نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل، ص288. رابطاً بين الحقيقة والمجاز والباطن والظاهر. وينظر: علي حرب، التأويل والحقيقة، ص21 وما بعدها. ومثاله ما جاء في أسرار البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني من ص259 إلى ص269 فيما عنون له بـ: (حدًا الحقيقة والمجاز)؛ ففي ص262 ينطلق من قوله تعالى: (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) [القيامة/4]، قال: (أي نجعلها كخف البعير فلا تتمكن من الأعمال اللطيفة)، وقد سبق الحديث عن إبدال الإصبع بالأثر، والناس يعبرون عن الآثار بلفظ الأصبع كقولهم: أصابع الدار أي آثارها، ليعلق في ص264 على قوله تعالى: (بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [الحجرات/1] بأن اليد لا تكون اسم جارية على الحقيقة قط بل يصير مآلها إلى النعمة مجازاً لاستحالة مشابهة الذات الإلهية بذوات البشر. ويحمل اليمين في قوله تعالى: (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِبَيْمِينِهِ [الزمر/67] على القدرة لا على الجارحة -أي اليد- والقصد (إلى نفي الجارحة ... خوفا على السامع من خطرات تقع للجهال وأهل التشبيه)، ص265 منه، وأهل التشبيه هنا هم من أثبت الجارحة بكيف مجهول كما هو حال أهل السنة والجماعة، والمعتبر عند عبد القاهر هو المثل؛ لأن قبضته يوم القيامة تحيل على القدرة والقبضة اسم لها يؤول إليها من طريق التأويل والمثل. لقد ناقش الجرجاني مشكلة الصفات الخيرية ووجد لها ما يراه حلا يبعد المسلم عن الشناعة في الاعتقاد بالصرف والتأويل الجائز.

عرب وأعراب

دراسة لغوية في شعر ما قبل الإسلام

محمود الديكي

قسم اللغة العربية

جامعة آل البيت-الأردن

ملخص

أشاع بعض المستشرقين ومن تبعهم من الدارسين العرب أن كلمة (عرب) لم ترد في ما دعي بالشعر الجاهلي، يحاول هذا البحث استقراء ما استطاع الباحث الوقوف عليه من شعر تلك الفترة ليثبت أن تلك المقولة ليس لها نصيب من الصحة، وأنها متأتية من سببين: أولهما نية مبيتة للحكم بغياب الحس القومي عند تلك القبائل، وثانيهما استقراء ناقص لهذا الشعر. وينظر الباحث في ورود مادة (عرب) في النقوش وفي القرآن الكريم، ويقف عند (أعراب) وروداً ودلالة. وفق منهجية تعتمد الاستقصاء والاستقراء والتحليل.

Résumé

Certains orientalistes et quelques chercheurs arabes ont fait courir que le mot "arabe" n'a pas apparu dans ce qu'on appelle la poésie Aljahili (préislamique). On essaie dans cette recherche de désapprouver cette idée à partir de la lecture de certains poèmes de cette époque. Cette idée des orientalistes et de leurs successeurs arabes est due à deux raisons: la première est l'intention de prouver l'absence du sentiment national chez ces tribus arabes ; la deuxième est la lecture erronée de cette poésie. Nous analyserons le mot "arabe" dans les gravures et dans le texte coranique et s'arrêterons sur la signification et la présence du mot "arabistes." Notre méthodologie se repose sur une recherche, une lecture et une analyse des textes.

على أديم هذه الأرض الممتدة من المحيط الهندي جنوباً إلى المتوسط شمالاً، ومن دجلة والفرات شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً عاش جيل من الناس منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وما زال، متوسطو القامة، إلى السمرة أمل، شعورهم بين الاسترسال والجعد، ليسوا عريضي المناكب، واسعو محاجر العيون، نعرفهم من أنفسنا إذ نتصل بهم بنسب وثيق، يمكن أن⁽¹⁾ نسميهم ما شئنا، ساميين أو جزيريين أو كنعانيين أو عروبيين فالتسمية يطلقها الغير عليك وليس لك إلا أن تقبلها، ورفضك إياها يكون في الغالب سبباً في انتشارها، ويصعب أن تلقى شيوعاً

تسمية تطلقها أنت على نفسك. ومهمة الباحث ليست اجتراح التسمية إنما البحث في فلسفتها وأسبابها ومسوغاتها. ولكل من التسميات السابقة التي يطلقها الباحثون على هذه الأقوام مسوغاتها المعرفية ومحاذيرها المنهجية.

أما تسمية (ساميون) وهي الأكثر شيوعاً فأطلقها المستشرق الألماني (شولتزر)⁽²⁾ استناداً إلى النص التوراتي الذي نسب الناس جميعاً إلى أبناء نوح- عليه السلام- وهم سام وحام ويافت، وهي علمياً مرفوضة لا لأنها تستند إلى النص التوراتي، فاليهود اليوم ليسوا أولى بالتوراة من غيرهم، ولكن لعدم موثوقية النص ذاته وليس ما يعضد هذا النص من نقش أو أثر يشير إلى أن نوح عليه السلام كان له من الأولاد ثلاثة، وأن كل واحد منهم كان أباً لجيل من الناس، كما أن القسمة التي يقترحها شولتزر تخرج أمماً ليس لها من أبناء نوح عليه السلام نصيب، وقد استعمل الفكر الصهيوني التسمية من باب الإقصاء فيما يدعى بالمسألة (اللاسامية) فهم يخرجون أبناء إسماعيل (العرب) من الشعوب السامية. بحيث أصبحت معاداة السامية يقصد بها معاداة إسرائيل.

أما تسمية (جزيريون) فهي التسمية التي يرتضيها أشقاؤنا من الباحثين العراقيين، وهي تسمية جغرافية لها من الوجهة مسوغ، فتسمية الأقوام بمواطن سكنهم شائعة في كل الثقافات، غير أن تسمية جزيريين انبنت على فرضية تقول بأن موطن تلك الأقوام كان جزيرة العرب وبالذات اليمن، ثم انتقلت تلك الأقوام على شكل موجات من الهجرات كان آخرها الهجرة التي حصلت إثر خراب سد مأرب. غير أن هذا التصور ليس له سند تاريخي يوثق به، فالكتابات التي وجدت في حوض الفرات ودجلة وفي بلاد الشام والساحل الشرقي والشمالي للمتوسط أقدم بكثير مما عثر عليه في الزاوية الجنوبية الغربية لجزيرة العرب. مما يؤكد استيطاناً مبكراً لتلك الأقوام على ساحل المتوسط وشبه الجزيرة الفراتية، ولست موعلاً في التصور لما قبل التاريخ كما يفعل د. أحمد داود حيث يتصور جزيرة العرب جنة عدن وفردوس تلك الشعوب المفقود التي أغرقها ذوبان الثلوج بعد أن ارتفعت حرارة الأرض فراحت تستحم في بحر العرب ومياه الخليج⁽³⁾، وحسبنا أن

نبدأ مع تلك الأقوام من القرن الرابع عشر قبل الميلاد أي من التاريخ الموثق باللغة والكتابات واللقى الأثرية، مما يمكن أن يركن فيه إلى ركن مكين.

وعليه فإن الباحث حين يستوثق من منطلق تلك الأقوام ومصدرها، أكان شبه الجزيرة العربية أم شبه الجزيرة الفراتية أم سوريا الكبرى،... له عندها أن يسميهم جزيريين أو فراتيين أو سوريين... .

بقيت التسمية الثالثة (عروبيون)⁽⁴⁾ وهي التسمية التي يتعلّق بها أخواننا في سوريا من منطلق الأيدلوجيا وليس الدقة العلمية. فما هو حظ هذه التسمية في التاريخ؟ وما هي دلالاتها؟ هذا ما تحاول هذه الورقة مقارنة الإجابة عليه.

درجت العادة على إطلاق تسمية (عرب) على الجيل الذي عاش في شبه الجزيرة العربية وأطرافها وأكنافها، وهذا الجيل بهذه التسمية لا يتجاوز الألف الأول قبل الميلاد، ويقسمون عادة إلى فريقين، عرب عاربة ومستعربة، أو قحطانيين وعدنانيين، أو عرب بائدة وسائدة. أما المستشرقون ومن تبعهم من الباحثين فيقسمونهم إلى عرب الجنوب وعرب الشمال⁽⁵⁾، تطلق تسمية عرب الجنوب على الحضارات التي نشأت وسادت في اليمن؛ السبئية والقبتانية والحضرية وغيرها، انتهاء بحضارة حمير، أما عرب الشمال فتمثلهم حواضر وسط الجزيرة العربية؛ نجد والحجاز وما حولها، ويغلب عليهم الترحال فلم يكن لهم من التمدن ما كان للحضارات التي نشأت في اليمن، أما الفرع الثاني من عرب الشمال فيبدو أنه كان أكثر تحضراً وتمدناً، وتنطوي تحته التمودية والصفوية والحيانبة والنبطية وغيرها، على خلاف بين الباحثين حول إدراج الأنباط ضمن هذه الشعوب. وهي حضارات بلغت من الرقي شأواً بعيداً، وقد انساحت على مدى الرقعة المنبسطة من منطقة المدائن والحجر جنوباً إلى المتوسط شمالاً، وليس أدل على رقي هذه الحضارات وتمدنها من إشارات القرآن الكريم إلى تمدنها العمراني حيث أشار في غير ما موطن إلى عاد وثمود ومدين⁽⁶⁾، أما علم الآثار والنقوش فكشف عن كم هائل من الكتابات الصفوية والحيانبة وغيرها تمتد على مساحة شاسعة في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام حتى يخيل للمرء أن راعي الإبل

والشاء كان على معرفة بالقراءة والكتابة، والمدهش في هذه الكتابات أنها كانت توثق لأحداث يومية عادية، كأن يبيع أحدهم جملاً لآخر، ثم إنها على صلة وثيقة بخط المسند الذي استعمل في حضارات اليمن⁽⁷⁾.

أما عرب الوسط (نجد والحجاز) فغاية ما وصلنا منهم شعر وأدب غاية في الضبط والاتساق إلا أن وسط الجزيرة وبواديها زاهر بالأسرار التي تنتظر من يكشف عنها، علها تلقى ضوءاً على تاريخ الحضارة الإنسانية، بانتظار أن يشمر أبنائها عن سواعدهم ليكشفوا لنا حقائق تاريخية بعيدة عن التزوير والتشويه الذي لا تخلو منه أعمال المستشرقين.

وعليه فإن تسمية (عرب) لا تتجاوز عند المستشرقين ومن تبعهم من الباحثين العرب القرن العاشر قبل الميلاد، كان أولها في الجنوب الحضارة القتبانية وآخرها الحميرية.

العرب في النقوش:

أقدم نص تم العثور عليه وردت فيه مادة (ع ر ب) يعود إلى عهد الملك الأشوري شلمن نصر⁽⁸⁾ 853 ق.م وهو يسجل انتصاراته على (جندب العربي) غير أن الذين قرؤوا النص أجمعوا على أن (جندبو) الوارد في النص هو اسم لقائد وأن (Aribi) الواردة بعد اسمه يمكن أن تكون العربي نسبة إلى قومه أو أنها إشارة إلى بدويته فيما أصبح يعرف بالأعرابي. غير أنني أميل إلى أن (جندب) الواردة في النص ما هي إلا (جند) أي عسكر أو جيش أو محاربين (مجندين) أما الواو التي ترد في آخر الاسم فما هي إلا لاحقة كتلك التي تظهر في آخر الأسماء الآرامية والسريانية وما زال لها وجود في بعض الأسماء العربية مثل (عمرو) وتكثر في اللهجة الشامية إلى يومنا هذا (خيرو، ديبو، ...) بعد أن فقدت وظيفتها وأصبحت حلية لفظية، أما النون والباء فلا شك أن واحدة منهما أصلية والأخرى زائدة، وهي قاعدة مطردة في اللغة العربية، حيث تزداد اللام والميم والياء والنون إما لتكثير الكلمة أو لفك الإدغام، وعليه فإن (جندب العربي) ما هي إلا (الجند العربي) أي (الجيش العربي) بقيت مسألة دلالة (Aribi) الواردة في النص،

الراجح لدي أن هذه الكلمة لا تشير إلى القوم أو الجنس ذلك أنه من المسلم به أن ملوك آشور لم يكونوا قوماً مغايرين للجماعات التي تتصل معهم بأرومة واحدة تلك القبائل التي كانت تسكن مناطق متصلة في بلاد الشام وشبه الجزيرة ودليلنا على ذلك أن القائد (شملن نصر) ليس غريباً على العربية، فكما هو معلوم فإن صوتي الشين والسين يكثر أن يتبادلا في اللغات السامية لا بل في اللغة الواحدة أحياناً، وبما أن الكتابات السامية لا تثبت الحركات فلا يبعد أن يكون (شلمن) هذا هو سلمان أو سليمان الآشوري إن لم نجزم بعروبتة فإننا نجزم بأنه لم يكن بعيد نسب عن (جندبو) الوارد في النقش، أما معاركه التي يسجلها هذا النقش ونقوش أخرى غيره فالأقرب للتصور أنها كانت ضد جماعات (قبائل) من أبناء جلدته كانت تخرج على سلطانه رافضة التحضر والاستقرار، الأمر الذي نجد له بيئة في كتابات لاحقة حول طبيعة هذه الجماعات وتصرفها. حيث تشن جماعات (خبيرو) أو (خبيرو) أو (هبيرو) غزوات مفاجئة على المناطق الحضرية⁽⁹⁾. هذه الكلمة واضح أنه تصحيفاً أو تحريفاً أو تغييراً صوتياً لاحقاً أو سابقاً لكلمة (عبيرو) وأكد أجزم أنها ليست سوى (العبيرو) أي ما أصبحت العربية تدعوه (بالعبريين) وهو ما سنقف عنده لاحقاً. حين نتناول كلمة (ع ر ب) وتقليباتها.

أما الإشارات إلى ملكات وملوك aribi التي ترد في كتابات آشورية أخرى مثل الملكة زبيبي (زبيبة) والملكة شمسي (شمس) والملكة (وطيعة)⁽¹⁰⁾، فالأغلب أنها إشارات إلى مشيخات ذلك أن مفهوم malich في الآشورية وقبلها الكلدانية ليس سوى ما يشبه الحاكم الإداري وليس الملك المتوج، هذه الملكات والملوك ما هم إلا زعماء قبائل متبدية تتخذ من أطراف الصحراء مراحا ولا تخضع لسلطان الحاضرة إلا عن طريق الآكال والأعطيات، وإذا ما حصل أي انقلاب أو تغيير في سلطان الحاضرة وجدتها تنتفض على غير هدى إلى أن تستقر الأوضاع تماماً كما هي الحال إلى يومنا هذا، ولنا في تاريخ القبائل العبرية خير مثال، ذلك أنهم لم يستقروا ولم يشكّلوا حضارة إلا في فترات وجيزة في عهد الملوك الأنبياء وعهد الملكة دبورة، وهؤلاء الملوك الأنبياء أنفسهم لم يكونوا سوى مشيخات دانت لهم

بعض الجماعات القليلة ولفترات وجيزة حيث حاولوا تمثل السلطات الدينية التي كانت غريبة عن طبائع تلك الجماعات، فما كان إلا أن انقلبوا ولم تستقر لهم الأمور ليبقى البحث عن هيكل مزعوم لسليمان عليه السلام جارٍ إلى يومنا هذا وأين هذا الهيكل المزعوم من عمارة بابل وأشور لا بل عمارة الجنوب في اليمن ودلمون التي لم تبلغ ما بلغتة حضارة ما بين النهرين.

العرب في القرآن الكريم:

لم ترد كلمة (العرب) في القرآن الكريم دالة دلالة صريحة على قوم يدعون العرب كما هي الحال في الروم، إنما جاءت لوصف القرآن الكريم بأنه (عربي) ثمان مرات وبأنه جاء بلسان عربي ثلاث مرات، وهي لا تكاد تحيد حيثما وردت عن معنيين أحدهما مرجوح والآخر راجح أما الأول، وهو المعروف والشائع، فهو أنه بلسان قوم هم العرب، هذا الرأي مرجوح لسببين الأول أنه إخبارٌ بما لا يقتضي إخباراً، فمن البديهي أن القرآن جاء باللغة العربية إلا أن يرد الإخبار في موطن الحجاج وجلب الدليل والبرهان والحجة الدامغة على الذين أنكروه أو لم يفقهوه، والمواطن التي ورد فيها هذا الوصف للقرآن سياقها ينبيء بغير ذلك، والسبب الثاني أن ليس للقرآن مزية في كونه عربياً ذلك أنه للناس كافة، مما يلمح إلى استعمال ذلك حجة على الذين يقولون إن القرآن للناس كافة مع أنه بلسان عربي.

والمعنى الثاني وهو الراجح عندي أن وصف القرآن بـ (عربي) حيثما ورد فإنه يشير إلى الوضوح والإبانة والتمام والكمال مقابل العجمة والإبهام.

وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا (الشورى:7)

إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (الزخرف:3)

وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا (الأحقاف:12)

أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (فصلت:44)

إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (يوسف:2)

وكذلك أنزلناه حكما عربيا (الرعد:37)

وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد (طه:113)

"كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً" (فصلت:3)

"قرآناً عربياً غير ذي عوج" (الزمر:28)

"لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسانٌ عربي مبين" (النحل:103)

"بلسان عربي مبين" (الشعراء:125)

أما الأعراب فقد وردت في عشرة مواضع⁽¹¹⁾، وهي لا تشير إلى جماعة تجمعها أرض أو طبيعة عيش ذلك أن القرآن لم يذم الروم أو يمتدحهم ولم يذم أهل الحاضرة أو يمتدحهم ... إنما ذم اليهود وما كان ذلك الذم لسمّة تجمعهم من دين أو أرض أو عرق، إنما لطبع فيهم وهو الغدر والخيانة والتبديل والتحريف، وهو كما فعل مع اليهود فعل مع (الأعراب) فأخرج منهم فئة قليلة قائمة على الأخلاق والطباع التي أراد الإسلام تكريمها، قال تعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) (التوبة:99) وذم فيهم النفاق والتجاوز على الحق، هؤلاء الأعراب الدخلاء على المدينة والاستقرار والتحضر حالهم حال العبرانيين الذين رفضوا الخضوع لسلطان الدين والامتثال لنواهيه وأوامره⁽¹²⁾.

أما كلمة (البدو) فقد وردت في القرآن الكريم مرة في سورة يوسف عليه السلام (الذي جاء بك من البدو) (يوسف:100) وتعني حياة البادية بما فيها من شظف عيش وعسر معاش، ولم يكن الحكم عليها حكماً قيمياً إنما وصف لحقيقة طبيعة عيشهم، ومرة في سورة الحج (سواء العاكف فيه والباد) (الحج: 25) أي مقيمو مكة أو بواديها، وفي سورة الأحزاب تفريق واضح بين البادون والأعراب (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأحزاب) (الأحزاب:20) فـ (بدو) من (بدا - يبدو)، ومنها البدو أي الظهور الأول، فحياة الذين يعيشون مع شائهم وإبلهم متقلبين هي حياة بدو حياة بساطة ليس لها نصيب من التحضر، سواء أكان هذا الموطن في الصحراء أو غيرها، إنما غلبت الصحراء في اجتذابها لأولئك لأن الأرض الخصبة كانت جاذبة لمستوطنات زراعية أصبح بعضها مراكز تحضر مشكلة بعد ذلك بيئة طاردة للبدو فلجأ فريق منهم للصحراء وكثيراً ما شهدنا أطراف الحواضر تشهد صراعاً بين تلك القبائل المتبدية وأهل الحاضرة كانت الغلبة فيه دائماً لأهل

الحاضرة لتلوذ القبائل المتبدية بالصحراء ومن هنا نلتمس العلاقة بين (أعرب) فهو أعرابي أي دخل في الصحراء التي أصبحت لاحقاً تدعى بالعربة، الشيء ذاته رأيناه مع العبريين، فالجزر (عبر) فهو (عابر) و(عبري) وتعني التنقل وعدم الاستقرار بخلاف (عرب) و(ربع) أي استقر، وليس من أي علاقة بين (العبريين) وجد اسمه (عابر بن شالخ)، أو عبور أي نهر سواء أكان نهر دجلة أو نهر الأردن⁽¹³⁾.

(عرب) المعجم والتصريف:

هذه المادة مادة خصة في اللغة العربية وأخواتها، فهذا الجزر، وتقليباته فيما دعي بالاشتقاق الأكبر له وجود كثيف في العربية على النحو الآتي⁽¹⁴⁾:

1-عَرَبَ: دخل واستقر، وأبان وأوضح، ومنه العروب، والعريب، ومنه عرب.

2-عَبَرَ: دخل، انتقل

3-ربع: استقرّ ومكث ومنها التربع والأربعاء والأربعة، والربع والربيع وكلها ذات صلة بالاستقرار والمكوث وتطلق الربع على القوم والأهل والجماعة التي لك بها صلة، هذا المعنى له صلة بالمعنى الأول ولعله المعنى الأول لهذا الجزر.

4-بعر: ومنه البعير، والبعر فضلات البعير، متصل بالصحراء.

5-رعب: الرعب الخوف متصل بالصحراء.

6-برع: حذق في أمرٍ ما، وفاق أقرانهم والمكان البارِع أي المشرف من هنا نرى أن هذه المادة وتقليباتها تتمحور في دالتين متقابلتين:

الأولى: الاستقرار والوضوح والإبانة (عرب)

الثانية: التنقل والعبور والتصحّر والتبدي (عبر)

وهذا كثير في العربية إذ تنتقل الدلالة إلى المعنى المقابل أو النقيض بتغيير في حروفها يكون بالزيادة حيناً وبالنقل حيناً آخر مثل عجم، وأعجم، وبرح المكان، ورحب فيه، غير أن هذه القاعدة ليست قاعدة إلزامية، ذلك أنه ليس واجباً أن

تستعمل كل الإمكانيات المتاحة للتقليب من جهة، ومن جهة ثانية فإنه لا يبعد أن تكون لغة من اللغات قد ولدت المادتين في منحنيين منفصلين
العرب في ما وصلنا من شعر:

أجمع الباحثون عرباً ومستشرقين أن مادة (ع ر ب) ليس لها ورود في الشعر الجاهلي دالة على معنى قومي يتعلق بالجنس ولا على معنى يتعلق باللغة التي نتكلمها إلى يومنا هذا⁽¹⁵⁾. هذا هو رأي الدكتور عمر فروح عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة وقد أقره على ذلك الدكتور عوض محمد عوض والدكتور مراد كامل والأستاذ عبد الله كنون والشيخ محمد علي النجار، أقول أقروه على عدم ورود اللفظ دالاً على معنى قومي ولكنهم خالفوه في الاستنتاج فغياب كلمة (عرب) عن الشعر الجاهلي لا تعني عندهم غياب الحس القومي عند أبناء ذلك الجيل، وراحوا يستشهدون بشعر لعنترة وهو يصور فتك قومه بالفرس قائلاً في معلقته:

شربتُ بماءِ الدحرّضين فأصبحتُ زوراء تنفر عن حياض الديلم

يقولون بأن عنتره قد أحس بالدافع القومي الجامح ولكنه لم يجد الكلمة التي تعبر عن ذلك فراح يدور حول المعنى بيت كامل من الشعر.

ولتعلق هذا الفريق من الباحثين ومن شايهم بتسمية عرب يحركهم الحس القومي راحوا يلتمسون هذا اللفظ في شعر النابغة حيث ترد كلمة (عروب) في قوله:

عهدتُ بها سعدي وسعد غريرةً عروبٌ تهادى في جوارِ خرائد⁽¹⁶⁾

وفي موطن آخر يقول:

وفوقهم دروع سابغات وتحتهم المقلمة العراب⁽¹⁷⁾

وقد ذهب الدكتور عبد العال سالم مكرم مذاهب شتى في الرد على القائلين بغياب كلمة (عرب) من الشعر الجاهلي وبالتالي غياب الحس القومي، فراح يتحرّاه في النقوش الثمودية والصفوية والحيانية مقراً ضمّاً بأنها لم ترد في الشعر الجاهلي⁽¹⁸⁾، ولكنه يحترز بقوله إن ما وصلنا من الشعر الجاهلي قليل.

وبعد، فقد فات الباحثين عرباً ومستشرقين أن كلمة (عرب) دالة على جيل من الناس قد وردت في مواطن كثيرة من الشعر الجاهلي منها:
قول عنتره⁽¹⁹⁾:

تديرها من بنات العرب جارية رشيقة القد في أجفانها خدرُ
وقوله⁽²⁰⁾:

لله درّ بني عبس لقد نسلوا من الأكارم ما قد تنسلُ العربُ
وقول مرئ القيس⁽²¹⁾:

مخالفة نوى أسير بقرية نوى عربيات يشمن البوارقا
وقوله⁽²²⁾:

وقد محا الجذب عنها كل ساكنها فما بأجوازها عرب ولا عجم
ومما ينسب له القصيدة المشهورة التي منها⁽²³⁾

تعلق قلبي طفلة عربية تنعم بالديباج والحل والحل
فقلت لها حاشا وكلّا وهل وبل فقالت أنا كندية عريية
ويذكر سلامة بن جندل العرب العربا بقوله⁽²⁴⁾:

هو المدخل النعمان في أرض فارس وجاعله في قولهم في المدائن
وألقاه أيضاً بعد ذا تحت أفيلوفي العرب العربا بقايا ضعائن
أما سبيعة بنت عبد شمس فترثي أباها بقولها⁽²⁵⁾:

أعينيّ جودا واسحنفرا واندبا حليف الندى وقريع العرب
ويفتخر أباها بن كعب التغلبي بأخواله قائلاً⁽²⁶⁾:

وأخوالنا من خير أخوال العرب

ومن ذلك شعر ينسب لحسان بن تبع الحميري حين أراد أن يغزو الروم⁽²⁷⁾:

وبجيش عرمرم عربي جحفل يستجيب صوت المنادي
من تميم وخندف ومراد والبهاليل حمير وإياد
ومنه قول النابغة الجعدي وهو من المخضرمين⁽²⁸⁾:

وما علمت من عصة عربية كميلادنا منا أعز وأكبرا

وقول عمر بن الأهتم التميمي⁽²⁹⁾:

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب

أما الشعراء المخضرمين فقد وردت عندهم في مواطن كثيرة، ومنهم النابغة الجعدي وحמיד بن ثور الهلالي وقيس بن الحداية، ومالك بن فهم الأزدي ونافع بن الأسود⁽³⁰⁾.

والمرء إن عاين أشعارا لمخضرمين من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاري ودريد بن الصمة وعمر بن الأهتم وتميم بن أبي وغيرهم ممن تأثر شعرهم بالدين الجديد⁽³¹⁾، فإنه واجد كثافة من الشعر ترد فيها (عرب) دالة على قومية جامعة لكل القبائل، وهو ما سعى الدين الجديد إلى تثبيته في أذهانهم.

ناهيك عن أشعار كثيرة لجاهليين ومخضرمين وردت فيها هذه المادة ولكن بصيغ أخرى مثل (عروب، عريب، عرب) كقول أوس بن حجر⁽³²⁾

ومثل بن غنم إن نحول تذكرت وقول ابن الدمينه⁽³³⁾

بسابس لم يصبح ولم يمس ثاويا بها بعد جد البين منك عريب وقوله⁽³⁴⁾

ونبتتها قالت وبينني وبينها وقول عبيد بن الأبرص⁽³⁵⁾

فعدة ففقا حبر ليس بها منهم عريب

وهو كثير لا يتسع المجال لذكره.

فكيف لباحثٍ محترز لنفسه من أمثال الدكتور عمر فروخ والدكتور عبد العال سالم مكرم أن يحكم بعدم وجودها في الشعر الجاهلي؟ إنَّ مرد ذلك سببان منهجيان، الأول موضوعي وهو استقراؤهم الناقص للشعر الجاهلي، وهو سبب مغتفر أخلاقياً وغير مغتفر منهجياً، فلم تكن وسائلهم تتيح لهم استقراء تاماً للشعر. أما السبب الثاني فيمكن أن يكون سبباً غير موضوعي، إنه افتتان لا شعوري بآراء المستشرقين وحكم مستبطن بموضوعيتهم ودقتهم العلمية، فمنذ أن قال المستشرقون

بعدم ورود الكلمة في الشعر الجاهلي صدقناهم ولكننا رحنا ندافع عن أنفسنا غير مكلفين أنفسنا عناء التحقق من الأمر، وهو مطعن لا يغتفر البتة.

أما كلمة الأعراب فلا ذكر لها البتة في شعر ما قبل الإسلام، فيما وقفت عليه من دواوين شعرية ومجموعات وموسوعات، في حين لها وجود مكثف بعد ذلك لاسيما عند حسان بن ثابت، وكعب بن مالك الأنصاري وعمرو بن الأهتم وتميم بن أبي، وغيرهم⁽³⁶⁾. مما يشير إلى أن التسمية اجترأ من القرآن لم يكن مفهوماً قد استقر قبل ذلك، إنما كانت تطلق كلمة عرب على ذلك الجيل مدره ووبره.

الحس القومي عند عرب ما قبل الإسلام

على الرغم من أن شعر ما قبل الإسلام حافل بأشعار تشير إلى افتخار العدنانيين بعدنانيتهم وكذا القحطانيين وافتخار كل قبيلة ممن ينطوي عليه هذان التجمعان الكبيران بانتماء شعرائها القبلي من ذلك قول سلامة بن جندل التميمي العدناني⁽³⁷⁾:

والحي قحطان قدما مايزال لها منا وقائع من قتل وتعذيبي

وقول كعب بن مالك الأنصاري قبل إسلامه:⁽³⁸⁾

أنا ابن مباري الريح عمرو بن عامر نموت إلى قحطان في سالف الدهر
وقول الأفوه الأودي القحطاني:⁽³⁹⁾

يابني هاجر ساءت خطة أن تروموا النصف منا ونجار

على الرغم من ذلك فإنه لا يمنع أن ثمة شعورا بانتماء الفريقين إلى أمة واحدة تختلف عن جاورها من روم وفرس وأحباش. وما هو سوى افتخار كل قبيل واعتزازه بقبيلته، والتنافس بين القبائل العربية، تنافس مازال له حضور حتى يومنا هذا يبلغ أحيانا حد الحراية. غير أنه لم يمنع عدنانيا من مدح قحطاني أو قحطانيا من مدح عدناني من ذلك قول حاتم الطائي وهو من عرب الجنوب راضيا إشهاد عرب الشمال:⁽⁴⁰⁾

فتجمع نعمي على حاتم وتحضرها من معد شهودا

وقد كان للقحطانيين تفوق على العدنانيين في أغلب الأحيان، فكانت لهم السيادة، وقد رضي قسم كبير من العدنانيين تلك السيادة ، وقبلها بعضهم على مضض، ورفضها بعضهم، وليس أدل على ذلك من محاوراة يزيد بن المدان القحطاني لعامر بن الطفيل العدناني، قال يزيد: " يا عامر، هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك؟ قال: اللهم لا، قال فهل تعلم أن شعراء قومك رحلوا بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللهم نعم، قال فهل لكم نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان؟ قال: لا، قال فهل ملكناكم ولم تملكونا؟ قال نعم ⁽⁴¹⁾

وقد كثر مدح العدنانيين لسيادة من القحطانيين، من ذلك مدح المثلث الضبعي والأعشى ميمون بن قيس لقيس بن معديكرب ⁽⁴²⁾ وقد عد الأعشى شاعر عرب الجنوب لكثرة مدحه لسادتهم ⁽⁴³⁾، وحال الأعشى في ذلك حال النابغة الذبياني فقد كانا يسعيان إلى التقريب بين العرب وتوحيدهم تحت سيادة واحدة شمالية كانت أو جنوبية، وقد كان الأعشى يحلم بتحرير القبائل العربية من النفوذ الأجنبي، إلا أن طموحه بانضواء العرب تحت راية واحدة اصطدم بمعارضة المناذرة وبعض القبائل العدنانية التي عانت من استعلاء أبناء جلدتهم عليهم. ⁽⁴⁴⁾ وأدى ذلك إلى صراعات وحروب سجلتها الأشعار، من ذلك يوم خزارى، إذ بدأت الغلبة تميل لصالح العدنانيين الشماليين، من ذلك قول داود الإيادي: ⁽⁴⁵⁾

ضربنا على تبع جزية جياذ البرود وخرج الذهب

غير أن هذه الصراعات لا تنفي إحساس الفريقين بانتمائهم إلى أرومة واحدة ونسب واحد وأمة واحدة، وقد تجلّى الإحساس بالانتماء للعروبة في صراع تلك القبائل مع الأمم المجاورة وعلى رأسها الفرس ثم الروم والأحباش، فقد كان العرب يشعرون ويعرفون اختلافهم عن تلك الأمم، وليس أدل على ذلك من وصفهم لهم بالعجم، واختلافهم عنهم بالملبس والعادات والتقاليد، خاصة ما يتعلق بالزواج، فقد كانوا يعيرون على الفرس اقترانهم بالمحارم، ويعيرون على الأحباش ختان البنات ⁽⁴⁶⁾ من ذلك قول أوس بن حجر: ⁽⁴⁷⁾

والفارسية فيهم غير منكرة فكلهم لأبيه ضيزن سلف

وقول حسان بن ثابت(48)

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

ومن الأحداث البارزة في الصراع بين العرب والفرس موقعتي ذي قار وسقوط الحضر (241-272م) وقد سجلهما الشعراء قحطانيون وعدنانيون على السواء (49) وقد كان سقوط مملكة الحضر على نهر دجلة سقوط كيان سياسي شكل في نظر بعض الشعراء نهاية لكيان بدأ يتشكل منفلتا من النفوذ الفارسي على يد قبائل قضاة، غير أن الفرس تنبهوا إلى خطورة مثل هذا الكيان على حدود امبرطوريبتهم، وقد حاول الفرس استمالة الإياديين واستعمالهم على أبناء جلدتهم، وكان أن بعث لقيط بن يعمر الإيادي، وكان في بلاط كسرى، بصحيفته المشهورة إلى قومه: (50)

**سلام في الصحيفة من لقيط
على من بالجزيرة من إيادي
بأن الليث كسرى قد أتاكم
فلا يشغلكم سوق النقاد**

وقد كانت الغلبة في موقعة الحضر وموقعة الإياديين للفرس، ذلك أن قضاة قد واجهت الفرس وحدها وكذلك قبائل إياد، أما الموقعة الوحيدة التي انتصر فيها العرب على الفرس فكانت يوم ذي قار، فقد اجتمعت القبائل العربية على حرب الفرس، وقد قام الشعراء وعلى رأسهم النابغة الذبياني بدور كبير في توحيد القبائل العربية لقتال الفرس، وكاد أن يقتل بسبب ذلك (51) ومن شعره المشهور في ذلك: (52)

**إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج
ويأت معدا ملكها وربيعها**

وقد أكثر الشعراء من ذكر ذي قار على اختلاف قبائلهم، ومنهم الأعشى، وحنظلة العجلي، والعديل البكري (53) وليس أدل من قيمة النصر في ذي قار من قول الرسول صلى الله عليه وسلم " هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرنا" (54)

ومن هنا فإن الإحساس القومي عند القبائل العربية كان بديها، وقد بدأ حلم الوحدة يتراءى لبعض قادتهم قبيل ظهور الإسلام، أما الصراعات التي كانت تنور بين القبائل فمردها الأسباب الآتية:

أولاً: صراع طبيعي على السيادة أشبه ما يكون بما نراه اليوم من صراع بين التيارات السياسية، غير أنه اتخذ طريق العنف في شعب لم يحدد أطرافاً سياسية واجتماعية للتنافس.

ثانياً: التدخل من القوى الأجنبية المحيطة بجزيرة العرب، الفرس والروم والأحباش، فقد كانت فارس تمنح زعماء القبائل آكالا لضمان ولائها، وتغذي الصراع بين القبائل لضمان سيادتها ونفوذها.⁽⁵⁵⁾

ثالثاً غياب قيادة سياسية أو دينية قادرة على توحيد العرب تحت راية واحدة متجاوزة الصراعات وقادرة على وضع صيغة تجمع العرب آن ذاك.

خلاصة ونتائج

نخلص مما تقدم إلى الآتي:

أولاً: ليس صحيحاً أن كلمة عرب لم ترد في الشعر الجاهلي، ومن ثم فإن الحس القومي عند عرب الجاهلية كان موجوداً بخلاف الشائع من أن تلك الشعوب كانت قبائل متناحرة لا يجمعها جامع، وليس السند في ذلك فقط ورود كلمة عرب في الشعر الجاهلي، ذلك الشعر الذي لا يتجاوز ما وصلنا منه في أحسن تقدير 600 سنة قبل الإسلام، ولكن الأدل على ذلك هو ورود مفهوم قوم في غير ما موطن في الشعر مشير إلى انتماء يتجاوز القبيلة الواحدة .

ثانياً: تسمية عرب مشيرة إلى قوم أو جيل من الناس تتجاوز ما اصطلاح عليه المستشرقون عرب الجنوب وعرب الشمال، إنما تشمل شعوب وأجيال وحضارات بعضها ساد لحقب طويلة من الزمن وبنى حضارات أثارها باقية إلى اليوم في منطقة شرق الأحمر وشمال المتوسط وتشمل ساحل المتوسط، وحوض الرافدين، وحوض الأردن، وشبه الجزيرة العربية، يشير إلى ذلك عموم التسمية التي أطلقها مؤرخو اليونان والفرس والمصريين.

ثالثاً: ليس من الثابت أن تكون اليمن مهد العرب الأول ومنطلقهم، والتصور الذي يتبناه الباحث هو أنه كانت هناك هجرات معاكسة لما هو شائع عند

المستشرقين أي هجرات من الشمال إلى الجنوب، إثر تعرض المناطق الشمالية لموطن العرب: ساحل المتوسط وبلاد الشام لغزوات متكررة من الحثيين والهكسوس والمصريين منذ العصر البرونزي وحتى يومنا هذا⁽⁵⁶⁾، هجمات واجتياحات كان آخرها الحروب الصليبية أدت بعضها إلى تدمير مدن بكاملها ومحو حواضر وتشتت أهلها في البوادي والصحاري، مثل هذه الإبادة والتشريد نقيدها لنا بعض الكتابات وهي من فترات متأخرة، منذ حضارة أوجاريت، وليست كتابات الصفاويين واللحيانيين إلا كتابات طرائد تلك الاجتياحات، بعض أولئك الطرائد ممن لهم نصيب من التحضر وصلوا إلى الزاوية الغربية الجنوبية عند ملتقى البحر الأحمر والمحيط الهندي وشكلوا حواضر معين وقتبان وسبأ والحضر وحمير، والذي يدرس حضارة الجنوبيين وأهل اليمن الحاضرة يجد الشبه الكبير بينهم وبين حواضر ساحل المتوسط في سوريا فهم أهل تجارة وبحارة، أما الاختلاف البسيط في السحنة ذاك الذي نلمسه اليوم فلا اتصال أولئك بأهل الهند والقرن الأفريقي منذ ألوف السنين قبل الميلاد. ومما لا شك فيه أن أهل الحبشة بعض من أولئك الذين عبروا البحر باتجاه أفريقيا وانساحوا شمالاً وغرباً مع امتداد المتوسط، في حين عبر البعض المتوسط من جهة الشرق في فترات النفوذ ليشكلوا حضارة قرطاج وهي تحريف للتسمية العربية القديمة قرت حدش، أي (قرت حدث) وتعني القرية الحديثة (الجديدة). أولئك الذين منحوا أوروبا اسمهم وما هي إلا (عروبة)، إلهة عربية لا تخرج دلالتها عن (أور) وتعني الشرق، أو مطلع الشمس، ومنها اشتقت التسمية اللاتينية (Oryant).

الهوامش:

- 1- يلحظ أن كلمة عرب لم ترد في النقوش العربية الجنوبية أو الشمالية، وأقدم نقش وردت فيه لا يرقى إلا إلى القرن الرابع الميلادي (نقش النمارة) أما النقوش غير العربية فيتعدى ذكرها العرب القرن العاشر قبل الميلاد، ينظر: صالح درادكة، بحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 9-24.
- 2- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 2
- 3- أحمد داود ، العرب والساميون وبنو إسرائيل واليهود، ص 21-23، وانظر: شعب كنعان وتاريخ العرب المجهول، محمد النبهان، المعرفة، مج 28، ع 314-315، ص 195-218
- 4- ينظر: خالد إسماعيل فقه اللغات العاربة المقارن ، المقدمة ص ح
- 5- ينظر ولفنسون، السابق، ص 162_163
- 6- ينظر الآيات: فصلت: 15 ، والفجر: 9 ، وهود: 68 و 95
- 7- ينظر: ينظر :محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة، ص 30-43. وانظر: لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها بالعربية، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج 28، 1962، ص 284_288
- 8- جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب، 1/16. وانظر: العربية الفصحى ولغة حمورابي، دورم إدورد، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج 12، 1960، ص 185-192
- 9- أحمد داود ،سابق، ص 70-76. وقد ورد هذا الاسم بصيغة (خبيري) في ألواح تل العمارنة مشيرا إلى جماعات متبدية، ينظر:
- A.A.Trerer. History of ancient civilization , vol,1, p:66
- 10 -جواد علي ،سابق، 1/577-611 ،وموسل ،شمال الحجاز ،93-94، وفليب حتي، تاريخ العرب ، 50/1
- 11- الآيات: التوبة: 90، و 97، و 98، و 99، و 101، و 120، والأحزاب: 33، و الفتح: 11، و 16، والحجرات: 14.
- 12- يشيع في بلاد الشام إطلاق تسمية (عرب) على أهل الوبر مقابل أهل المدر من الفلاحين والمزارعين وساكني المدينة، وكذلك تسمية (عربان) وهي التسمية التي ترد في السجلات العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر، وقد كانت تدور بينهم وبين الفلاحين صراعات لم تنته إلا بظهور الدولة القطرية وبسط نفوذها على الحاضرة والبادية (ينظر: هند أبو الشعر، إربد وجوارها، 147-153) ويبدو لي أن إطلاق تسمية عرب على القبائل المتبدية فقط يخلو من الموضوعية والحياد وهو تخصيص من الأتراك شاع على ألسنة العامة.

- 13- ذكر هذا الرأي إبراهيم أنيس حيث تتبع ورود اسم عابر في نصوص التوراة ، وقد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن كلمة (عبر) وما اشتق منها لا تشير في التوراة إلا إلى حياة البداوة(ينظر: إبراهيم أنيس ،عبري، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1975، ع36، ص7-14)
- 14- ينظر :لسان العرب لابن منظور ،مادة (عرب)
- 15- انظر: رأي الدكتور عمر فروخ، مجمع اللغة العربية في القاهرة، مؤتمر 1961-1962، ص263-265.
- 16- ديوان النابغة الذبياني،تحقيق:محمد أبو الفضل،القاهرة،دار المعارف :1985، ص138
- 17- نفسه ،ص251
- 18- انظر: عبد العال سالم مكارم، ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية،بيروت، مؤسسة الرسالة:1988، ص8-9
- 19- ديوان عنتر بن شداد،شرح يوسف عيد،بيروت ،دار الجيل:1992، ص113.
- 20- نفسه ،ص48.
- 21- ديوان مرؤ القيس،تحقيق محمد أبو الفضل،ص195(يبدو أن هذين البيتين وغيرهما من أبيات القصيدة مما ينسب لامرئ القيس)
- 22- نفسه، ص304
- 23- نفسه ،ص468-469
- 24 ديوان سلامة بن جندل،تحقيق فخر الدين قباوة،بيروت دار الكتب العلمية:1987، ص259.
- 25- عن الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإصدار الثالث.مادة الكترونية
- 26- نفسه
- 27- الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني،22/317.
- 28- شعر النابغة الجعدي، ص50.
- 29- الأغاني،4/ 157.
- 30- ينظر: الموسوعة الشعرية ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإصدار الثالث، مادة إلكترونية،ينظر: الشعراء المخضرمين،(عرب،العرب،عربي، العربي،عربية ، العربية،عروبة،عرباء)
- 31- ينظر:ديوان حسان بن ثابت،1/443،135،80.وديوان دريد بن الصمة،ص33. وديوان كعب بن مالك الأنصاري ،ص133
- 32- ديوان أوس بن حجر ،ص6
- 33- ديوان ابن الدمينه ، ص98
- 34- نفسه،104

- 35- ديوان عبيد بن الأبرص، 11
- 36- ينظر: ديوان حسان بن ثابت، 80/1، 343، وديوان عمرو بن الأهتم، ص81، وديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص28، وديوان ابن مقبل تميم بن أبي، ص103 .
- 37- ديوان سلامة بن جندل، ص227
- 38- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص53
- 39- ديوان الأقفوه الأودي، ص72-78.
- 40- ديوان حاتم الطائي، ص197.
- 41- الأغاني، 12/13.
- 42- ينظر: ديوان المتلمس الضبعي، 223-236، وديوان الأعشى، القصائد رقم 7و27و56و58و67و70و74و78و79.
- 43- محمد تونجي، الأعشى شاعر المجون والخمرة، ص54-55
- 44- محمد نجيب البهيتي، تاريخ الشعر العربي، ص31-32.
- 45- ينظر: العقد الفريد، 5/245_264، وتاريخ العرب القديم، 265-271، ودراسات في الشعر العربي، ص292
- 46- ينظر: محمد الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص37-39
- 47- ديوان أوس بن حجر، 75.
- 48- ديوان حسان بن ثابت، 1/237
- 49- ينظر ديوان الأعشى، ص318-319.
- 50- ديوان شعر لقيط، 72-74، والأغاني 22/360
- 51- محمد نجيب البهيتي، تاريخ الشعر العربي، ص42-43.
- 52- ديوان النابغة، ص123.
- 53- ينظر: الأغاني، 24/68، وديوان الأعشى، 210 - 211، والنقلنض، 2/642.
- 54- تاريخ الطبري، 2/208.
- 55- ينظر: الأغاني، 17/318-322، وتاريخ الطبري، 2/169_171.
- 56- ينظر في ذلك: الجزيرة العربية أهم اكتشاف للحضارات القديمة، علي سكيف، دمشق، الجمعية التعاونية للمطابع: 2000م، ص27_31. حيث يصل الباحث أن معين وقتبان كان موطنهما الأصلي جنوب المملكة الأردنية.

المصادر والمراجع

- إربد وجوارها-ناحية بني عبيد، هند أبو الشعر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1995
- الأعشى شاعر المجون والخمرة، محمد تونجي، حلب، دن، دبت
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1935م
- بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، صالح درادكة، عمان، دار شيرين: 1988م
- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، محمد نجيب البهيتي، بيروت، دار الفكر، 1970
- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الطبري، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، 1967
- تاريخ العرب، فليب حتي وآخرا، بيروت، دار غندور، 1982م
- تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994
- تاريخ اللغات السامية، اسرائيل ولفنسون، بيروت، دار القلم: 1980م
- تيارات ثقافية بين العرب والفرس، محمد الحوفي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1978
- الجزيرة العربية أهم اكتشاف للحضارات القديمة، علي سكيف، دمشق، الجمعية التعاونية للمطابع: 2000م.
- دراسات في الشعر العربي، عبد الرحمن شكري ومحمد بيومي، القاهرة، الدار المصرية، 1994
- ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت، 1998.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد نجم، دار صادر، بيروت: 1967
- ديوان الأعشى، تحقيق: محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983
- ديوان الأفوه الأودي، تحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت، 1998م
- ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، 1970
- ديوان النابغة، تحقيق: محمد الطاهر، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1976
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، دار المعارف: 1985
- ديوان تميم بن أبي بن مقبل، تحقيق: مجيد طراد، بيروت، دار الجيل، 1998
- ديوان حاتم الطائي، تحقيق: حنا ناصر، بيروت، دار الكتاب العربي، 1994
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: نوليد عرفات، أمناء جب التذكارية، 1971م
- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: محمد البقاعي، دم، دار قتيبة، 1981م
- ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، دار الكتب العلمية: 1987.
- ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م

- ديوان عنتر بن شداد، شرح يوسف عيد، بيروت، دار الجيل: 1992،
 - ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: مجيد طراد، بيروت، دار صادر، 1997م
 - ديوان مرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، 1969
 - شعب كنعان وتاريخ العرب المجهول، محمد النبهان، المعرفة، مج28، ع314-315
 - شعر الزبرق 5ان بن بدر وعمرو بن الأهتم، تحقيق: سعود محمود، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م
 - شعر النابغة الجعدي، دمشق، المكتب الإسلامي، 1964م
 - شمال الحجاز، إلويس موسل وعبد المحسن حسيني، الاسكندرية، مطابع رمسيس، 1952م
 - * ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية، عبد العال سالم مكارم، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988،
 - عبري، إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1975، ع36.
 - العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، أحمد داود، دمشق، دار المستقبل، 1991م
 - العربية الفصحى ولغة حمورابي، دورم إدوارد، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج12، 1960
 - العقد الفريد، ابن عبد ربه، أحمد العصر، القاهرة، المطبعة الجمالية، 1913م
 - فقه اللغات العاربة المقارن، خالد اسماعيل، إربد، دن، 200م
 - القبائل النمودية والصفوية دراسة مقارنة، محمود الروسان، الرياض، جامعة الملك سعود، 1992م
 - لسان العرب لأبن منظور
 - لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها بالعربية، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج28، 1962،
 - * مؤتمر 1961-1962. عمر فروخ، مجمع اللغة العربية في القاهرة.
 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بغداد، دار النهضة، 1976م
 - الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإصدار الثالث. مادة الكترونية
- A.A.Trerer.History of ancient civilization .

الصحراء وثقافة شعوب الهامش في
رواية "عيون الطوارق" لألبرتو فاتكت
فيكيروا "

فتيحة بركات
قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة باجي مختار-عناية

ملخص

"عيون الطوارق" رواية أسبانية تعرض حياة الطوارق، وتعبير عن قضايا هامة تتعلق بالمعتقدات والقيم ومصير الأقليات و تندد بالظلم الذي يقع على شعب الطوارق جراء السباقات الرياضية. تؤدي الكتابة وظيفتين، حمل الثقافة وتدوينها و التنديد بالتصنيفات العرقية والجغرافية غير الموضوعية للشعوب ولثقافتها. إذ يهدف نص "عيون الطوارق" إلى إيصال صوت شعب الأيموهاغ المكتوم، ويسلط الضوء على إرثه الثقافي الخاص الذي يهدده الضياع. كما يشير إلى عملية التحول بين مجتمع الطوارق التقليدي و العصرية. نهدف من خلال هذه الدراسة إلى توضيح كيفية حضور الصحراء في المتخيل الغربي و طرح مسألة الغيرية واستعراض مأساة الرجال الزرق كما يشهد بها كاتب غربي.

مقدمة: Résumé

حقوق توظيف الصحراء والثقافة
الصحراوية إنجازا نوعيا للخطاب
الروائي العربي والعالمي؛ و لئن
كان تناول الصحراء في الإبداع
الأدبي هو تأكيد على الخصوصية
و الهوية الثقافية بالنسبة إلى الذات
العربية، فإن تناولها في كتابات
المبدعين الغربيين تعد تجربة
مغايرة في الكتابة، وانفتاحا على
الآخر وخلق فضاء جديد في
الإبداع، ليس ذلك لأن كتاب الغرب
لم يكتبوا عن الصحراء في مراحل

Los ojos del Tuareg d'Alberto Vázquez-Figueroa, est un roman espagnol qui raconte la vie des minorités marginalisées, et vise à analyser la crise des Touaregs, en dénonçant l'injustice des conquérants venus d'occident à cause du rallye qui se déroule chaque année. Le texte est alors chargé d'une double fonction à la fois mémorielle et revendicative. Le texte tente de faire entendre la voix anonyme du peuple Imohagh et présente toute la transition qui s'opère entre la société traditionnelle Touareg et la modernité. L'objectif de notre étude consiste à mettre en évidence les représentations du désert dans l'imaginaire occidental. Dans cet ordre d'idée, nous tenterons de traiter la question de l'altérité et d'exposer le malheur des hommes bleus auxquels renvoie le texte d'un écrivain occidental.

سابقة في تاريخ الرواية الغربية لكن تناولهم الصحراء الأفريقية تم وفق رؤية جديدة واسعة وبوعي أكبر ليس بسحرها و جاذبيتها وحسب وإنما بعمق تراثها وثقافة أهلها وعلاقتها بالإنسان ، فشكل توظيف الصحراء الأفريقية شكلا من أشكال الحوار مع ثقافة مغايرة ظلت مهمشة ضمن هذا السياق أسهمت بعض النصوص الروائية لكتاب الغرب في التعريف بثقافة شعوب الهامش كخطوة نحو الاعتراف بخصوصية الآخر الثقافية واختلافه، فشكل هذا التوجه مساحة حوار مثمر تم بفضلها القضاء على الكثير من الأفكار الراسخة والتصور النمطي الذي اختزل الآخر (سكان الجنوب) في مرتبة التابع للغرب ومنجزاته.

اتسم حضور الصحراء في إبداعات كتاب الرواية الغربيين بالتغير والاختلاف من كاتب لآخر ومن مرحلة إلى أخرى ، فمن التيار العجائبي إلى التيار الاستعماري إلى التيار الإنساني، أسهمت كتابات الصحراء في تشكيل صورة الآخر وتنامي هذه الصورة في المخيال الغربي. وطرحت قضايا تتصل بعلاقة الذات بالآخر و تحلل علاقة الشمال بالجنوب وفق معادلات تختلف باختلاف الموقف الحضاري والسياسي وتغير صورة الآخر. لقد شكلت الصحراء فضاء رائعا للغرائبية و الأحلام في أدب الرحلة، أما في النصوص المعاصرة فالصحراء هي الفضاء الثابت واللازمي والسرمدي والروحي⁽¹⁾ والجدير بالملاحظة أن تمثيل الصحراء في الرواية الغربية يختلف باختلاف ثقافة الكتاب المبدعين الذين أبهرتهم و ألهمتهم الصحراء منذ القرن التاسع عشر، إذ شكلت بعدا مختلفا و فضاء بكرا و ثريا مكنهم من بناء عوالم تخيلية متنوعة. فمن بيير لوتي Pierre Loti إلى ازابال ابرهارد Isabelle Eberhardt، إلى تيودور مونو Théodore Monod، من سانت اكزيبيري Saint Exupéry إلى ألبير كامي، لا تزال الصحراء فضاء ملهما للعديد من كتاب الرواية الغربيين نذكر على سبيل المثال لا الحصر جون ماري غوستاف لوكليزيو J.M.G Le clezio الذي حاز على جائزة نوبل لعام 2008 وباولو كويلهو Paolo coelho و ملان كونديرا milan Kundera و القائمة طويلة؛ ومن الكتابات التي اهتمت بالصحراء من خلال الاحتفاء بالهامش

والأقليات الهامشية، رواية للكاتب الأسباني البرتو باتكث فيكيروا Alberto Vazquez Fegheroa، تناول من خلالها حياة قبائل الطوارق عنوانها "عيون الطوارق" "Los ojos del Tuareg". والجدير بالذكر أن الكاتب ينطلق من دافع خدمة الحقيقة التاريخية و تقديم صورة عن هذا الشعب بعيدة عن كل تهميط وتشويه ، ساعده على ذلك تشبعه بالثقافة الصحراوية بحكم تجربته في الصحراء ومعايشته للرجال الزرق ، فضلا عن انتسابه إلى ثقافة هجينة ، مما يخوله لتقييم القيم الثقافية لثقافة الشمال وثقافة الجنوب ومعرفة ميزات كل منها .

في رواية "عيون الطوارق" يتم التركيز على ثقافة الطوارق ويضعنا عالم الرواية أمام عوالم صحراوية تنبض بالحياة والتنوع والتعقيد ، و يكشف الصراع بين ثقافتين مختلفتين كل الاختلاف و يلفت الانتباه إلى ثقافة الهامش واختلافها وتميزها، ويفضح الإفلاس الذي يتهدد ثقافة الشمال بسبب انهيار القيم وسيطرة المادة .

حضور الصحراء في الرواية فاعل وقوي باعتبارها فضاء للسرد، و طرفا في الصراع بين ثقافتين: ثقافة المركز وثقافة الهامش، فلا تحضر الصحراء في الرواية حضورا جغرافيا بل كمركز قوي. و سعيا منه إلى انتقاد الثنائية التراتبية (المركز والهامش) يمرر الكاتب خطابا أيديولوجيا و يخلق استراتيجية جديدة فيجعل من صحراء الطوارق مركزا وباقي العالم هو الهامش .

1- صلة الإنسان بالصحراء :

يعيش شعب قبيلة "كيل- تالغيموس " " شعب اللثام "في عزلة بعيدا عن مواطن الحضارة ، ويسعى إلى إثبات ذاته والحفاظ على هويته الثقافية في عالم يموج بالحروب والاعتداءات و ظلم الشعوب القوية للشعوب المستضعفة .

منذ البداية تشير الرواية إلى التحديات التي تواجهها عائلة غزال صياح التي اختارت العيش في الطرف الضائع و الأكثر بعدا في تينيري* بحثا عن الأمان في أحضان الصحراء ، تنحصر ثروتها في ثلاث نخلات وبئر شحيح و ثلاثة جمال

وبعض الماعز وشجاعة وحنكة ورثها غزال صياح عن أبيه الأنموشار النبيل الذي استمات في الدفاع عن شرفه و الحفاظ على تقاليد قبيلته .

يتمثل الصراع في أشكال عدة، صراع بين الإنسان و الطبيعة ومواجهة فساوتها لأجل مواصلة البقاء، وصراع بين التقاليد و المدنية الوافدة التي تتهدد بيئتهم و وجودهم. والنوع الثالث من الصراع صراع مع قوى الشر في النفس البشرية.

يقول فيليب فراي Philippe Frey: " يجد كل منا في الصحراء ما يأمل أن يجده لكن عندما نعرفها معرفة حقيقية تصبح علاقتنا بالمكان عملية وأكثر براغماتية. أما بالنسبة إلى أهلها فإن العيش فيها قضية صراع من أجل البقاء في بقعة معزولة".

إذا كانت قيمة الصحراء في ثقافة الشمال تتحدد بسحرها وامتداداتها اللامتناهية و بما توفره من متعة ومغامرة، فإن قيمتها في ثقافة الجنوب تتحدد بالأصالة و استمرار البقاء ؛ ولئن عدت الصحراء أرضا قفرة و مجرد منطقة عبور بالنسبة إلى القادمين إليها بحثا عن المغامرة أو باعتبارها متحفا مفتوحا يلهم زائريه، فهي حياة وحرية بالنسبة إلى أولئك الذين ينتسبون إليها ويتوحدون معها ويدركون قوتها وتأثيرها اللامحدود على الإنسان باعتبارها منطقة وجودية لها أسرارها و نواميسها؛ يدرك الطوارق هذه الحقيقة فيعتصمون بالصحراء يدفعهم إليها ائتلافهم معها وتواضعهم لها وهذا ما مكنهم من البقاء فيها : " نحن شعب على قدر من الاعتزاز بالنفس ولا ننحني إلى أي إنسان، لكننا على قدر كبير من التواضع كي ننحني أمام الطبيعة، لأننا نعلم أن الله قد خلق العالم منذ ملايين السنين قبل أن يخلق الإنسان، وهذا الأخير هو مجرد مسافر عابر ".⁽²⁾ يعترف الطارقي بجبروت الصحراء وسطوتها ومن ثم صعوبة إخضاعها فينحني أمامها، يقبل بشروط العيش فيها و بتقلباتها و يرضى بقدره دون أن يتحدى .

على هذا الأساس تمارس الصحراء فعلا مزدوجا فهي تشكل ملاذا و مأوى للطوارق و تروضهم و تطبع سلوكهم بما تفتقه من أحاسيس وما تغرسه فيهم من قيم و فضائل مثل الصبر والزهد و نصرة المستغيث والنبل وغيرها من القيم التي تحدد تركيباتهم النفسية ، " الصبر هو السلاح الذي استطاعوا بواسطته البقاء على

قيد الحياة هناك حيث شعوب كثيرة أخرى كانت ستهلك، والصبر كجين إضافي إلى جينات سلالته المختلفة عن السلالات الأخرى ، وكأن لون جلدهم هو حقيقة أزرق . " (3) .الصبر جلد ثان يلبسه الطارقي منذ البلوغ. "أوصيك بالصبر.كيف تستقيم الصحراء بدون صبر؟من لم يوهب هذه النعمة لن يطيب له المقام في الصحراء. عليك بالصبر و الحيلة فهما سر الصحراء .لا احد يستطيع أن يتنبأ من أين يمكن أن تأتي النجاة، من السماء أو من الأرض. المهم أن تصبر و تنتظر. الصبر هو كلمة السر " (4). و هناك قيمة أخرى لا تقل أهمية بالنسبة إلى الطوارق و هي الزهد في ملذات الحياة إذ يعتبرون الثروة من الزائل العارض الذي يجلب المصائب، لذلك نجدهم يتخلون عن الزائد ويكتفون بالضروري الطبيعي.فغزال صياح عندما عرض عليه مفاوضه مليون فرنك مقابل أن يتراجع عن تطبيق حكم الطوارق أجابه بان الذاكرة لا تعرض للبيع، و راح يبرر موقفه و يفسر رؤية الطارقي التي تدين عالم المادة : " نحن الرحل نمقت الأشياء إذ أن أي شيء مهما كان ثميناً يتحول إلى عائق ساعة الرحيل . يطلقون علينا (أبناء الريح) وربما ذلك لان الريح لا تحب الأشياء أيضا :تدفعها، تحطمها أو تهجرها، لكن لا تحتفظ بها أبدا . " (5).التملك قيد يحد من حرية الطارقي لذا يتحرر من أسر المادة و يزهد في الدنيا كي يحصل الغنى الروحي و الحرية التي يتوق إليها، فالأشياء المادية مهما كانت قيمتها تجلب سوء وتؤثر على النفس البشرية إن هي تعلقت بها. و هو في موقفه هذا يركز إلى رؤية صوفية تحرم تعلق الإنسان بملذات الحياة. و من الأبعاد الصوفية الأخرى التي يلمح إليها الكاتب من خلال موقف شخصيات الرواية، الاعتصام بالعزلة والتأمل و التوحد مع الطبيعة. يتعلم الطارقي في الصحراء كيف ينصت إلى الكون من حوله وكيف ينفذ إلى قلب الأشياء، فمن يعرف الصحراء يثير دهشته السكون الغريب الذي يلفها وهذا ما يجعل الإنسان يتأمل ويقوده طول التأمل إلى البحث عن أجوبة كونية ، فالتأمل ميزة عظمى تشد الحواس و توهب البصيرة " أول واجب على الاموهاغ هو تمحص كل حركة للسماء ،الأرض،الناس،النباتات والبهائم،لأنه من المعرفة العميقة بهذه الأشياء يتعلق

طول حياته⁽⁶⁾. إلى جانب ذلك تفعم الصحراء قلب الإنسان بالانقاوة وتمنحه طاقة مشعة يتغلب بها على الشر ويسعى إلى اكتساب الطمأنينة الداخلية التي تقوده إلى الحكمة "في أرض الجفاف تثبت الحكمة، وتنمو، وتتفتح، فتجد إلى النفوس طريقا، وتشق إلى السماء سبيلا، لتزواج بين نواميس الأعالي وشرائع الأسافل، فتعقد قرانا أبديا بين السماء والخلاء".⁽⁷⁾ ومن السجايا النبيلة التي يمتاز بها أهل الصحراء الالتزام بكلمتهم مهما كلفهم ذلك. نستخلص مما تقدم أن لدى الطوارق التزامات خلقية تجاه الطبيعة والبشر هي أساس هويتهم الثقافية ومصدر وعيهم بالذات الجماعية .

2 - صراع البقاء:

2-1- العادات والتقاليد في حياة الطارقي:

يرتبط استمرار حياة الطوارق في الصحراء بتمسكهم بقانون الأعراف والتقاليد وارتضاء أحكامه، إذ تمثل التقاليد ثمرة تجارب آلاف الأجيال التي عاشت في نفس البيئة، و فيها يكمن سر تكيفهم مع الصحراء. كما تلعب الذاكرة الجماعية دورا فعلا في الحفاظ على كيان الشعوب ذات الثقافة الشفوية فتنتقل القيم التي أسسها الأسلاف نقية مشعة عبر مختلف أشكال التعبير، لا تتطفئ شعلتها ولا يضعف الزمن من تأثيرها على الأجيال المتعاقبة من هنا "جاء احترام المحكي التقليدي الموروث عن الماضي .ومن هنا اكتسب الكلام قوته ،ففي الثقافة الشفوية .الكلام هو الرجل. إذ من الجائز إضفاء جماليات على مستوى الشكل أو إحداث تغييرات على مستوى الشعرية، لكن يبقى الحرص شديدا على حفظ الحكمة التي تظل نقطة عبر العصور تتولى الذاكرة نقلها ويلتزم كل جيل باحترام وتقديس ما جاء فيها وتداوله بأمانة ووفاء بالغين"⁽⁸⁾. يدل ما تقدم على أهمية الكلام في الثقافة الشفوية وما يترتب على تلك الأهمية من التزام الأفراد تجاه الكلام على عكس الثقافة المكتوبة. يدرك غزال صياح أهمية التراث الشفوي لذا نجده يبحث أخاه على الإصغاء بانتباه إلى الأمثال التي تنتقل من فم إلى فم ، يفسر البطل سر هذا الاهتمام يقول: " إذا كانت الأجيال من أجدادنا القديما قد بذلت جهدا كي توصل إلينا ذلك

فلأنهم يريدون أن يتركوا لنا إرثا نستفيد منه حين نجد أنفسنا مجبرين على العيش في الصحراء. إنها التجربة التي تمنع الشمس من أن تجعلنا نتهيج، وتمنع الظمأ من أن يبعث فينا على الجنون أو أن يدفننا الرمل قبل الأوان⁽⁹⁾ من المؤكد انه لا يستطيع العيش في الصحراء من لا يدرك أسرارها و نواميسها ولا يكون خبيرا بتجارب أهلها فيها.

يستمد " شعب اللثام " قوته من تقديسه للمبادئ والسنن التي خطها الأسلاف وكشف التعاليم المخبأة فيها والتفاني في الاحتكام إليها في كل أمور الحياة وهذا ما يمكنه من تنظيم حياته و مواجهة أي خطر خارجي يهدد وجوده و في هذا الشأن يقول شيخ الاماوغ: " يمكن أن يكون شعبي فقيرا جدا ومحكوم عليه بالزوال مثلما يتعلق الأمر بكثير من "الأنواع المهددة " التي تقضي عليها المدنية بشكل يومي، لكن ما يمكن أن تكون متأكدا منه هو انه في اليوم الذي نختفي فيه عن وجه هذه الصحاري سنكون ما نزال نحترم أنفسنا ووصايا أجدادنا. " ⁽¹⁰⁾. إن قوام الهوية بالنسبة إلى الشعوب التي تعاني التهميش والمهددة بالزوال هو الثقافة الأصلية التي تميزهم عن باقي الشعوب ؛ يقول غزال صياح معللا هذا المسعى :

"إذا كان شعبي قد استطاع البقاء على قيد الحياة خلال قرون "في ارض محزنة لا تصلح سوى لاجتيازها "هذا لأنه كان يعرف دائما حدوده والمجال الذي يستطيع التحرك ضمنه. " ⁽¹¹⁾ إن هذا الشعب الذي رضي بالحياة القاسية في مملكة الصحراء يسكنه حنين ميتافيزيقي للمجهول سعيد بمنفاه " هذه الخصوصية التي كانت لمجتمع الطوارق ، لم تكن لتبقى لولا احتماؤهم بصحرائهم، ورفضهم التبعية لأي كان ، فكانت النتيجة أن حافظوا على عقيدتهم وتراثهم نقيين دونما تغير. " ⁽¹²⁾ وهذا ما يقف حصنا منيعا أمام محاولات إخضاعهم والسيطرة عليهم.

2-2- صراع المدنية والتقاليد:

عادة ما ينتج عن لقاء الشمال بالجنوب صراع بين المدنية والتقاليد ، إذ تقوم ثقافة الشمال على أساس وحيد من العلم والتقنية وتغفل حاجات الإنسان الروحية على عكس ثقافة الجنوب، وعليه راحت التقنية تفرض نفسها لا على الإنسان

الغربي وحده، بل على الإنسان في كل بقاع الأرض ، يفصح المؤلف الأزمة الروحية والأخلاقية لحضارة الشمال و يبرز حقيقة عالم خرب كل القيم وذلك من خلال بعض المواقف في الرواية .

تبدأ المواجهة بين العالمين عندما يتجرأ أحد المتسابقين على انتهاك قانون الضيافة في موقف احتقار واستعلاء وعدم الاعتراف بحق الآخر في الذب عن مضربه . يعلق غزال صياح على هذه الحادثة يقول : "ما يحدث هو أننا بالنسبة له مساكين من الصحراء، منبوذين لا نكاد نكون أكثر من كلاب اعتاد دهسها في طريقه" (13) بعدما يغلق الأوروبي كل باب للحوار، ويقوم بتسميم البئر ،يصر غزال صياح على تطبيق الحكم بقطع اليد اليمنى للمتسابق الذي انتهك قانون الضيافة، هدد بالسلاح من استقبلوه بسلام وقام بتسميم البئر المصدر الوحيد للماء. ورغم كل محاولات التفاوض من طرف منظمي السباق إلا انه يفرض احترام عادات سلالته. توقف هذه الحادثة الوعي بمعاناة الأماهغ جراء التعسف والظلم الذي يقع عليهم، إذ اعتبرت أرضهم قاعدة نفايات العالم المتقدم ،ففي كل سنة يحل بأرضهم أناس من الشمال بدعوى المشاركة في المباريات الرياضية ، يغزونهم ،يقتلونهم ، تاركين أرضهم مزروعة بالعربات المحترقة ، علب مرطبات فارغة وإقيات مستعملة وكل أنواع النفايات، إضافة إلى الأضرار التي تخلفها مثل هذه السباقات من قتل الأطفال ودهس القطعان؛ مما يخلق معاناة ومحنة الطوارق ، فما الذي يجبرهم على قبول هذا الوضع اللاانساني ؟ هنا يتساءل رئيس مجلس شيوخ شعب " كيل - تالغيموس " مستكرا: " لماذا علينا حضور عرض لتبذير الثروة في قضية لا جدوى منها على الإطلاق، إذا كان ما ينفق في مرة واحدة على ذلك السباق يحلون به القسم الأعظم من مشاكل شعبي ."(14)

تتسبب السباقات التي تنظمها الشركات كل عام في اغتصاب الصحراء بكل لامبالاة واتخاذها ساحة للاستمتاع والمغامرة ولا ينظر للصحراء باعتبارها تراثا طبيعيا يجب المحافظة عليه ؛ وهو ما يعترف به احد منظمي السباق "إننا نحول قسما كبيرا من أفريقيا إلى مجرد قاعدة سباق لعدد لا يحصى من العربات ، الدراجات

النارية ، الشاحنات ، قطع التبديل ، الزيت وكل ما هو متعلق بعالم المحرك . وكما يحدث عادة لمراكز السباق لا أحد يتذكرها إلى إن يعودوا ويحتاجونها." (15) يدرك منظمو السباق أن في هذه السباقات خطرا على البيئة و تبذيرا للثروة والقوة في قلب قارة الفقر المدقع لكن هذا لا ينفي وجود رياضيين حقيقيين يملأهم الحماس والحيوية، يؤمنون بالصدقة والحرية وهدفهم من المشاركة في مثل هذه المغامرات المثيرة تنمية أحاسيسهم و إثبات ذاتهم مما يجعلهم أكثر قوة وأكثر تضامنا.

والأمر الذي لا يروق للكثيرين من أصحاب الضمانات الحية فيقفون موقف الرفض تجاه هذا الوضع هو أن الشركات التجارية المساهمة في ميزانية هذه السباقات تركز عملها أيضا في تصنيع الأسلحة وواحدة منها متخصصة في نوع من الألغام التي تقتل وتبتر أعضاء ألوف الأطفال كل عام ، ليس فقط في أفريقيا إنما في العالم كله. إن من بين هؤلاء من يجد نفسه متورطا مع هذه المنظمات ، لكن لا يمنعهم ذلك من انتقاد الوضع والتدبير به فهم يرون أن " مثل هذا العرض للوسائل الاقتصادية أمام أعين بعض الأطفال الذين لا يملكون كرسيا بائسا يعوضون به عن فقدان أرجلهم التي بترها لغم أو قذيفة قامت بتصنيعها هذه الشركات ذاتها لا يعني علامة على الذوق الرديء فحسب إنما دليل في منتهى الوضوح على الاحتقار الذي نكنه لمن ولد خارج حدودنا . " (16) ترتكب هذه التجاوزات على مرأى ومسمع من العالم فتزيد من مأساة الطوارق وكل الشعوب الأفريقية التي تخضع للهيمنة و تعمل على تغييبهم و تجاهل مشاكلهم. و كما هو شائع في خطاب الثقافة الغربية أن شعوب الهامش متخلفة وليس لها تاريخ ولا ثقافة وبالتالي يتولى الغرب مهمة تحضيرها و انطلاقا من هذا التصور الخاطئ

تتكر المركزية الغربية على شعوب الهامش و التجمعات العرقية الصغيرة حقها في الحفاظ على كيائها و اختيار طريقة عيشها بسبب نزعة التفوق والتميز والاستعلاء، فلا تتصور وجود شعوب لها كيائها ولها ثقافتها خارج نطاق الثقافة الغربية، وتظهر الآخر في صورة الدوني والأقل شأنًا . "حيثما وصل" الرجل الأبيض" كان

يحمل معه انتماء عرقيا ودينيا وثقافيا يضعه في مرتبة أعلى بكثير من أولئك الذين ينتظرون منه أن يخترق سكون انتمائهم العرقي والديني والثقافي " (17).

ومن آثار الاستعمار التي لم تزل بزواله التقسيمات الجغرافية التي فرضها المستعمر على المناطق الأفريقية بغرض أضعاف شعوبها و تشتيت جهودهم و تفريق وحدتهم : "حتى الآن لم تكمل أفريقيا تأسيس حدودها الحقيقية، ولم تحدد أين وكيف تسكن الأجناس العريقة المختلفة . لا يكاد يمضي أربعون عاما على منح الاستقلال لأغلبية هذه البلدان وما هو مؤكد أنها ما زالت تتبع الحدود التي رسمها الكولونياليون بمسطرة ودون أدنى احترام لمن يريد العيش كل في مكانه " (18) .

لقد أصبح جليا أن من نتائج المخطط الاستعماري تقسيم الصحراء وتوزيعها على الدول توزيعا يقضي بجعل سكان الصحراء الطوارق أقلية مهمشة في تلك البلدان و زرع مشاكل في المنطقة تعوق تطور القارة وتبقيها تابعة للمستعمر بعد فشله في استغلال خيرات الصحراء والهيمنة على شعوبها. وبهذا لقي الطوارق نفس المصير الذي لقيه الهنود الحمر حيث حوصروا و شتتوا في طول وعرض مجموعة من البلدان مما اضطرهم للتوغل في قلب الصحراء والانكماش يسكنهم حلم تكوين بلادهم الخاصة وفق قوانينهم الخاصة .

نلاحظ كيف ينتقل الكاتب من الفردي إلى الجماعي، من قضية ذاتية تتعلق بمصير عائلة غزال صياح إلى قضية قومية تتعلق بمصير شعب برمته؛ وهذا ما يعطي الرواية بعدها السياسي والثقافي . ففي حين يطالب غزال صياح بحقه في الثأر ممن اعتدى عليه باحتجازه للرهائن وعدم تسليمهم إلا باستلام مرتكب الجناية لتقطع يده، يقرر مجلس شيوخ شعب اللثام إيقاف الرالي عبر الأراضي التي يوجد فيها مجموعات من الطوارق مما يضطر المنظمين إلى التعاقد مع طائرات "أنتونوف124" لنقل الأشخاص والدراجات النارية والعربات والشاحنات من أجل الوصول إلى القاهرة في الموعد المحدد .إن تكاليف عملية جوية بهذه المواصفات الهائلة" تفوق بكثير ما اعتادوا القيام به حين يحاولون تدارك الكوارث الناتجة عن إعصار في أمريكا الوسطى ،هزة أرضية في تركيا ،أو المجاعات

الأفريقية الرهيبة التي يكون ضحيتها ألوف الموتى " (19) لكن الشركات التجارية التي ترعى السباقات الرياضية لا تعنيها مثل تلك المهمات الإنسانية على الإطلاق ما يهمهم هو الدعاية والربح . وإذا كانت عبقرية رئيس الأمن الإنجليزي أوحى له بهذه الفكرة لمواصلة السباق فإنه لم يتردد في تكليف أحد المرتزقة بالاهتمام بقضية الرهائن دون اعتبار لعدد القتلى . ولكن الأحداث تسير في اتجاه معاكس لما خطط له و يتفوق غزال صياح عليهم ويخرج منتصرا بفضل معرفته بالصحراء و استفادته من طبيعتها وتسخير الرياح والشمس والرمال لصالحه فهو يدرك تمام الإدراك أن الصحراء محاربة قديرة وأن "كل من يحاول هزم الصحراء يقدر قواه بشكل سيئ(...)" منذ أن أصبح العالم عالما ومنذ أن حلم الفراعنة بالاستيلاء عليها، اختفت بين رمالها مئات من الجيوش . "(20) لقد انهزم الآخر لجهله بقوة الصحراء و بتعبير نيتشه ويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء (21) و القيمة التي تستخلص من هذه النهاية أنه مهما بلغ الإنسان من تطور يبقى عاجزا أمام قوى الطبيعة التي تتحداه بغموضها ونواميسها، كما تحيل النهاية على حقيقة أخرى تكشف هشاشة الحضارة التي بنيت فقط على أساس مادي وما تمسك غزال صياح بموقفه على الرغم من تفوق أعدائه ، بفضل ما يملكه من قوة و من آلات حديثة متطورة، إلا تأكيد على قوة الجانب الروحي في مواجهة المدنية في جانبها التدميري .

و نعثر في الرواية على نوع آخر من الصراع هو الصراع ضد الطبيعة الشريرة في البشر. حين تغدو الصحراء برزخا بين الإنسان والعالم الآخر مكانا يفتح على عوالم خفية تنقل الإنسان إلى آفاق أرحب فتسمو بروحه. ولا تقفأ تذكره بأنه لا محالة فان و تضعه وجها لوجه أمام نفسه وأمام تساؤلاته .

نجد في الرواية مثالا عن اللحظات الوجودية التي يعيشها الإنسان في الصحراء والتي تدفع به إلى الحدود القصوى؛ وهو التغير الذي حدث لبرونو سيرافيان (مرتزق ارتكب كل أنواع العنف الوحشي الذي لا يمكن أن يرتكبه كائن بشري، شخص خطر وبلا رحمة ،يقوم بأعمال قدرة لصالح منظمي السباق) الذي كلف

بإياداة عائلة غزال صياح ، لكن هذا الأخير أنقذه من موت مؤكد بعدما نفذ ما لديه من ماء وحين سأله سيراقيان عن سبب إنقاذه له، أجاب: "إذا سمح اموهاغ لأحد بان يموت من الظمأ فستغلق أبواب الجنة في وجهه إلى الأبد" (22) بناء عليه كان الموت دفاعا عن الذين قدموا لهم حمايتهم مهما كالموت في مواجهة الذين احتقروهم وأهانوهم، هذا ما يعتقد الطارقي ويؤمن به وكأنه يريد بمثل هذا السلوك أن يبعث في الآخر الطاقة الروحية التي أحمدها الشر والقسوة التي تجذرت بأعماقه طوال سنين. فالقدر المشترك يقرب بين الناس على اختلاف انتماءاتهم وألوانهم ومعتقداتهم فيتوحد الجميع وتزول الفروق العرقية و الثقافية والطبقية في مواجهة قوى الطبيعة وفي مواجهة المصير المشترك. لم يكتشف سيراقيان الإنسان بأعماقه إلا بعد مروره بتجربة قاسية في الصحراء، في الصحراء تطهر من كل الشرور التي كانت تحركه واستيقظت مشاعره النائمة: " حين ابتعد صوت المحركات أسند برونو سيراقيان رأسه بين ركبتيه وبكى بصمت للمرة الأولى منذ سنوات عديدة جدا . لم يشعر بأدنى عاطفة نحو الذين اعتبر بأنهم قد خانوه، لكنه لم يكن يرغب قضاء بقية حياته وهو يحمل وزر كل هؤلاء الأموات على كاهله " (23). لقد دفعته الصحراء إلى التصالح مع أعماقه. فالصحراء تظهر الروح فهي بطبيعتها القاسية الفقيرة تضيء روح الإنسان وتجعلها تثمر بما تروضها عليه من حب وحرية وقيم سامية ، تؤثر في وجدانه وفي سلوكه .الصحراء طبيعة تعرت، والروح تتعري فتتخلص مما يكبلها و يعيق سموها؛ إنها تسمح بالرحلة داخل غياهب النفس والتحرر من كل ما علق بها من أدران الحياة.

3- جدل المادي والروحي:

تسعى الأقليات إلى ترسيخ خصوصياتها لكن هل تملك القدرة على الصمود أمام المد العولمي و أمام ضغط التقنية العصرية؟
ينفرد الطوارق بتقافة تميزهم عن كل شعوب العالم كما أن لهم طريقة عيش خاصة بهم " لم تكن حياتهم بدائية حتى يبحثوا عن طورها لهم ،بل كانوا أصحاب حضارة وتاريخ لم يشأ كبرياؤهم أن يغير أحد منها شيئا ". (24) ولكن برغم هذا

الاعتزاز بمقومات الذات يعترف البطل بعجزه أمام التكنولوجيا و تظهر الحاجة ملحة إلى التطور إذ يقف منبهاً أمام الوسائل التي يملكها المشاركون في السباق ويعبر عن حيرته لأحد الرهائن يقول " يبدو لي أنه يلزمني مئة عام أخرى كي أفهم عالمك ". (25)

يكشف اللقاء مع الآخر حقيقة الذات، فتدرك النقص والتخلف الذي يتسبب في عجزها ،وتدرك حتمية التغيير والانفتاح على الآخر لتحقيق التطور ،لقد بات جلياً أن الانغراس في الماضي والاحتفاء بأعراف الأسلاف وحده لا يحقق التطور، هذا ما استخلصه الابن الأصغر لعائلة غزال صياح وعبر عنه لأمه بمرارة: " ربما الذنب ليس ذنبهم ،ربما نتحمل قسطاً من الذنب لأننا لم نعرف كيف نتطور بدلاً من أن نتقدم في هذه السنوات الأخيرة لم نفعل شيئاً سوى التراجع ". (26) أدى اكتشاف الآخر إلى بداية الثورة على الذات، ويمكن القول أن عدم تكافؤ الأطراف في العلاقة مع الآخر ولد شعوراً بالتخلف والصغار، فكان أن رأت الذات نفسها بعيون جديدة، وبدأت المواجهات ؛هذا ما جاء على لسان الراوي يبين شعور العجز الذي بدأ ينتاب غزال صياح: "كل يوم يمضي يشعر فيه بفقر أكثر ، لكن ليس فقراً بالخيرات المادية، فهذا أمر اعتاد عليه دائماً ، إنما فقر معرفي وقد تحول عنده إلى سبب جديد لمشاعر العجز والمرارة " (27)، لا شك انه أدرك أن الاستمرار في التوقع على الذات و عدم تطويرها سبب أساسي في تغييبه وإغائه وتهميشه من طرف الآخر. فالعزلة تبقيه بعيداً عن مواطن الحضارة وبالمقابل يتيح الانفتاح على الآخر الإفادة من الجوانب الايجابية من العلم والتقنية . فثمة دائماً شيء يكتسبه كل طرف عند اتصاله بالآخر.

4 -خاتمة:

نقل الكاتب عبر روايته بعض أشكال ثقافة الطوارق وأكد على خصوصية مجتمع عايشه و عرف أدق تفاصيل حياته و هذا بحكم اتصاله بالطوارق واحتكاكه بثقافتهم. يجهر هذا النص بالقهر والظلم والحرمان السياسي والاجتماعي الذي يقع على الأقليات و يندد بهيمنة الثقافة الغربية في جانبها المادي ونزعة

الاستعلاء تجاه الشعوب المرتبطة بالغرب باعتباره مركزا في علاقة تبعية دائمة .
إن النص مساهمة فعالة في إيصال صوت هذه الفئات المضطهدة إلى العالم عبر
الكتابة؛ بقي أن نؤكد أن قيمة مثل هذه النصوص تكمن في إسهامها في الانفتاح
الثقافي والحوار بين الحضارات دون اعتبار للفروقات العرقية والجغرافية و لا
حتى الدينية، والاعتراف بالاختلاف و تقبله وهذا من شأنه أن يسهم في التقريب
بين الشعوب مما يؤهل تلك النصوص لاستحقاق صفة العالمية .

الهوامش

- 1- حسن لغدش، الصحراء في المتخيل الفرنسي: التعدد الثقافي بالمغرب، الثقافة الأمازيغية وثقافة الصحراء، منشورات مركز الدراسات و الأبحاث الثقافية والتنمية، مراكش، المغرب، 2004، ص، 195 * تينيري = الصحراء باللغة الطارقية (تاماشيق) و معناه "العدم".
- 2- باثكث فيكيروا ألبرتو: عيون الطوارق، تر، عبدو زغبور، دار ورد، دمشق، سوريا، ط2006، 1، ص 283.
- 3- عيون الطوارق: ص 69
- 4- إبراهيم الكوني: نزيف الحجر، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1992، 3، ص 65.
- 5- عيون الطوارق: ص، ص 193
- 6- عيون الطوارق: ص، ص 250
- 7- إبراهيم الكوني: صحرائي الكبرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 69.
- 8-A.Hampaté.Bâ:Aspects de la civilisation africaine,(personne,culture,religion),Présence africaine,Paris,France,1972,p,25.
- 9-عيون الطوارق : ص 250 .
- 10-عيون الطوارق : ص 110 .
- 11-عيون الطوارق : ص ، 101 .
- 12-عمر الأنصاري:الرجال الزرق(الطوارق الواقع والأسطورة)،دار الساقى،بيروت، لبنان، ط1،2006، ص 17 .
- 13-عيون الطوارق : ص79
- 14-عيون الطوارق :ص 110
- 15- عيون الطوارق :ص 114 .
- 16- عيون الطوارق :ص، 161 - 162 .
- 17- إبراهيم عبد الله : ,المركزية الغربية , (إشكالية التميز والتمركز حول الذات , المركز الثقافي العربي ,الدار البيضاء ,بيروت,ط1 , 1997 . ص، 231 .
- 18-عيون الطوارق:ص، 195 .
- 19- عيون الطوارق: ص، 149 .
- 20- عيون الطوارق: ص، 283 .

- 21- فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس، دار القلم، بيروت، لبنان، ص، 331 .
- 22- عيون الطوارق: ص، 282 .
- 23- عيون الطوارق: ص، 292 .
- 24- عمر الأنصاري: مرجع سابق، ص، 24 .
- 25- عيون الطوارق: ص، 130 .
- 26- عيون الطوارق: ص، 132 .
- 27- عيون الطوارق: ص، 171 .

El-Tawassol

Revue des Sciences Sociales et Humaines

Publiée par l'Université Badji Mokhtar-Annaba

Directeur

Pr. Abdelkrim KADI

Recteur de l'Université

Directeur des Publications

Pr. Lakhdar TIFOUTI

Directeur de la Rédaction

Pr. Miloud BARKAOUI

Comité de Rédaction

Pr. Amir ELSAAD

Pr. Bachir IBRIR

Pr. Fadhila SAHRI

Pr. Seif El-Islem CHOUIA

Pr Mohamed SARI

Secrétariat et saisie des textes

Dalila BAALI

Direction des Publications

Université Badji Mokhtar-Annaba BP 12 Annaba

Tél/Fax :(038) 87 11 12

Email: tawassol_journal@yahoo.com

www.univ-annaba.org

CONSIGNES AUX AUTEURS

La revue ***El-Tawassol*** est une revue semestrielle à caractère scientifique qui encourage toute proposition d'article original lié aux domaines des sciences sociales et humaines, lettres et sciences juridiques.

La revue publie des articles inédits qui ne doivent pas être proposés à une autre publication.

Chaque article doit être précédé de deux résumés d'environ 150 mots, l'un dans la langue de l'article et l'autre dans l'une des deux autres langues.

Toutes les propositions d'articles sont soumises à un examen à double insu. Les articles retenus sont publiés dans le numéro suivant.

Les articles proposés doivent être rédigés et relus avec rigueur. Toute proposition contenant un nombre trop élevé d'imprécisions de style, de fautes grammaticales ou d'orthographe ne sera pas considérée.

Il est entendu qu'après acceptation de l'article les droits exclusifs de sa publication sont automatiquement transférés à ***El-Tawassol***.

La revue se réserve le droit d'exiger toutes corrections et /ou modifications qu'elle juge nécessaire.

Les opinions exprimées dans les articles et travaux publiés dans la revue n'engagent que leurs auteurs.

Les auteurs sont appelés à joindre à leurs articles une page de couverture contenant :

- Les noms, prénoms et qualité du ou des auteurs
- L'adresse postale et électronique de l'auteur ou de la personne contact s'il y a plus d'un auteur
- Une brève notice biographique.

Bibliographie

Les références bibliographiques citées dans le texte ne doivent comporter que le n° de la référence entre crochet (ex:[8]) . Si le nom de l'auteur apparaît dans le texte, il doit être suivi par le numéro de la référence. Lorsque la référence comporte plus de trois auteurs seul le premier est cité, suivi de "et col".

Si la référence se rapporte à un article, elle doit comporter les noms des auteurs suivis des initiales des prénoms, le titre du périodique, l'année de publication, le tome ou le volume, le numéro du périodique et les pages concernés.

Si, par contre la référence se rapporte aux ouvrages, elle doit comporter le ou les noms des auteurs suivis des initiales du ou des prénoms, le titre complet de l'ouvrage, les pages concernées, le Numéro de l'édition s'il y en a plusieurs, le nom et l'adresse de l'éditeur et l'année d'édition.

Iconographie

Les tableaux, planches, graphes, cartes et photographies doivent être fournis à part sur une feuille blanche de format A4 . Indiquer en dessous la mention correspondante (tableau, graphe, etc ...), affectée d'un numéro et suivi du titre et / ou le commentaire et / ou la légende. L'auteur devra indiquer aussi dans le texte de l'article les emplacements exacts des différentes illustrations.

Caractéristiques techniques des manuscrits

La longueur de l'article proposé ne doit pas excéder 20 pages saisies sur micro-ordinateur (tableaux, graphes, cartes, photographies, bibliographie compris)

- Les propositions d'articles doivent être adressées à la revue en trois (03) exemplaires accompagnés d'une copie sous forme de fichiers sur CD-Rom selon les caractéristiques techniques suivantes :
 - Cadre de saisie: 12cmx19cm (folio compris)
 - Taille de la police de caractère: 12 points (**Times New Roman**)
 - Marges:
 - Gauche: 02 cm.
 - Droite: 02 cm.
 - Haut: 02 cm.
 - Bas: 03 cm.

Coordonnés

Les propositions d'articles sont à adresser à :

Revue ***El-Tawassol***
Direction des Publications
Université Badji Mokhtar-Annaba
B.P 12. Annaba 23000
Algérie.

CONTENTS/ SOMMAIRE

Thomas Mofolo and Ayi Kwei Armah: The Bankruptcy of
the Warrior Tradition and the Quest for a Legacy of African
Intellectual Heroism

Bouteldja RICHE05

Translation in *Don Quixote*

Abbes BAHOUS24

Translating Algerian Arabic Drama into English: An
Intercultural Process

Souad HAMERLAIN 32

Hegel, Dubois and the American School of Slavery

Sabrina ZERAR43

Beyond Monodisciplinarity and Towards an Integrative
Framework for the Teaching of “Literature” and
“Civilisation”

Miloud BARKAOUI.....60

Grammar Tasks and the Learning of English as a Foreign
Language: A Case Study

Ahmed MOUMENE.....73

**Les opinions exprimées dans les articles publiés dans
cette revue n’engagent que leurs auteurs.**

**** ** * ** * ** * ** * ** ***

**The opinions expressed in the articles published in this
journal are solely the responsibility of their authors.**

Thomas Mofolo and Ayi
Kwei Armah: *The
Bankruptcy of the Warrior
Tradition and the Quest for
a Legacy of African
Intellectual Heroism*

Prof. Bouteldja RICHE
Department of English
Mouloud Mammeri
University- Tizi Ouzou

Abstract

*The following article seeks to show how contemporary African writers signify on the African warrior tradition to elaborate an ideal of heroism more relevant to modern times than the ideal of warrior at the heart of violence and political instability in many African countries today. The discussion is centred on Thomas Mofolo's **Chaka** and Ayi Kwei Armah's **The Healers**.*

Ayi Kwei Armah's interest in the African oral epic tradition manifested itself in many essays and book reviews that he had published earlier than *The Healers* (1978).¹ For example, in a book review of Niane's edition of the Sundjata epic that he contributed to *Black World* in May 1974, Armah writes that the griot has an all-purpose role in traditional West African societies. Apart from being a cultural figure, he fulfils a political, social and educational function. to paraphrase Armah's words, the griot is a professional artist trained to use the subject matter of his people's history as the raw material of his art. As a

Résumé

*Cet article montre comment les écrivains africains contemporains se sont soulevés contre la tradition épique guerrière pour élaborer un idéal d'héroïsme plus adéquat avec les temps modernes que l'idéal guerrier au cœur de la violence et de l'instabilité politique dans plusieurs pays africains aujourd'hui. La discussion se concentre sur l'œuvre de Thomas Mofolo **Chaka** et celle de Ayi Kwei Armah **The Healers**.*

“historian and storyteller,” his “art linked indissolubly the functions of entertainment and education.”² This double function explains his paramount importance as trustee to “historical and communal truth” in traditional West African societies.

Two years later, Armah followed the book review of Niane’s epic with an essay on Thomas Mofolo’s written version of the Zulu epic *Chaka*. Entitled “The Definitive Chaka,” this essay appeared in March-1976 issue of the literary journal *Transition*. Armah praises Mofolo unsparingly for the portrait he made of his epic character Chaka:

There is an admirable, stark clarity in the way Mofolo presents Chaka's childhood and growth. He shows his childhood as the crucial formative period, the seedtime for all the crisis of his adult life. As for the process of Chaka's growth, Mofolo shows it to us as a difficult, complex progression, but so sure is his technique so masterly his grasp of psychological details, that the result has that hyaline quality that often marks the most profound works of genius. Growth becomes a series of crisis, in each of which Chaka moves in an inexorable step to his chosen destiny.³

In spite of this adulation, Armah is not all that reverential towards his predecessor. Indeed, one feels that Armah has inflated the importance of his precursor the better to deflate him. Among other literary offences, he reproaches him for not having questioned the idealism of the Western versions of Zulu history prevailing in his own time. Mofolo has “twisted historical facts because he did not eschew the idealism inherent in colonial theory's articulation of the history of the Zulu as synonymous with the Chaka biography. From Armah's criticism, we gather that Mofolo’s work is successful at the level of *poesis* “maker” but not as “history.”⁴ It follows that Mofolo has not been up to the griot's standards in writing the Zulu epic of *Chaka* (1931).

Armah’s declared interest in the African epic tradition in his non-fiction also shows in his fiction, particularly in *The Healers*. No sooner has he started unwinding the narrative thread of this fiction than he makes the traditional invocation to his precursors to help him in his oral performance of the Akan/Ashanti epic that traces the collapse of the Ashanti Empire following the Second Anglo-Ashanti War (1873-1874), what in Ghanaian history is called the *Sagrenti Sa*. Armah starts addressing himself as “child of the Anona masters.”

Anona is of one of the seven clans constituting what is usually known as the Akan. It is famous for the eloquence of its guild of griots, for which the parrot stands as a totemic expression.⁵ Apart from announcing that he descends from the most important Akan clan, Armah invokes a distinguished line of griots ranging from Gnankouman Doua, griot to Maghan Kon Fata, Sunjata's father. Gnankouman Doua, as Isidore Opewho writes it in *The Epic in Africa*⁶, is considered as the muse, the Calliope of African epic poetry. Armah rounds off his invocation by calling the Zulu praise singer Magolwane "the poet of the soaring silver voice," Sundjata's griot Fasseke Belen Tegui, "master of masters in the arts of eloquence," and most unexpectedly Thomas Mokopu Mofolo, whom he addresses as follows:

Send me words, Mokopu Mofolo. Send me words of eloquence. Words are mere wind, but wind too has always been part of our work, this work of sowers for the future, the work of storytellers, the work of masters in the arts of eloquence. Give me strength for this work, and give your own wounded soul reason to smile, seeing in the work of one who came after you was not, quick sign that your long, silent suffering a small meant, after all, to be in vain.

Neil Lazarus, one of Armah's most pertinent critics, wonders why Armah makes the most provocative apostrophes to a man (Mofolo) who was not strictly speaking an oral poet but rather a writer like himself. He develops the argument that Armah presses forward with his project, "formally initiated in *Two Thousand Seasons* (1973) of recuperating and more specifically "traditionalizing" Mofolo's work.⁷ We subscribe entirely to Lazarus's point though he has not fully fleshed it out. Indeed, as Lazarus has underlined it, the traditionalizing swerve from Mofolo's work shows itself even in *Two Thousand Seasons* wherein Armah re-appropriates three characters from *Chaka*:⁸ Isanusi, Chaka's diviner, Nandi his mother, and Noliwe, his beloved. Whereas in Mofolo these characters function mainly as negative figures in Armah they assume a positive function. Isanusi sheds his Mephistophelian traits to become an *Okeayame*, a master in the arts of eloquence, who with a group of twenty initiates triggers a rebellion against the puppet king *Koranche*. As for Noliwe, she is no longer the victim sacrificed on Chaka's altar of power, but a "pathfinder."

However, the traditionalizing of Mofolo's work is more obvious in *The Healers*. As we have noted above, Armah's critique of Mofolo's work appeared in his article on *Chaka* published in *Transition* two years before the publication of *The Healers* in 1978. There is enough evidence in Armah's novel which suggests that it is a follow-up or a sequel to his critique of Mofolo's version of the Zulu epic in his essay "The Definitive Chaka". For example, while Armah's invocation of a long line of griots may be construed as a common technique in epic tradition, it posits him as the legitimate heir to that tradition. In his capacity as literary legatee and custodian of an oral epic tradition, Armah has no problem of "priority" with Thomas Mofolo whom he imagines as being only his immediate epic precursor. His Ashanti epic has come to "complete" the latter's "work" whose author he sees as having remained in a "long silent suffering."

There is some truth in Armah's statement above because Thomas Mokopu Mofolo interrupted his literary career shortly after the publication of *Chaka*. So far critics have not elicited the reasons behind Mofolo's renunciation to the world of letters. But there are indications in his correspondence showing that the "ideological environment" in which he wrote was too constraining for Mofolo to go on with an artistic career which took him increasingly in the direction of cultural rehabilitation. Mofolo received his education in a missionary school, taught in one of them, and his books *Moeti*, *Pitseng* and *Chaka* were printed and published by the same school. Because the former two complied more or less with the Christian missionary ideology that prevailed at the time, they were given wide acclaim in missionary circles. The case was strikingly different with *Chaka*, which includes some elements from Zulu culture and history that deeply disturbed the missionaries. In the latter's view, the inclusion of African culture in the Christian convert's epic will hinder the cause of progress. Worse, it will wean back the few "saved" Africans back into the fold of Satan. In the light of the strictures passed on the work by the missionaries to whom Mofolo owes his job as teacher, it is not hard to see why he dropped out a promising writing career.⁹

It is for Armah who came to write in the less constraining conditions of independent Africa to complete the return to the ancestral art of the griot that Mofolo had left unfinished. His acceptance of the mission manifests itself in the priority accorded to the "scene of orature" over the "scene of writing"¹⁰ in his fiction. To

this end, Armah makes an authorial “intrusion” in the first part of his book to make it clear that his story is no simple murder mystery though it starts like one. Nor is it a “drooling, idiot tale” (p.2) full of Shakespearean and Faulknerian sound and fury signifying nothing. If his story starts in *medias res* it is simply because he wants us to listen to and read it as an epic. We are reminded that his story is not “told by an unconnected tongue [wherein] the middle hurls itself at the astonishing ear before the beginning has even to be mentioned.” (p.2)

Moreover, in the manner of the griots of the good old days, Armah also reminds us of the progressive stages and the broad subject of the work after prefatory comments and observations made about its form and structure. In a series of rhetorical self-questioning, he lets us know that his story does not “belong to any confusing age.” It did not reach back to “the time of the poet Nyankoman Dua, seven centuries ago,” nor did it take place “ten centuries ago, when Ghana was not just a memory [or] in that marvellous black time before the desert was turned desert, thirty centuries [thirty stands for a great number in Akan] ago”. His story is not “so old; it “is just over a century old” referring to late nineteenth century Ghana at the time of the Second Anglo-Ashanti War. Many other examples can be gathered from Armah’s fiction to convincingly argue that Armah seeks the influence of the African oral epic tradition. However, since the purpose here is the dialogue between *The Healers* and Mofolo's *Chaka*, the present discussion will focus only on those aspects of form and ideology in which the former swerves from the latter in its re-definition of the ideal of heroism.

G.J.B. Watson offers a valuable clue as to where to start when looking for how writers belonging to the epic tradition influence each other. He writes that “from one angle, the development of the epic tradition might be described as a series of re-definitions or refinements of the notion of heroism or the heroic.”¹¹ With this statement in mind, one may ask the following question: How does Armah revise the Mofolian image of the African epic hero? In response, we would argue that Armah has drawn his epic heroes more in accordance with African/Akan tradition than the Christian/ missionary ideology of his precursor. Behind Armah's conception of epic characters are the traditional Akan concepts of soul (*Okra*), personality (*Sunsum*), destiny (*Nkrabea*), and that of superman (*Opanin*) one the one hand, and anthropological findings about African intellectual brotherhoods on the other.

Man, according to traditional Akan thought, has an Okra¹² (a soul) which he receives from the Creator (*Oneyame*) before he was born into the world. This *Okra* is part of God in every man. It is the presence of it in man which makes him a living human being. It obtains leave from *Oneyame* to come into this world and in doing so it takes with it an errand or *Nkrabea*. At death, the *Okra* leaves the body and is believed to return to God/*Oneyame* to give an account of its earthly existence. If it has managed to fulfil its destiny by becoming perfect it is allowed to remain in heaven, if found still imperfect it will be reincarnated and will have to return to earth. In other words, the *Akrabiri* people with thoroughly bad *Okra*, those who have omitted to fill it with goodness are refused permission to stay in the upper kingdom.

The *sunsum* is an intangible element in man. It accounts for character (*suban*), disposition, special mental endowments and the degree of excellence one attains. It is brought out in the appearance and the aggregate of peculiar qualities which constitute personal individuality, especially moral qualities. The Akan recognise the *sunsum* as the spiritual cause of ill-health, quite apart from the physiological causes, which they also recognise as possible sources of illness. This explains the closeness between religion and the practice of medicine in traditional Akan community. It is believed that not only can the *sunsum* be attacked by witchcraft to cause it illness, but also that evil thoughts in one's head may overburden one's *sunsum* or encumber it and cause that person to become ill. The confessions, which so often precede traditional treatment of diseases, are regarded as a form of unburdening, or a casting off of the load which has burdened the *sunsum*. But that is not all. The Akan have established certain institutions in their society which give support to the above-stated ritual practice. One such institution is the *Apo* or *Odwira* festival celebrated not only in order to make individuals speak their mind and make their “*sunsum* feel cool and quieted”¹³ but also to help the whole clan, which is also believed to have a *sunsum*, to unburden itself of evil and re-establish its social equilibrium.

J.B.Danquah suggests that in the traditional Akan world, which Armah has fictionalised in *The Healers*, there is a category of exceptional men – “supermen” whose *okrabea*, mission in English, is to salvage the community. He puts it in this way in *The Akan Doctrine of God*:

In the Superman, who may be a great hero, a great warrior, or a great statesman, or a great religious leader, a great thinker - we sense the consciousness of an evangelizing spirit of reformatory mission to save the community or even mankind in the name of God, the Nananoum (the ancestors) or *Nyame*. In him the consciousness of some thing sublime comes near to experience. This sublimity [sic] means there is now something at work which is more pervasive or extensive than the accustomed horizon of the community.¹⁴

This self-transcendence of the “superman” beyond the acknowledged ethos of the community is precisely one of the prominent traits which give epic proportions to the central characters Damfo, Densu, Asamoa Nkwanta and Araba Jesiwa in *The Healers*. All four of them stand out of the accustomed horizon of the community in the way they question Akan/Ashanti orthodoxies be they religious, political, institutional, or historical, orthodoxies that they regard as being contrary to the welfare of community.

The same J.B. Danquah writes that “what the Akan regards to be the good is the family. The Akan thus hold the family [i.e., the interest of the community] to be the Supreme Good”.¹⁵ Accordingly, Armah has kept involving his four major characters in one type of redemptive mission or another: Densu rescues Anan, Damfo cures the diseased *sunsum* of Araba Jesiwa and Asamoa Nkwanta, who in turn partly saves both Densu and the Ashanti army from complete defeat. Echoing his fellow Ghanaian writer, Armah has the master-healer Damfo remind his neophyte Densu that their mission is collective rather than individual. During one of his numerous training sessions when he emphasises the rigorous demands of the healer's vocation like that of renouncing to the pleasures of the world, Damfo stresses that it is no only the individual *sunsum* who needs healing:

Sometimes a whole people need healing work. Not a tribe not a nation. Tribes and nations are just signs that the whole is diseased. The healing work that cures whole people is the highest work, far higher than the cure of single individuals. (p.100)

Since the healer is also an awakener of people “who have slept too long,” Damfo reiterates that his ultimate task is the salvation of the entire back race regarded as a family:

Not only that. The Akan community itself was just a little piece of something whole - a people that knew only this one name we so seldom hear these days Ebibir man. That was the community of all back people. (p.102)

In Armah's fiction, the healers have not managed to salvage the community, but they are for much in the heroic resistance that their country opposed to the British invasion during the second Anglo-Ashanti War. In addition to dignity in defeat, they reveal for the contemporary Ghanaian reader the spiritual disease behind the political demise of the Ashanti Empire. Indeed, it can be rightly claimed that *The Healers* is as much an enactment of integrity and therapy as it is about integrity and therapy. In the manner of Frantz Fanon in *The Wretched of The Earth*, Armah delivers us case histories of characters with warped souls that the healers in the Eastern forest cure by making them delve into their repressed past. Araba Jesiwa and General Asamoah Nkwanta are cases in point. True neither to themselves nor to the spiritual ethos of the community, are these two characters driven to mental anguish, which Damfo the master healer/therapist undoes through traditional eliciting techniques of self-analysis.

Set in a broader context, the diagnosed spiritual disease is symbolic of the "colonization of the mind", or the affirmation of ego-centric values at the expense of the entire community. Admittedly, the healers have failed to save their people in the world of the novel, but their tasks as "awakener[s] of the people who have slept too long" seem to have been accomplished. As awakeners, they do not belong to the category of people called Akrabiri (people with a bad soul) but rather to the "beautiful ones" (people who have filled their souls with goodness), a goodness that is defined in terms of self-transcendence on behalf of the community.

The ideas of "soul", "destiny", and "salvation" are also central in Mofolo's portrayal of his central characters in *Chaka*. But unlike Armah, Mofolo does not relate them to traditional African beliefs. For the reasons already stated, he goes to the sources of the Faustian tradition to delineate his epic character and plot his actions.¹⁶ As Armah asserts, Mofolo presents Chaka's childhood as the "seedtime" of his Faustian destiny. Born royal but out of wedlock, Chaka undergoes a series of crises that gradually lead him to be obsessed with the possession of power. The complications that the major

character meets start when set on exile because of his stepmother's jealousies. Exile leads him outside his father's kingdom i.e., outside the gates of the human city, and reduces him into an *unmensch* (a subhuman). It is in this condition that he meets another *unmensch* a non-human diviner Isanusi. Isanusi makes the hero trade off his soul, love and humanity for a power that would make of him an *ubermensch*, a superman in his community. Isanusi is to Chaka what Mephistopheles is to Faustus. He is a devilish temper who secures the hero's soul in exchange of a promise of kingly power. The deal goes through as Isanusi assigns Chaka two of his lieutenants Malunga and Ndlebe as henchmen.

Armah's swerve from his precursor is apparent in the different direction that his hero's growth to maturity takes. Densu's childhood experiences, his conversations with Araba Jesiwa, his friendship with Anan, his fascination with and implicit respect for Damfo - have developed in him the sense of self-transcendence of the "superman" that he also owes in part to hereditary factors. The storyteller tells us that Densu's father had the same critical distance to the royal establishment as his son. Hence, whereas Chaka's childhood experiences increasingly lead him to lose the sense of sociability and develop an obsession for power, Densu's foster in him a progressive contempt of political manipulation, and manipulators like his guardian Eja Ababio. Densu becomes one of the disciples of Damfo (the inspirer in Akan) whereas Chaka chooses the devil's party (Isanusi/Mephistopheles) who unleashes his Macbethian murderous impulses.

It is therefore plausible to argue that Armah's revisionist attitude to his precursor's epic characterisation seems to proceed from his realisation that Mofolo is of the devil's party without knowing it. His use of the Faustian "master narrative" as a prop for the construction of his warrior-character encourages appropriation. As a character in a book that purports to be an epic, Chaka's destiny is linked to that of the Zulu nation by indissoluble threads. It is Chaka himself who gives his people the name (Amazulu) by which they come to know themselves. Chaka's life history, therefore, becomes the history of the Zulu people, and his accursed share as a Faustian figure is his as much as theirs. So indirectly, by drawing his epic character in terms of the Faustian tradition, Mofolo undermines his initial project of giving a human dimension to Chaka, and becomes unwittingly an accomplice to the white missionary's worry and doubt about the black man's soul.

There is no such worry and doubt about the black man's soul (Okra) in Armah's work whose dominant figure is not that of the warrior king but of the healer who is critical of the excesses of unbridled political ambition and power. The dominant position that Armah accords to the healer shows the extent of the critical distance he has taken from the warrior traditions in which Mofolo's *Chaka* is steeped. In an Africa bedevilled by what James W. Fernandez calls the "Shaka Complex,"¹⁷ it is arguably impossible for Armah to treat his subject with the same old heroic spirit as his precursor did in the colonial period. Armah substitutes the heroic ideal of the healer/intellectual for that of the warrior-chief that finds one of its best expressions in Mofolo's *Chaka*.¹⁸ We have already traced this ideal of intellectual hero or healer to the Akan religious world view as developed by J.B. Danquah and W.E Abrahams. The second source from which Armah seems to have drawn his ideal of intellectual heroism is Sutherland Rattray's anthropological study of what he calls, in *Religion and Art in Ashanti* (1927)¹⁹, the "oldest brotherhood" of medicine men and priests. However, we should qualify our claim because in going into the European archives, i.e., into Rattray's documentation of the Akan intellectual brotherhood, Armah does not simply duplicate Rattray's anthropological findings. If Rattray, to V.Y Mudimbe's words in another context, describes the Akan healer society to "establish [it as] a reality of knowledge," Armah "reads, challenges [Rattray's anthropological discourse] as a way of explicating and defining its culture, history, and being."²⁰ In Armah's hands, the mysterious aura with which Rattray surrounds the healers dissipates to give place to history.

This attempt to re-construct, re-invent an African intellectual tradition or heritage out of anthropological archives reminds us of what Hugh Trevor Roper writes about the revival of the Druidist tradition by the Romantic Welsh writers.²¹ According to Roper, the latter have clipped the ornate lore of superstition surrounding druidism to elaborate out of it an Irish intellectual tradition. Similarly, Armah dispels the "fairies [*Moatia* in Akan] of forest monsters [*Sasabonsam*]," which, in the words of Rattray, are supposed to be the "mentors" of healer apprentices seeking a "doctor's degree," to restore the master-healer to his primary place as a major cultural figure in Akan community. Unlike Rattray, Armah does not recall the existence of the "oldest brotherhood" of medicine men to "lament" its disappearance. On the contrary, he celebrates the healers' cultural

tradition by re-conceiving it as a metaphor for Africa's mind and its resistance to the European epistemological domination over Africa and the African. So we can affirm that he looks at resistance to European colonial penetration into the African continent not in martial but primarily in cultural and intellectual terms. It is signally important to note that at the end of his fiction the healers as an intellectual brotherhood have outlived the demise of the Ashanti Empire only to prepare themselves for further cultural and intellectual resistance.

Naturally, the heroics of the British imperial troops that brought out the collapse of the Ashanti Empire are not spared Armah's biting satire/Menippea in the process of laying bare the African warrior tradition. For example, Armah includes a parody of Henry Stanley's newspaper coverage of the Anglo-Ashanti war that hailing the heroic feats of the British army commanders. One of the hailed "heroes" is Captain Glover of whom Stanley wrote the following:

It was not yet daylight, but I sauntered towards the river [the Black Volta in the Eastern part of Ghana], whose noble breadth was overhung by a thick haze, and whose bank was along a black line of mangroves. [...] The stream was but 300 yards from the camp [at Ada]. The landing-place was about 500 yards from the headquarters. I soon discovered the sturdy form of Governor Glover striding hither and thither, and recognized his cool calm voice giving orders. He was superintending personally the loading of the Lady of the Lake for an up-river trip with ammunition; he was giving orders to a blacksmith; he was showing a carpenter what his day's duties were to be; he was speaking to the engineer about his boilers. [...] He was rebuking the Accra king, Taki for the dilatoriness of his men. He was general-in chief, [...] commissariat officer, [...] general supervisor of all things [...] conductor of great and small things, a most remarkable man, and in short the impellent force of his army. ²²

In *The Healers*, Densu, like Henry Stanley, crosses the Firaw river [the Black Volta in Akan] at dawn to join Glover's military camp at Ada. However, his reportage about Glover turns down Stanley's magnifying glass to give us instead a diminutive picture of Glover. Densu's/Armah's Glover is no longer the know-all humanist frontiersman that Stanley makes of him. Sometimes, he is described as a sulky child imploring African chiefs to stop fighting their tribal wars

and follow him in his mounted expedition to Kumasi. At other times, his African army vanishes as quickly as it is gathered once the African chiefs have what they desire most from him. And while at times, he is described as a self-abused paternalist towards what he considers as his undisciplined African “children”, at other times, he is portrayed as a childish figure having bad dreams because General Wolseley wants to march against Kumasi before the appointed time, thus depriving him of his share of military glory. Armah is at his most eloquent in his heroic mockery of Glover in the following:

Here indeed was the white man in action. Glover the godlike, Glover the white man descended among the black people to do magical wonders ... Here he was, the man who knew himself as true magician when it came to getting black people for the profit of white people. Here he was, the one white man who could boast he could tell black men to do anything, no matter how difficult, and they would do it immediately out of love for him, Glover. Here he was, Glover the father of the Hausa fighters, protector of the loving slaves.

Armah is also no less satirical in his portrait of other British historical figures involved in the Anglo-Ashanti Wars. For instance, the reader can hear the tongue-in-cheek alleluia or hosanna in Armah’s mock-serious description of the crippled General Garnet Wolseley’s entry into Kumasi. This entry is rendered in terms ironically reversing Jesus’ entry into the city of Jerusalem as celebrated in Palm Sunday ritual. Pegged on Ashanti beliefs and rituals, the entry reads as the second coming announcing not the re/birth of a civilised order of things, but of things falling apart with the slouching of the beast into Kumasi/ Bethlehem. It has to be observed that this satire is not directed solely against General Garnet Wolseley. As the British historian, Alan Lloyd makes it clear in his *Drums to Kumasi*, it is H.H. Prince Christian Victor of Schelswing-Hostein, Queen Victoria’s son-in-law in Sir Francis Scott’s expedition of 1895-6, and not Sir Garnet Wolsley who entered the city of Kumasi “riding an ass”. Alan Lloyd writes that

Prince Henry, riding a donkey and carrying a small white umbrella to shield his face from the sun, was given celebrity treatment by the chiefs of the Protectorate and their people, who lined the road on tip-toe to catch a glimpse of the husband of the Queen’s daughter.²³

This character condensation or doubling is also obvious at the end of Armah's fiction. The last scene shows Wolseley carried baby-like in a wicker basket by his West Indian Riflemen before being canoed to his homeward-bound boat speaks as much of Garnet Wolseley as of Prince Christian. Allan Lloyd has this to say about the latter's retreat from Sir Francis Scott's expedition of 1895-6:

Scott was adamant and, on 17 January, after a raging tornado had cost the column of sleepless and miserable night, a British army entered Kumasi for the second time in history [...Prince Henry of Battenberg had already been stricken with the disease and carried back to the coast, where he died aboard *HMS Blonde* two days after the expedition reached its destination.²⁴

The satirical edge in Armah's description of the departure of Wolseley/Prince Christian comes from the fact that he makes it read like the Fanti/Akan funeral rites for fishermen. Wolseley /Prince Christian – the false fisherman / redeemer of the black people – is given his last farewell to the sea. The West Indian fishermen who row Wolseley/Prince Christian in the canoes are reminiscent of the *Asafo*, the paramilitary organisation (guild) of fishermen who, in the traditional funeral rites of one their own, paddle the deceased beyond the waves to let him "make several sweeps off-shore in farewell gesture."²⁵

It follows that the demotion of enshrined British heroes of the Anglo-Ashanti wars is signified through the ritual framework in which their martial achievements are narrated. Armah's fiction starts with and ends with the *Apo/Odwira* festival. Rattray says the following about this Akan ritual:

The *Odwira* or *Apafram* was an annual ceremony held in September in honour and propitiation of the Ashanti Kings who had gone elsewhere and for the cleansing of the whole nation for the defilement. [...] The king presented a sheep, which was killed for a repast for the ghosts, at the same time addressing them as fellow *Afe anoahyia, ya be two odwira, omma bone biara mma, na afe foforo noto yem boko*. The edges of the years have come round, we are about to celebrate the rites of *Odwira*; do not permit any evil at all to come upon us and let the new year meet us peacefully.²⁶

Indeed, it is with the fictionalisation of the *Odwira* festival that *The Healers* begins. But unlike its traditional counterpart, it does not end

with the exorcism of evil, but with the defilement of the body polity by the murder of the heir-apparent Appiah by the usurper Eja Ababio (the reborn) and the announcement that “the new year (1873) will not come peacefully” on the Akan. Eja Ababio informs Densu on several occasions during the ritual games that the white man is preparing war against the Ashanti. The story ends just as it has started, that is, with the celebration of the *Odwira* ceremony for the year 1874 (the end of the Second Anglo-Ashanti War which lasted for a whole year). However, this time the ceremony closes with the false redeemer Wolseley/ Prince Christian bundled out of the land of the Akan just as if he were an embodiment of the evil that accursed the previous year. His departure is an occasion for the celebration of a “new dance”, a new carnival to the rhythm of *Highlife* music, which in the words of one of the healers Ama Nkrom, promises the retrieval of the unity of the African people.

Halo satirical poetry or satire is one of the hallmarks of the *Odwira* festival. During this festival people are licensed to satirise their elders through the recitation of *halo*. Armah does just this when he pokes fun at those African warrior chiefs who have sold out to the British conquerors for their proper interests. In the manner of *halo* poets, Armah compares the warrior chiefs to babies and to dunces, more concerned with receiving their share of gin from the white man than the good of their community. The warrior chiefs’ outdoor ceremony (*Nana Nteate* in Akan) turns into an ostentatious parade. Instead of traditional communion with the people, the parade leads the chiefs into Garnet Wolseley’s military camp to receive their orders. At the end of their palaver with the white general, they have gathered in the palace of one of them for sharing the bottles of gin which Garnet Wolseley has given them in exchange for their agreement to help him in his imperialist design.

The gathering of the warrior chiefs offers a pitiable sight. The first guest to arrive to King Atia’s palace is Nana Kwesi Dae, King of Denchira. The sorrow for the loss of his kingdom to the Ashanti has turned him into an alcoholic. He walks “like a toddler,” and wears a “ludicrous-looking crown, a small shell cone hat which insufficiently on top of his head.”(p.205) The other kings to join him are Nana Amoona from Anomabo, and Nana Tsibu from Assen. The latter’s skin is of such smoothness that it “was hard to think of him as a grown man and not a large pampered baby.”(Ibid) One of the royals has dropped his African name to call himself King Solomon, while yet

another is renamed Field Marshal Bentil. Others are Blankson, Moore, Thompson and Robertson (p.206), an array of English or English-sounding names, hilariously out of place in this traditional African setting. The very large number of “kings” with ramshackle crowns perched on their heads, makes the gathering take, from the outset, the look of a farcical display, and the comparison of some of these kings to babies (pretentious magnificence compared with innocent infancy) prepare us for their infantile conduct during the petty transactions about Wolseley’s “gift of drinks.” So Armah uses *halo* or satire licensed during the *Odwira* festival to demote the Akan warrior chiefs to clowns.

All in all, Armah has integrated both satirical and epic elements in *The Healers*, but his fiction remains basically epic since he does not play up the satirical elements to such massive proportions as to displace its *mythos* into a mock-epic. The preservation of the epic dimension has much to do with the fact that it is concerned with a type of heroic resistance to imperial domination not recorded in official Ashanti historical versions of the *Sagrenti Sa*. Such a serious historic subject calls more for the griot’s art rather than that of the halo/satirist poet. As British historian Martin Gray pertinently observes, the Ashanti wars “remain a glorious instance of Black Power,” no matter how much we try to make of them a “hideous example of African disunity and oppression.”²⁷ *The Healers* transcends this divided and discordant vision of the Ashanti wars to celebrate a “dance of the forest”²⁸ wherein the main celebrants are neither “glorious” warriors nor their victims, but healers/intellectuals tending the wounded soul (Okra) of the black community.

Moreover, Armah’s version of the Ashanti epic is a completion of Mofolo’s version of the Zulu epic *Chaka*. This completion comes out in the traditionalization of the ideology and form of the precursor’s work. In its ideology, Mofolo’s epic affiliates itself to the warrior tradition to which it adds a Faustian dimension. Conversely, *The Healers* harks back to one of the forgotten African traditions of intellectual heroism that finds two of its best expressions in J.B. Danquah’s *The Akan Doctrine of God* and Sutherland Rattray’s *Religion and Art in Ashanti*. The priority that Armah’s fiction accords to the heroic ideal of the intellectual over that of the warrior arises from its author’s realisation that “effective warriorhood” in post-colonial Africa “depends on economic strength, [on the decolonization of the mind], rather than martial posturing and machismo.”²⁹

Finally, the traditional dimension of *The Healers* shows in the comparatively greater importance that it gives to orature. Our analysis leads us to observe that Mofolo's *Chaka* is Euro-centric in its artistic principles. Two of its dominant features are irony and Christian allegories which make the book read more like a moral tale about the Fall of the African/Zulu Man/Nation than the epic Mofolo had initially set out to write in a bid for cultural/historical rehabilitation. Conversely, *The Healers* eschews such novelistic techniques as irony for those of speakerly texts like griotature. Among the latter, we can list the authorial intervention in the story with its climactic alerts,³⁰ formulaic style,³¹ announcement of theme, narrative digression, Akan/African phrasal turns, circumscription of the cultural setting, and a deliberately didactic tone.³⁰ These techniques, and others we have not mentioned, make the book assume a depth of empathy that leaves no room for the ironical distancing of his precursor. More importantly, in the redeployment of African literary techniques for the epic celebration of African ingenuity and intellectual heroism, Armah also mimics and subverts Rudyard Kipling's imperial fiction *Kim*. In this doubly corrective impulse to colonial fiction (fiction written by both Africans and Europeans about colonies in the colonial period) Armah has deliberately put on a postcolonial garb by writing back to the empire whose hegemony was exercised as much on fellow African writers on the colonial periphery as their European counterparts in the centre.

Notes and References

¹. Ayi Kwei Armah (1978), *The Healers* (London: Heinemann 1979). Subsequent references included in the text are to this edition.

². Ayi Kwei Armah, "Sundiata: An Epic of Old Mali," in **Black World**, Vol. XXXIII, N°7 (May 1974), p. 51.

³. Cf. Ayi Kwei Armah, in "The Definitive Chaka", Vol. 5th (March 1976), p.11. The article also appeared as "Chaka", in **Black World**, Vol. XXVI, N° 4 (February 1975), pp. 84-90.

⁴. The concepts of "history" i.e., "narrator as enquirer" and "poesis" (maker in English) are borrowed from Robert Scholes and Robert Kellogg's *The Nature of Narrative* (London: Oxford University Press, 1971), pp. 265-266.

⁵. Cf. Eva L.R. Meyerowitz, *The Early History of the Akan States of Ghana* (London, Red candle Press, 1978), p. 187.

⁶. Cf. Isidore Okpewho, *The Epic in Africa: Towards a Poetics of the Oral Performance* (New York: Columbia University Press, 1972), p.235.

⁷. A. Saber, "The Implication of Technique in *The Healers*", in *Research in African Literatures*, V. 13, N° 14 (1982), pp. 488-498.

⁸. Thomas Mofolo, *Chaka*, trans. F.H. Dutton (Oxford: Clarendon, 1931).

⁹. For a complete discussion about the "ideological environment" in which Mofolo wrote his book, see Daniel Kunene, *Thomas Mofolo and the Emergence of Written Sesotho Prose* (Johannesburg: Raven Press, 1980).

¹⁰. Cf. Harold Bloom, *A Map of Misreading* (Oxford University Press, 1980), p.198.

¹¹. G.J.B. Watson, "James Joyce's *Ulysses*: Epic Novel," in *The Epic: Development in Criticism*, ed. R.P. Drapper (London: Macmillan, 1990), p. 198.

¹². Our discussion of these concepts is inspired from Kofi Asare Opoku, "The destiny of Man in Akan Traditional religious Thought" in *Africa in Transition Series*, 2, (1975), pp. 3-15. Cf. W.E. Abrahams, "The Akan Theory of Man and Society", in his *Mind of Africa* (Chicago: Chicago University Press, 1969).

¹³. Cf. Sutherland Rattray (1923), *Ashanti* (Oxford: Clarendon Press, 1969), p. 153.

¹⁴. J.B. Danquah, *The Akan Doctrine of God* (London: Frank Cass and Co, 1944), pp. 95-96.

¹⁵. *Ibid.*, 117.

¹⁶. For other discussions of the Faustian theme in Mofolo's book, see, op. Cit., Daniel Kunene, *Thomas Mofolo and the Emergence of Sesotho Prose*.

¹⁷. James W. Fernandez, "The Shaka Complex," in *Transition* 29 (1967), pp. 11-15.

¹⁸. For the adaptation of the Zulu epic of *Chaka* in African Literature written in French and English see, Donald Burgess, *Shaka, King of the Zulus in African Literature* (Three Continents Press, 1976).

¹⁹. Sutherland Rattray, *Religion and Art in Ashanti* (Oxford: Clarendon Press, 1927), p.38.

²⁰. V.Y. Mudimbe, *The Invention of Africa: Gnosis, Philosophy and the Order of Knowledge* (London: James Currey, 1990), p. XI.

²¹. Cf. Hugh Trevor-Roper, "From a Death to a View: The Hunt for the Welsh Past in the Romantic Period", in *The Invention of Tradition*, eds. E.J. Hobsbawn and Terence Ranger (Cambridge: Cambridge University Press, 1992).

²². Alan Llyod, *Drums to Kumasi* (London: Longman, 1964), p.122.

²³. Ibid., p. 57.

²⁴. Ibid.p.166.

²⁵. Cf. Michael A. Coronel, "Fanti Canoe Decoration," in *Atlantic Perspective*, (November 1978), V-XIII, pp.56. Coronel adds that the "crew members later bear the coffin in a slow meandering pace through the beached canoes to the site of the public funeral. The festival creates an assemblage of varied art forms: music, dancing, praise poems and interpretative re-enactments." p. 56.

²⁶. Op.cit., Rattray, Sutherland Rattray, *Religion and Art in Ashanti*, pp.127-128.

²⁷. Martin Gray and Robin Law, Eds. *Images of Africa* (London: University of Sterling Press 1990), p.12.

²⁸. Wole Soyinka, *A Dance of the Forests* (London: Oxford University Press, 1967).

²⁹. Aidan Southall, "The Bankruptcy of the Warrior Tradition," in Ali Mazrui, Ed. *The Warrior Tradition in Modern Africa* (Leiden: E.J.Brill, 1977), p.166.

³⁰. In our analysis, we have mentioned the appeal the storyteller makes to his epic precursors to help narrate momentous events in his story. These appeals alert us to the climactic points in the narrative. Okpewho attributes the use of climactic alerts in African orature to a comparatively acute "sense of the moment in the performing oral artist." (Op.cit., Okpewho, p.212) The storyteller's sense of the moment in *The Healers* shows strongly in the climactic chant included in the "Omens" chapter that prefigures the fall of Kumasi in Part Six of the book. Two of these omens are particularly sinister for an Ashanti reader. The first is the destruction by

thunder of the Odum tree panted by one of the founders of the *Asanteman* (Ashanti nation in English), the seventeenth-century priest Okomfo Anoché. According to prophecy, the day the tree will be thunderstruck the *Asanteman* will fall apart. For further information about this prophecy, see Eva L.R. Meyerowitz, *The Early History of the Akan States of Ghana* (London: Red Candle Press, 1974), pp.171-173. The included story of the python devouring the porcupine and leaving only its quills is no less ominous and sinister. The porcupine (*Kotoko* in vernacular) stands for the Ashanti war machine. One of the Ashanti war cries goes as follows: "Like the needles of the porcupine, if you kill a thousand, a thousand will come." For further information about Ashanti/Ghanaian national symbols, see Jean Marie Allman, *The Quills of the Porcupine* (Madison: The University of Wisconsin Press, 1993). In his *Ashanti*, Rattray reports the Ashanti myth of creation and fertility wherein the creation of the original couple, the sky god (*Onyame*) sends the python (*Onini*) into the Bosommuru river to sprinkle them with water and to deliver them a message ordering them to prosper on Earth. Seen in the context of this myth, the python stands for Onyame destroying the army of the impious Ashanti. The message it delivers is not one of fertility but one of imminent destruction by the British troops.

³¹. According to Okpewho, the "formula is a feature of oral composition among African bards of heroic narrative songs." Some formulae "are useful for the formal growth of the story" whereas "other repeated lines and messages only contribute toward a fullness of effect in the performance (Op. cit. Okpewho, 1979, pp.138-139)

Translation in *Don Quixote*

Prof. Abbes BAHOUS
Department of English
Abdelhamid Ibn Badis
University- Mostaganem

Abstract

Don Quixote as the founding novel is recounted by Cide Hamete Benengeli, Moorish and Spanish (Manchegan) historian, through the mediated work of the morisco-aljamiado (translator). Few scholarly works have in fact been devoted to this latter aspect of the novel amongst the tens of thousands devoted to the novel per se. That the founding novel is recounted by a Moor/Arab in Arabic thanks to a translator, in Toledo, is a huge claim which has passed almost unnoticed for some reason or other. This paper will try to shed light on the presence of translation and the translator in Cervantes's novel.

In *Don Quixote*, I,9, Cervantes tells us how he found the Arabic historia in Toledo which he bought «for a few bushels of wheat» and got translated by a *Morisco-aljamiado*. This is not, however, the first occasion where translation is mentioned. Already in I,6, the question of translation is brought to the fore, when the priest and the barber enter into conversation in *Don Quixote's* library. If the barber has, he says, Boiardo in Italian without being in fact able to read him, the priest will show no respect if he does not «speak any language but his own». In other words, Boiardo must be read in Italian or not at all, since adds the priest,

Résumé

Don Quichotte, roman fondateur de tous les romans à venir, est raconté par Cide Hamete Benengeli, historien arabe et espagnol (Manchego), relayé par un traducteur morisco-aljamiado. Très peu de travaux ont été consacrés à ce dernier comparativement aux milliers d'études sur Don Quichotte. Que le roman fondateur soit raconté par un arabe en langue arabe et traduit en espagnol grâce à un traducteur morisque, à Tolède, voilà un fait qui est pratiquement passé inaperçu, alors qu'il aurait dû soulever moult questions. Ici, nous tenterons d'examiner la présence du traducteur et de la traduction dans le roman de Cervantes.

the italian poet is better where he should be, i.e. in Italy and in Italian:
- y aquí le perdonáramos al señor Capitán que no le hubiera traído a España y hecho castellano; que le quitó mucho de su natural valor, y lo mesmo harán todos aquellos que los libros de verso quisieren volver en otra lengua: que, por mucho cuidado que pongan y habilidad que mustren, jamás llegarán al punto que ellos tienen en su primer nacimiento(I,6).

The third time where translation is mentioned in the first part is I,40. The captive, that is Cervantes¹, could not read an important paper written in Arabic (this is exactly what happens to him in **Don Quixote** when he finds the Arabic parchment in Toledo and hires a Morisco-translator). However, he managed to find in the person of the Murcian renegade - a bilingual - the much needed translator. This he does, only to insist on one thing: where the pater says «lela Marien» (Arabic for 'Lady Mary'), the captive should read «Our Lady the Virgin Mary». This apparently anodine passage is nonetheless revealing. What is implied here is that in both the Castilian and Arabic cultures, there are similar 'beliefs' although they might, prima facie, look different or antagonistic. After all, this very point is being recounted by Cide Hamete who has written the *historia* in Arabic.

In Part 2, translation comes back again, this time as early as chapter 3, where Cervantes, via Sampson, praises Cide Hamete as well as the Morisco-translator. But it is here that the translator is recognized as such, acknowledged for the job done, and hence 'blessed thrice'. We are then far from the priest's belief that translations cannot be 'good' (I,6). He is thus given as much credit as the usually-credited Benengeli, for enabling Sampson and the like to read it in Castilian. In fact, he receives here much more credit than the Moorish 'author', since he and only he has enabled the group to read it in their own tongue. However, and though no parallel is drawn between Arabic and Castilian, the implication of Sampson's utterance on seeing Don Quixote reveals Cervantes's thought and obsession: to put on equal footing Castilian and other languages, namely Greek, Latin, and German(II,16).

In addition, and in this very chapter, the 'vulgar' Castilian-written *Don Quixote* translated from the Arabic shall one day, it is said, entertain mankind. But to achieve this, it should be translated in

several languages of the world. Cervantes, via Sampson again, remains optimistic, for «there shall not be any nation into whose tongue it will not be translated». Paradoxically, it is the Castilian, 'vulgar' tongue that will be rendered into several languages, including the ones mentioned above. But in order to provide a text, a story worth translating into these languages, it should be an 'original', great work in the first place. And again, replying to Don Quixote, the same Sampson believes that a blending of such nature and calibre, being a 'cooperation' between Moor and Christian, can only be a great work:

porque el moro en su lengua y el cristiano en la suya, tuvieron cuidado de pintarnos muy al vivo la gallardía de vuesa merced, el nimo grande en acometer los peligros, la paciencia en las adversidades...(my italics, II,3).

But what is worth noting here, is that these discussions on translation, writing, and on the combined 'wits' of Moor and Christian are followed, within the same chapter that is, by Sampson's speech on history and poetry («it is one thing to write as a poet, and another as a historian»), obviously referring to Cide Hamete as writer-historian. Besides his 'co-authorship', the translator, as a character, in *Don Quixote* is deeply incorporated into the narrative. His function is to enable Cervantes to control the narrative from the powerful, omniscient writer-historian, as in II,5, where he intervenes to 'correct' or bring information concerning Sancho's 'second speech', considered apocryphal by the translator, written down as such in the body of the narrative. The same sort of incursion occurs in II,24 where the translator intervenes to explain the apocryphal chapter (Montesinos' cave) as related by Cide Hamete. Once the explanation is over, but still carried out by Benengeli, the translator's voice fades away, only to hover around. We know it will soon come back, and it does in II,27. Here, Cide Hamete has just opened the chapter by swearing 'as a Catholic Christian', on which the translator notes that the historian's swearing as a Catholic should be accepted, although he was a Moor.

Although the translator's function is to restore 'truth' from time to time, his interference, at this stage, takes enormous proportions. It is he who writes/says whether the 'original' story penned by Cide Hamete is 'logical' or not, coherent or not. Since he has translated it for Cervantes, he is in a better position to 'clarify', 'correct' or add. In

other words, he is the one who has possession of, and priority over the Arabic 'text'. Yet, his function is also to create an atmosphere of credibility and objectivity, by intervening in particular passages, as in II,44. Here, an allusion is made to the translator who has rendered it in Castilian, giving both Cervantes and Benengeli the opportunity to criticize themselves, if only in the eyes of the readers, by putting him in utter responsibility as to the extrapolated stories and other 'inconsistencies'. Again, he appears and disappears swiftly. But it is perhaps in II,62 that he is more acutely present, though absent, as Don Quixote discusses the problems of translation with a gentleman from Barcelona.

In Barcelona, Don Quixote comes across the first printing house of the town (II,62), and falls into a discussion with the translator of an Italian work, *Le Bagatelle*², related to us once again by the Moorish historian-cum-narrator-cum-author, Cide Hamete. Moreover, the knight compares translation between the vernaculars to viewing Flemish tapestries from the wrong side, that is rather obscure pictures³. Thus, he establishes, concerning translating, a clear distinction between 'queenly' languages (Greek and Latin) and those which are 'easy' (vernacular that is), forgetting to mention Arabic, though the Arabic 'original' once into Castilian 'will entertain mankind'(II,3). This deference to 'classical' languages like Greek or Latin is rather surprising since Don Quixote's deeds and conversation are, after all, being recorded in the 'vulgar' Castilian, but nonetheless 'originally' in Arabic. However, the relationship between what Don Quixote calls 'queenly' languages and vernaculars raises a question of the same nature, notably that between *Don Quixote* as written in Castilian and Arabic, since it is purportedly announced as 'written' in Arabic by Cide Hamete, 'Arabigo y Manchego'(I,22). The Arabic 'text', supposedly the 'metatext', as 'father' or 'stepfather' (Prologue,I) stands as a perpetual reminder that in fact the classicizing of the Renaissance, in terms of aesthetics and languages for instance, had served and would serve other purposes than those intended.

After all, in mentioning Arabic words such as *albogues*, *almohaza*, *almorzar*, *alhombra*, *alguacil*, *alhucema*, etc., Don Quixote will give a list of Arabic words beginning with 'al' and ending with 'i'. This happens five chapters further (II, 67). To bring 'queenly' things back to Greece or Rome is valid enough, but certainly not without the

now-accepted or consacrated formula: Moorish *détour*, of which *Don Quixote* itself is a part⁴. These reconsiderations, within the framework of translation studies in general and pseudotranslation in particular, must be stressed again for various reasons, notably literary history beyond frontiers, that is literary history with translation and pseudotranslation deeply incorporated⁵.

Notes

¹On the captive in Don Quixote as being Cervantes in person, see W. ENTWISTLE, **Cervantes**, 1940, W. BYRON, **Cervantes : A Biography**, 1979. This is what he will later do when he 'finds' the Arabic 'document' in Toledo.

². On this, R. DOZY wrote: « Le véritable récit arabe (of the **Crónica del Cid** that is) fourmille de phrases chrétiennes interpolées, et ou la légende catholique de Cardègne (ainsi que dans la **General**) est attribuée à un Arabe valencien. Cette supposition devient fort probable quand on voit Cide Hamete commencer un chapitre par ces paroles: "Je jure comme chrétien catholique" », in **Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-Age**, 1881, vol.2, p. 51.

³. Cervantes's reference to this 'fictional' title has not drawn any attention. Yet, it could be connected to Socrate Chrestien's idea that: 'Art, Science, Prose et Vers sont différentes espèces d'un même genre, et ce Genre se nomme Bagatelles en la langue de la Cour', quoted by J.E. SPINGARN, **Critical Essays of the Seventeenth Century, 1605-1650**, vol.1, 1957 (1908), p.XXV. That Cervantes refers to this can be strengthened by the idea that he was, in **Don Quixote**, trying to 'eliminate' all previous genres: epic, romance, Moorish novel, picaresque, and this one (II,62), coming at the end of the narrative. , the word 'bagatelle' means 'trifle', from the Italian *bagatella* (1547).

⁴. See for instance, M. EDWARDS, **Towards a Christian Poetics**, 1984, pp.162ff.

⁵. See P.K. HITTI, **History of the Arabs**, 1951(1937), pp.559ff, Sir T. ARNOLD & A. GUILLAUME(eds), **The Legacy of Islam**, 1931, pp.180-209, F. UDINA MARTORELL, 'Les documents arabes aux archives de la Couronne d'Aragon ... Barcelone et l'influence culturelle arabe sur l'Espagne catalane', in **Actes du 1er Congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère**, M. GALLEY(ed), 1973, pp.50-57. He wrote: 'La contribution arabe à la culture hispanique est un fait indéniable...une véritable osmose se produisit entre la culture arabe et la culture autochtone' (my emphasis).

References

ADAMS, P.G., *Travel Literature and the Evolution of the Novel*, London, 1983.

BAHOUS, A., *The Novel and Moorish Culture: Cide Hamete 'Author' of Don Quixote*, unpublished Ph.D thesis, University of Essex, 1990.

-----, « Translation, Writing and Authorship : Don Quixote's 'Moorish' Tapestry », **REVUE DES LANGUES**, N° 10, Oran, 1992.

-----, « Toledo, Translation and Literary History », **REVUE MAGHREBINE DES LANGUES**, N°1, Oran, Juin 2002, pp. 135 – 148.

-----, “ Moorish Culture in *Don Quixote*”, in **REVUE DES SCIENCES HUMAINES**, UNIVERSITE de CONSTANTINE, N° 27, Juin 2007, pp. 61-73.

BYRON, W. *Cervantes : A Biography*, London, 1979.

DOZY, R., *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-Age*, vol.2, Paris, 1881.

EDWARDS, M., *Towards a Christian Poetics*, London, 1984.

ENTWISTLE, W., *Cervantes*, Oxford, 1940.

FOUCAULT, M., “What is an Author?”, in *Textual Strategies*, J.V. HARARI (ed), Methuen, London, 1980 (1979), pp.141-60.

FOWLER, A., *Kinds of Literature*, Routledge, London, 1982.

FRYE, N., *The Great Code: The Bible and Literature*, Penguin Books, London, 1983 (1981)

Sir T. ARNOLD & A. GUILLAUME(eds), *The Legacy of Islam*, Oxford, 1931.

C. GUILLÉN, *Literature as System*, London, 1971.

P.K. HITTI, *History of the Arabs*, New York, 1951 (1937)

MESCHONNIC, H., 'Poétique de la traduction', in *Pour la poétique II*, Seuil, Paris, 1973.

SPINGARN, J. E., *Critical Essays of the Seventeenth Century, 1605-1650*, vol.1, 1957 (1908).

TOURY, G., 'Translation, Literary Translation and Pseudotranslation', **COMPARATIVE CRITICISM**, Vol.6, 1984, pp.73-85.

TYMOCZKO, M., 'Translation as a Force for Literary Revolution in the Twelfth-Century Shift from Epic to Romance', **NEW COMPARISON**, N.1, Summer 1986, pp.7-27.

UDINA MARTORELL, F., "Les documents arabes aux archives de la Couronne d'Aragon ... Barcelone et l'influence culturelle arabe sur l'Espagne catalane", in *Actes du 1er Congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, M. GALLEY(ed), 1973, pp.50-57.

WATT, M.W., *Influence of Islam on Medieval Europe*, Edinburgh, 1972.

WHITE, H.O., *Plagiarism and Imitation During the English Renaissance*, London, 1965 (1935)

**Translating Algerian Arabic
Drama into English: An
Intercultural Process**

Souad HAMERLAIN
Department of English
Abdelhamid Ibn Badis
University- Mostaganem

Abstract

Mediating between two languages and/or cultures transcends the linguistic competence of the translator. It is a practice which is very much nourished by an intercultural dialogue between people who want to bridge otherness. Still, some parameters such as onomastics and the history of the target audience are to be considered to shun any cultural clash. This could be cushioned thanks to the technique of adaptation which is applied in the present paper to two Algerian plays "Lagwal" (Sayings, 1980) and "Lamkhakh" (The Two Brains, 1972) by Abdelkader Alloula and Muhammed Adar respectively.

It is commonly acknowledged among literary translators that rendering any dramatic or poetic piece of writing demands a huge proficiency. For some, it is even an intricate, if not an impossible task. Such dispiriting views are largely due to the fact that being skillful in two languages does not automatically open the doors for a good translation. In addition to his/her linguistic mastery, the translator should also be culturally sensitive. Culture, actually, plays a decisive role in attaining an acceptable rendition. But because it is sometimes difficult for translators to access the cultural 'scenery' of the

Résumé

La médiation entre deux langues et/ou cultures transcende la compétence linguistique du traducteur. C'est une pratique qui est bien nourrie par un dialogue interculturel entre des gens qui veulent aller au-delà de l'altérité. Cependant, des paramètres tels que l'aspect onomastique et l'histoire de l'auditoire cible sont à considérer pour éviter tout 'clash' culturel. Ce dernier, je crois, pourrait être amorti grâce à la technique d'adaptation qui est appliquée dans le présent article à deux pièces théâtrales algériennes, à savoir "Lagwal" (Les Dires, 1980) et "Lamkhakh" (Les Deux Cerveaux, 1972).

target language, (take the case of our Translation students) it is usually regarded as the translator's "Achilles' heel".

Being immersed in the target culture is of *prima facie* importance especially when the languages at stake do not share any lexical or syntactic cognates. This is precisely the case of Algerian Arabic and English for instance which are far from being relative tongues. Adding to the fact that each one has a different cultural makeup, the whole rationale would be to see whether it would be possible to find some common grounds between these two languages under the heading of universality.

If we espouse Paul Ricoeur's postulate, there is always a way to engage in rendering target texts when he plainly avers that:

L'hospitalité langagière...où le plaisir d'habiter la langue de l'autre est compensé par le plaisir de recevoir chez soi, dans sa propre demeure d'accueil, la parole de l'étranger.¹

(Language hospitality...or the pleasure to dwell in the language of the other is rewarded by the pleasure to receive in one's home, the parole of the foreigner.)²

Indeed, this notion of *hospitality* may be the key to unravel the *a priori* beliefs of the impossibility of translation justified – among other reasons – by the phenomenon of “*Communicative Difference*”. This one stipulates that because people have got different rules guiding their discursive practices, any kind of mediation between them remains unattainable.

Any reading in the literature about literary translation reveals the undeniable role played by the Greeks in enriching its venue. In fact, it was mainly the Classic translations of ancient Greek tragedies into Latin which had helped the sphere of drama translation in general to prosper. Likewise, the translation into a large number of languages of some famous playwrights' works (such as those of Shakespeare or Brecht) contributed vastly in the shaping and casting of references as far as translational correspondences are concerned.

This also added in their spreading to distended places as to the Maghrebi region for instance. This was chiefly reported by Henri Kréa (1962) for whom:

...les formes spontanées, originelles du théâtre populaire – celles dont sont issus la tragédie grecque et le théâtre élisabéthain – fleurissent au Maghreb autant que partout ailleurs.³

(...the spontaneous forms, originating from popular theatre – those from which descended Greek tragedy and the Elizabethan theatre – flourish in the Maghreb as well as everywhere else.)

But it has been claimed that even if drama translation has fostered Translation Studies with abundant instances of translational equivalences, there had been some other directions which gave it a rather static theoretical portrait such as the way of transcending culture within a dramatic text. In this vein, Lefevere (1980) has from the start noticed that "There is practically no theoretical literature on the translation of drama as acted and produced..."⁴

His account for this kind of gap in the theorisation of drama translation can be depicted through a kind of blame directed towards those literary scholars who laid more emphasis on what is written on the page than on what should be fashioned on the stage. Again, this is due for him to a kind of underestimation of the domain of pragmatics since drama or theatre translation, more than any other literary genre, involves the significance of context and setting for a more "faithful" rendering.

It goes without saying, here, that any theatrical text is a kind of dialogue in action⁵; it is a dynamic kind of text with the finality of being acted more than that of being read. For Bassnett (1980), the written text plus its performance constitute an equation which will be incomplete if the *performability* factor is missing.⁶ For her:

A notion of theatre that does not see written text and performance as indissolubly linked, then, will inevitably lead to discrimination against anyone who appears to offend against the purity of the written text.⁷

Not very far from this suggestion, the semiotician Anne Ubersfeld looked at the linguistic code as one among other systems building theatrical demonstrations. In her *Lire le théâtre* (1982), she stressed the dialectical relation tying the script to its performance. By introducing the notion of "texte troué" when talking about the curtailed nature of the written text, she was in fact joining so many other scholars who put to the fore the idea that these two elements should always dovetail.

Furthermore, embarking upon a translation of a play is likely to be seen as a chancy adventure resting on the axiom 'hit or miss'. This is merely because when a playwright presents his work, he has a particular idea in mind; particular characters with culturally rooted names; a specific stage and above all a goal or a message to transmit.

The renowned Algerian dramatist *Abdelkader Alloula*, for instance, devised some of his plays (*Lagwal* among others) on a certain artistic tradition based on the *halqa* and a *guwal*. These features obviously stem from our traditions where information is still in some towns (as in Mostaganem) transmitted out loud by an individual who gathers people around him forming a *halqa* (s.n.circle) and delivers his speech. This *guwal* may well be translated into English by its lexical cognate 'minstrel' since this one is credited the same function; namely that of announcing or declaring things.

But I believe that the presence of the *guwal* in the target version will not push the spectators to frown. On the contrary, it will simply adjoin a new cultural aspect to their own cultural repertoire. This is also because the role performed by the *guwal* goes with what they know a minstrel does. Yet, this process of cultural assimilation cannot be generalized as it should be demonstrated further.

In complementation to his informative role, the *guwal* has also the function of making us know about the "after-events". That is, what people say after a certain incident takes place; in Alloula's theatre, it is about what happens to protagonists after their narrative has come to an end. In his *Lagwal* (1980), Alloula presents a "minstrel" who introduces the characters of the play, then tells us about what occurred after Kaddour, an employee in a factory, handed in his notice to his boss (Nacer who used to be one of his best friends) after a heated discussion between them. This is mainly because Nacer turned out to be greedy and abusive; something that Kaddour disclaimed.

Nevertheless, and to make the translated version 'speakable' in the target version, Algerian names have been replaced by English ones. Hence, Kaddour was substituted by Will and Nacer by Victor. This, because of the strong will of Kaddour to regain his dignity, and the same degree of desire of Nacer to win a good position among affluent people. The reason of changing names is again to make these ones sound familiar to the foreign listeners. Imagine the confusion that their preservation would have produced; a Kaddour or a Nacer would have indeed had a weird echo on an English stage! Here is an excerpt:

"The Minstrel: Dear listener, words for me take many forms, things have and haven't been said about what happened to Will, who moved out after quitting his job. Some said that he was retained by the workers who forgave him asking him to stay with the hope of having their boss change his behaviour. But also because the factory couldn't allow the loss of one of its most experienced drivers! He joined the group again and his matters went well. Dear listener, words for me take many forms... others who said that he carried his fight with the trade union for the general welfare of the workers, he regained his dignity and became a model during meetings. Victor, on the other hand, had been unmasked... Dear listener, words for me take many forms, let's listen to..."⁸

Furthermore, from the moment that we agree to make this process possible, some new elements may be put to the fore. Among these, that of *adaptation* seems to be a handy technique to overcome cultural discrepancies. This technique, in fact, goes hand in hand with the pragmatic tenets which Leo Hickey (1998) was among the pioneers to apply in *The Pragmatics of Translation*. This consists in presenting a version which should produce the same *effect(s)* and stir the same emotion(s) on the target audience.

The translation of the specific cultural aspect of the *halqa*, where people surround the *guwal* and listen to his speech, constitutes a kind of bridge which shall make the 'Other' know more about our own 'literary demeanor'. To put it differently, its reproduction on a foreign stage would reflect one of the multifarious facets of what is basically referred to as "intercultural communication" with the translator as an intercultural communicator who:

is normally confronted with people who do not share his or her perceptions of the external world, and who may respond to that world in a manner that is often hard to understand.⁹

The target audience would certainly respond in an unexpected way if there is a clash between their own vision of the world and that presented to them. This is why a pragmatic process of cooperation seems necessary since this one is, in its turn, going to appeal to that of adaptation. Besides, it is quite common to establish a distinction between translation and adaptation. Adaptation, being a polyvalent notion, covers a large scheme of translating activities which aim first

and foremost at naturalizing the foreign work by giving priority to its transmissibility in accordance with the audience expectations.

At this juncture, consider that culture is an umbrella term encompassing, in addition to people's social organization and social relationships, features of their history. This could be depicted through historical moments experienced by the source language author and his audience, but which are totally absent from the target listeners' background knowledge. Here, the translator is faced with two options: either to delete the historical information available in the source text, or to find an almost equivalent historical event to include it in the target one. In this particular context, knowledge of history is *de rigueur*.

It is a well-known fact that Islam, and Arabs in general, knew a cultural as well as an intellectual boom during the eighth century. It was also the era of what is called "*Fath al-Andalous*" (the Conquest of Andalusia) in which Spain fell under an Islamic regime. This historical era was mentioned in Muhammed Adar's "*Lamkhakh*" (The Two Brains, 1972) where one of the protagonists exclaims:

"Judge: you, go out! (now addressing the thinker) you, prostrate! (addressing the loon) you, stand up! And I'll be turning around (he goes on turning around them) I love to see you as you are, I'm the very person to protect you, you showed me your feebleness, let me exploit you now...from now on you'll roll up the carpet for me. I love listening to music while eating and I love admiring female-dancers while drinking (*just as our ancestors used to do in Andalusia*), the eldest girl should be eighteen! That should be taken in charge by our diplomat..."¹⁰

It is worth noting that the same historical event is displayed in Alloula's *Lagwal* where Will (Kaddour) accuses Victor (Nacer) of having used the factory for his own benefits:

"Will: no sir, the truth is that...! its floor was imported from Spain and when I asked you about the reason, you told me that it's on account of its ancient arabesque architecture...(let me tell you that our ancestors invaded Spain and left wisdom there!) Victor, a lot is being said in the factory about the machines you imported from Italy...machines that are useless to our manufacture and which are left to rust in the hangars!..."¹¹

The sentences put between brackets have been omitted from the adapted version. This is merely because these parts of speech are supposed to be delivered by an English character who cannot speak about a historical event which lacks validity in the eyes of his viewers. So, to avoid any kind of puzzlement, we chose to skip over these details which are quite irrelevant for a target listener; knowing that the same sentences would pass unnoticed in a non-adapted version.

Consider that what is called dynamic or pragmatic translation is to produce a version which should try to come across some typical cultural features of both source and target readers/listeners to put them on the same footing. Accordingly, preserving a homogeneous effect could only be achieved if all the elements presented in a translation go with the audience's expectations.

The following excerpt is taken from the second act of Muhammed Adar's same play where the terms party and Koran put between parentheses had been adapted by those of Monarchy and Bible respectively:

*"Door-keeper: ...never speak again about Monarchy (the party), it's something that doesn't concern you, it's something sacred! As soon as I knew that Monarchy (the party) was a sacred thing, I brought the Gospel and started reading it till I learnt Psalms by heart; then I went on reading Torah till I learnt the Bible (Koran) by heart, but in none of them was the term Monarchy (party) mentioned! I found eras which differed one from the other and in which the door-keeper stands in front of the door even if he is the very person to open it!"*¹²

Adar, here, mentions some politico-religious elements which might well be understood by a foreign person. All of the terms party, Koran, Psalms, Bible, Torah and Gospel are known worldwide and are likely to be shared by both source and target audience's schemas¹³. But the problem resides in the establishment of the first term for instance in the recipient community's political system. England is a kingdom in which political parties cohabit but in terms of sacredness, it is rather the monarchy which is regarded as a sacred royal establishment. This is why the above adaptation seemed to us more acceptable for the target reader or spectator.

Further, and to obtain the same effect of bemusement, no deletion or alteration was brought to the irrational language used by Adar, in which reading the Gospel and Torah will lead to the learning by heart

of Psalms and that of the Bible accordingly. It should be noted that the only sacred religious book which was substituted in this passage was the Koran. This was a necessary move to prepare the ground for what follows. The first translation is literal and quite faithful to the original version:

Judge: May God make the Islamic religion and the court blossom!

This has been adapted to:

Judge: May God protect the court! ¹⁴

This is simply because we cannot imagine a non-Muslim English character voicing such a prayer. Here, too, we tried to shun another alien cultural aspect by using a less controversial one which is that of 'the court' as an alternative to 'the Islamic religion'.

The majority of the excerpts mentioned so far consisted in finding substitutes of some alien political, religious or cultural aspects for foreign recipients. The following passage quoted from Alloula's *Lagwal*, exhibits two major cultural behaviours reflecting the place and time in which the play was written; i.e. its original context. Here, Peter (originally Ghecham) is recounting his whole life and for the first time to his eldest son Happy (originally Messaoud). The following extract tells us about the day Happy was born:

"Peter: I entered the house disoriented thinking and rethinking about all that...As soon as entered I saw that the lights were on... (I signaled my entrance coughing to make my way through)...as they heard my voice, they started letting out (yoyous)...I hit my head and cried out: "Goodness, the baby is born!"¹⁵

The two cultural oddities for a target reader would have been those mentioned in the enclosed sentences. Presently in Algeria, the fact of 'clearing one's throat' for a man to free his way and allow the ladies of the house to 'hide' before entering his dwelling is starting to fade away. The whole family structure has changed and with it people's social behaviour. Now, the majority of new formed families aspire to live individually. Hence, if this phenomenon is becoming rare in a cultural milieu where society has been moulded on collective life for a long period, what about a setting whose individuals have been brought up with an individualistic vision. The second adapted element has to do with expressing cheerfulness. To celebrate a happy event, an

Algerian lady is likely to voice out youyous. This Arab behaviour has been omitted on account of its non-conformity with the social behaviour of the English people.

It is believed that the principal problem in an intercultural communication is the way in which people encode and decode messages. This activity is tightly intermeshed with the ability to fathom the ropes of communicative events by soundly grasping the cultural implications that set off any character's interaction. Furthermore, translating a play differs markedly from translating a novel, for instance, where no room is left to notes or footnotes. Translating for the theatre, in fact, rests on two major factors; these are 'actability' and particularly 'immediacy' of discourse. Characters can never be interrupted by the audience to present some clarification on a certain socio-cultural aspect.

To conclude, I would say that all of the previously mentioned adapted onomastic, cultural as well as historical source language features are an epitome of what translators can possibly do to reach intercultural communication. It is their mission to make people of different standings 'meet on the stage', but for that to happen, some concessions are to be made. Consequently, the translator becomes a crosser of frontiers, or a 'merchant' whose transactions consist in importing and exporting cultural assets, remolding them when necessary, then letting them unfold on the other side of the fence.

Notes:

¹ P., Ricoeur, *Sur la Traduction* (Bayard 2004), p.20.

² All of the translated French quotations in this article are mine.

³ H., Kréa, "Théâtre Algérien" in Jean Oswald, *Le Séisme* (Société Nationale d' Edition, SNED, 1962), p.7.

⁴ André Lefevere, "Translation and comparative literature in Yearbook of Comparative and General Literature" in Gunilla Anderman, *Word, Text, Translation* (Clevedon: Multilingual Matters, 1999), p. 74.

⁵ D., Crystal, *A Dictionary of Linguistics and Phonetics* (Blackwell, 1997), p. 75.

⁶ - It should be noted, however, that Bassnett changed her position afterwards. In her 1985 and 1991's articles "Ways Through the Labyrinth: Strategies and Methods for Translating Theatre Texts" and "Translating for

the Theatre: The Case Against Performability", she came to consider performability as a loose and wooly concept by shifting her attention to the deictic elements and the way they operate in a theatrical text, emphasizing not on their presence but on their function in the text.

⁷-S., Bassnettm, *Translation Studies* (Methuen, 1980), p. 121.

⁸-A., Alloula, *Lagwal* (Moufam Publications, 1997, p. 34. Note that all of the mentioned English translations are mine.

⁹-A., Samovar Larry, E., Porter Richard, C., Jain Nemi, *Understanding Intercultural Communication*. (Wadsworth Publishing Company, 1981), p. 117.

¹⁰-M., Adar, "Lamkhakh" in *Douroub el Mouwadjaha* (Moufam Publications, 2000), p. 34.

¹¹-M., Adar, op.cit., p.27.

¹²-M., Adar, op.cit.p. 18.

¹³-This term was first introduced in the psychological arena by Bartlett in 1932 to denote any background knowledge stored in a person's memory that would make the reminiscence of past stories and experiences possible.

¹⁴-M., Adar, ibid., p. 33.

¹⁵- A., Alloula, op.cit., p. 46.

References

Adar, M., "Lamkhakh" in *Douroub al Mouwadjaha* (Moufam Publications, 2000).

Alloula, A., *Lagwal* (Moufam Publications, 1997).

Lefevere, A., "Translation and comparative literature in Yearbook of Comparative and General Literature" quoted in Gunilla Anderman, *Word, Text, Translation* (Clevedon: Multilingual Matters, 1999).

Bassnett, S., *Translation Studies* (Methuen, 1980).

_____, "Ways Through the Labyrinth: Strategies and Methods for Translating Theatre Texts," Theo Hermans, ed. *The Manipulation of Literature* (London, Croom Helm, 1985).

_____, "Translating for the Theatre: The Case Against Performability." *TTR (Traduction, Terminologie, Rédaction)*, 1991).

Crystal, D., *A Dictionary of Linguistics and Phonetics* (Blackwell, 1997).

Hickey, L., *The Pragmatics of Translation* (Multilingual Matters LTD, 1998).

Kréa, H., "Théâtre Algérien," in Pierre Jean Oswald, *ed.*, *Le Séisme*. Société Nationale d' Edition SNED, 1962)

Ricoeur, P., *Sur la Traduction* (Bayard, 2004).

Samovar Larry A., Porter Richard, E., Jain Nemi, C., *Understanding Intercultural Communication* (Wadsworth Publishing Company, 1981).

**Hegel, Dubois and the
American School of Slavery**

Dr. Sabrina ZERAR
Department of English
Mouloud Mammeri-
Tizi Ouzou University

Abstract

*The present paper looks into the redeployment of Hegel's philosophy of history in DuBois's **The Souls of Black Folk** (1903) in response to the American revisionist school of slavery in the Progressive Age (1900-1917). It seeks to explore DuBois's clash with the white Progressives over the interpretation of the German philosopher's ideas about slavery and the destiny of ethnic groups in the United States.*

This paper investigates the Hegelian dimension of William Edward Burghardt DuBois's *The Souls of Black Folk* (1903) with reference to his conception of Black American history. To date a spate of articles and book-length studies written from various perspectives has been produced about this Black American classic. However, apart from sparse hints here and there about the influence that Georg Friedrich Hegel (1770-1831) exerted on DuBois's writing, to my best knowledge there is no sustained study about how DuBois (1869-1963) re-tools and redeploys Hegel's philosophy of history in defence of Black Americans during the Progressive Age (1900-1917). This critical oversight is not unique to

Résumé

*Cet article est une étude sur le redéploiement de la philosophie de l'histoire de Hegel dans l'œuvre de DuBois intitulé *The Souls of Black Folk* (1903), et ce en réplique à l'école révisionniste de l'histoire de l'esclavage durant la période Progressiste (1900-1917). Il explore le désaccord sur l'interprétation des idées du philosophe allemand sur l'esclavage et la destinée des différents groupes ethniques aux Etats-Unis.*

scholarly studies of DuBois's work. Indeed, despite the fact that Frantz Fanon provided insights into the Hegelian nature of Black American thought in *Black Skin White Masks* as early as 1954, Black Studies have only reluctantly researched it. It has to be observed that Black Studies were incorporated as academically recognised disciplines in American Universities as a result of the Civil Rights Movement in the mid-1960s.

The Progressive Age in American historiography is known as the age of reform of the excesses of the Gilded Age, an age marked by an industrial take-off resulting in reckless urbanisation, increasing floods of immigration, and uncontrolled corruption at all levels of society and government. For Black historians, the period of the Progressive Age is commonly referred to as the Jim Crow Era. This appellation is due to the exclusion of Black Americans from the political and civil life of mainstream society through the annulment of the civil rights gained during the Civil War (1860-1865) and the Reconstruction period (1866-1876) following the *entente cordiale* between the North and the South in 1876. The *entente* was the "strange fruit" of political merchandising over the returns of the 1876 presidential election. This election finished in a tie between the Republican Party candidate Rutherford Birchard Hayes and the Democratic Party candidate Samuel Tilden. In exchange for the withdrawal of federal troops from the South, which was practically under military occupation of the North for 15 years, the Democratic Party conceded the Presidential seat to the Republican candidate. This victory in seeming defeat of the Democratic Party meant a return to power of the descendants of the old slavocracy in the New South. While slavery was officially abolished in 1863, the freedmen were brought through terror of the Klu Klux Klan and through segregating and racist legislation to accept the status of second-class citizen.

The racist exclusion of Black Americans from mainstream society found its legitimacy in various academic disciplines in the New South. For example, Southern writers like Thomas Nelson Page celebrated the old plantation life and the brotherly reunion of the South and the North. Apart from sealing the historic reconciliation between the North and the South, Southern literature was written with one political aim in mind, to prevent the South from being "arraigned [for the second time in American history] at the bar of the world without an advocate and without defence," for reducing their Black nationals to a new slavery. (Page quoted in Donnaræ MacCann, 2001: 124) In terms

of historiography, the Post-Reconstruction period witnessed the birth of a revisionist school of American history, absolving the *ante-bellum* South from the sin of slavery now credited as a school for civilising Black slaves. I would argue that this accreditation of the American school of slavery was given credence by the works of Hegel. According to Elizabeth Flower and Murray G. Murphey (1977), *Hegel's Philosophy of the State and of History* appeared in an translated American version in 1887. This version represents some sort of philosophical primer by a St. Louis Hegelian whose name is George Sylvester Morris.

Hegel wrote that “the only essential connection that has existed and continued to exist between Negroes and the Europeans is slavery. [...] Slavery is itself a phase of advance from the merely isolated sensual existence – a phase of education – a mode of becoming participant in a higher morality and the culture connected with it.” (1971:98-99) Such claims by Hegel were all grist to the mill for the American school of slavery. Caught in the racist web of historical thought characteristic of their time, the white Progressives enlisted Hegel to exclude Black Americans from the various reforms—such as in housing, education, and health—on the pretext that they were historically and culturally retarded. It was against this racist historical background that DuBois wrote *The Souls of Black Folk*. The book comprises fourteen chapters in the form of essays, biographies, autobiographies and elegies in which DuBois seeks to debunk the myths of the Black man’s cultural inferiority by engaging in a dialectic re-reading/ re-writing of Hegel’s *Philosophy of History*, the philosophical source from which the American school of slavery and white Progressives drew their ideological ammunitions. Having followed his education for two years, from 1883 to 1884, in the University of Berlin, the very University at which Hegel taught before becoming its chancellor, DuBois like many of his white Progressives fellows, became extremely knowledgeable about Hegel’s philosophy. In this essay, I would contend that DuBois’s knowledge of the German master’s work was so profound that he managed not only to turn its major historical tenets upside down but also to refurbish and redeploy the Hegelian methodology and themes in support of the Black man’s full entry into mainstream society.

Before moving to the discussion of this redeployment, a few words about Hegel’s work are in order. Though *The Philosophy of History* is the one work of Hegel to be published posthumously by his son, it had

the most profound influence, for better or worse, on later philosophers, notably Karl Marx and Frederick Engels. These Marxist thinkers appreciated most the serious dimension that Hegel accorded to the notion of change and dialectic development throughout history. In the preface to the second edition of *Das Capital*, Marx called himself “a pupil of that might thinker,” and in recognition of Hegel’s importance to the Marxist thought, Engels wrote that “what distinguished Hegel’s mode of thinking was the exceptional historical sense underlying it.” (Quoted in Singer Pinter, 2001: 13) Many decades later, T. S. Eliot had the same praise for Hegel’s historical sense when he wrote his critical essay “Tradition and the Individual Talent.” (1932) We know that Left and Right Hegelians differed significantly in their retooling of the German master’s ideas. However, there is a relevant point to be drawn from their agreement about the importance of Hegel as both a historicist and cultural critic. This agreement among Hegelian thinkers across ideological boards rests on the basis of Hegel’s strong belief that world history has a meaning and that development in culture and history brings out a concomitant development of freedom. These are the two main Hegelian principles that DuBois made his own in writing *The Souls of Black Folk*.

History, for Hegel, is not that Shakespearean or rather Macbethian “tale told by an idiot, full of sound and fury, signifying nothing.” On the contrary, he lets us know that the world is not abandoned to chance and external contingent courses. Things happen with a purpose. Without completely doing away the religious or divine understanding of this purpose, Hegel claims that the meaning of history reveals itself most through our reflection on or philosophising about our past as human beings. This reflection indicates the direction history is taking and the destination it will ultimately reach. Hegel clearly states the direction and destination of human history by defining world or Universal History as “the exhibition of spirit in the process of working the knowledge of that which it is potentially.” (1991: 17-18) For him the essence of spirit or the mind is freedom. What distinguishes humankind from his natural environment is the capacity to activate that potential for freedom. Therefore, Hegel concludes by postulating that “The History of the world is none other than the progress of the consciousness of Freedom.” (Ibid, p.19)

On the basis of this postulate, Hegel distinguishes three different stages in the development of freedom. In stage one, only one man is

free and that is the oriental despot. In stage two, some people are free and some other others are not. This was the case in the Ancient Greek world. In stage three that corresponds to the modern era all people are free. The dialectical progress in freedom happens as a result of contact between what he calls "world historical peoples." For him, the "Negroes" in Africa have a degree zero of consciousness of freedom. So, he skips over Africa's role in history and moves on to the discussion of the oriental world. Even here, Hegel differentiates between Chinese and Indian cultures on the one hand, and Persian and Egyptian ones on the other. The former two "cultures" have no credentials of freedom whatever to show on the historical board in order to admit their peoples among world historical peoples. The Chinese "culture" organises the government and the state on the principle of the family, whereas the Indian one does so on the principle of castes. In both cases, the concept of individual freedom is missing. In the Chinese society, the Emperor stands in the position of father to whom all others owe natural obedience as children and wards of the state. In India, by contrast, people's occupations and behaviours are externally determined by caste.

Hegel comes to the conclusion that the birthplace of the consciousness of freedom has to be located elsewhere in the oriental world than in China and India. It is in Persia that he identifies the germ destined to flower into the idea of freedom. The basis of the Persian empire is not merely natural obedience to family and caste, but a higher principle derived from the religion of Zoroaster, which involves the worship of light. As an Enlightenment thinker, it is not surprising that Hegel makes much of this intellectual and spiritual principle by declaring the Persian culture and society as the first starting point in the growth of the consciousness of freedom. However, this potential of freedom could not be realised in Persia because of the despotic nature of its regime. Therefore, when the latter collapsed in its confrontation with the Greek city-states in Salamis in 480 B.C, the second stage in the dialectical development in the consciousness of freedom could at last start. As world historical peoples, the Greeks and the Romans expanded the limits of freedom before handing the torch to the Germanic people who inaugurated the third stage in the development of the consciousness of freedom with the Reformation.

Hegel sees "simplicity" and "heart" as the two main principles in the character of the German nation and people, which "predestined

them to be the bearers of the Christian principles, and to carry out the Idea as the Absolutely Rational aim.” (Ibid, p.354) In other words, if Reformation took root in the German world and not elsewhere, it is because its character provided a congenial ground for the growth of the ideas of that simple German monk, Martin Luther. One of these ideas is that people do not need the church or any outside authority to tell them how to interpret the scripture. Each individual human being has, in his/her own heart, a direct spiritual relationship with Christ. Hegel saw the Reformation as more than an “attack on the old Church and the replacement of Roman Catholicism by Protestantism.” (Singer, p.26) Its political and social consequences were also tremendous. It prompted German people on the path of striving for creating a world fit for spiritual beings, a democratic and rational world where all men feel at home at last because its laws are in harmony with their rational nature. Hegel does not state it explicitly, but the drift of his arguments suggests that the Germany of his time was representative of what an Ethical state based on freedom ought to be.

However, he also seems to admit a possible future development in the consciousness of freedom when he refers to America as “the land of the future, where in the ages that lie before us, the burden of the World’s History shall reveal itself.” (Hegel, p.86) Hegel devotes only five pages to America as another possible site or stage in the development of the Idea of freedom, because “What has taken place in the New World up to the present time is only an echo of the Old World – the expression of a foreign life.” (p. 87) Hegel adds that as land of the future, America “has no interest for us here [The Philosophy of History], for as regards History, our concern must be with that which has been and that which is.” (87) When Hegel made this claim, America was still in the infant stages of national existence. With The Declaration of Independence, The Articles of Confederation and The Constitution in mind, Hegel suggests that America was at that stage a civil society operating on a mere liberal and contractual basis. As long as the safety-valve of the Frontier was open, he prophesied, a loose liberal government would be enough and the necessity for a firm combination would not be felt. In anticipation of the historical development of America in the late nineteenth century, he wrote the following:

A real State [meaning an Ethical and rational state that goes beyond the principles of liberalism] arises only after a

distinction of classes has arisen, when wealth and poverty become extreme, and when such a condition of things presents itself that a large proportion of the people can no longer satisfy its necessities in the way in which it has been accustomed so to do. But America is hitherto exempt from this pressure, for it has the outlet of colonization constantly and widely open, and multitudes are continually streaming into the plains of the Mississippi. (pp.85-86)

What Hegel says about world history in general and America in particular could have hardly failed to resound strongly in the ears of the Progressives at the end of the nineteenth century. This was particularly true for DuBois in *The Souls of Black Folk*.

DuBois echoes Hegel's historicist ideas throughout his work, but he makes them more vibrant in the first three chapters ("Of our Spiritual Strivings," "Of the Dawn of Freedom," and "Of Mr Booker T. Washington") than the other eleven chapters of the book. The first chapter establishes the African American people as a world historical people. The author starts with autobiographical details related to his first experience of racism as a schoolchild in New England and his response to that experience in negative as well as positive forms, but soon the elements of personal life are enlarged to include all African Americans in a broader world historical framework. In a poetic flight reminiscent of Hegel in *The Philosophy of History*, he tells the reader that

After the Egyptian and Indian, the Greek and Roman, the Teuton and Mongolian, the Negro is a sort of seventh son, born with a veil, and gifted with second-sight in this American world, -- a world which yields him no true self-consciousness, but only lets him see himself through the revelation of the other world. It is a peculiar sensation, this double consciousness, this sense of always looking through the eyes of others, of measuring one's soul by the tape of a world that looks on in amused contempt and pity. One ever feels his twoness – an American, a Negro; two souls, two thoughts, two unreconciled strivings; two warring ideals in one dark body, whose dogged strength alone keeps it from being torn asunder. (p.215)

The sequential alignment in the quote makes it clear that DuBois takes Hegel's word for it. For Hegel as well as for DuBois America is the land of the future. But swerving from the former the latter affirms that

because of historical circumstances it is the Negro who was destined to take over the world historical role for expanding the consciousness of freedom further in the land of the future.

A return to Hegel's text is necessary to grasp the full meaning of DuBois's reversal of the march of world history. Hegel dismisses Africa as being unworthy of consideration in a study of history like his. The main reason for this dismissal is that "It is the "land of childhood, which lying beyond the day of self-conscious history, is enveloped in the dark mantle of Night." (Ibid, p. 91) To exclude Africa from the scene of world history, Hegel appealed to the ethnographic writings of his time for evidence. The worship of fetishes, the weakness of character and moral sentiments (e.g., parents selling their children to slavery), and the absence of government are some of the elements from ethnography that Hegel holds against "Negroes" in his declaration that freedom in the sense of self-consciousness is totally unknown to them. DuBois makes a clean sweep of these racial prejudices first by investing the term "Negro" with a positive sense and then making him the potential carrier of that future human project that Hegel set in America. The author's qualification of the Negro as "the seventh son" of the human family is meant to add force to the Negro's destiny to lead history in the direction of an expanded freedom. African American tradition invests "the seventh son born with a veil" with visionary powers. "The last will be the first," says the Bible, and DuBois prophesies the same for the Negro when he reviews the progress of world history.

DuBois's reversal of the Hegelian schema for the dialectical development of history seems to rest on some ambiguities in Hegel's historical text that recent critics like Caroline Rooney have detected. For example, the latter affirms that there are many ambiguous elements in Hegel's statements about Africa and the Negro which suggest that for him the cultural Other for the West is not Africa but the Orient. (Rooney, 2000: 162) DuBois seems to have exploited the German master's ambiguities, contradictions and other textual weaknesses to weave out his own version of world history. For instance, one sees no striking difference in Hegel's qualification of Africa as a "land of childhood" and America as "the land of the future". Moreover, the cultural contradictions that he detects in the two regions are more or less similar. They are even more striking in the case of the latter. Though he affirms that America is "the land of the future," he nips the idea in the bud when he makes America look

as an imitation of old Europe, and particularly Britain. The implication is easy to draw for DuBois particularly in the context of the materialist America of his period. Throughout the book, DuBois reminds us of the seamy sides of American materialism while pointing to the spiritual dimension of Black American life even when lived within the “veil” or what Hegel calls the “mantle of darkness.”

This is one of the ironic variations that DuBois plays on Hegel’s conception of the progress of world history. Hegel believes that slavery is unjust and indefensible in civilised societies, except for the Negro for whom slavery is a school of freedom. The European or rather American enslavement of the Negro constitutes the ideal way of bringing him into world history. The irony in DuBois’s text is that it is the Negro, the man unjustly declared to be outside history, who has the spiritual wherewithal to make Americans, regardless of their race, enter world history. DuBois reverses the direction of the progress of world history as laid down by Hegel. It is the Negro (the term is appropriated by DuBois in its positive sense) who is regarded as the culminating point of world history. The Negro as portrayed by DuBois represents the Hegelian dialectic man *par excellence*. It is worth observing here that apart from the sociological interpretation, the Hegelian dialectic of the slave and the master has received a socio-psychological interpretation which makes the struggle of the bondsman with the master as an internal dialectic that influences and is influenced by the social dialectic outside. According to Hegel, the ego is “we”, i.e., a plurality of Ego, just as “we” is a single ego. The following interpretation of Hegel’s dialectic by George Armstrong Kelly captures the complexity of DuBois’s Double Consciousness as an operational concept for self-definition:

Lordship and bondage is properly seen from three angles that are equally valid and interpenetrable. One of these angles is necessarily the social, of which Kojève has given such a dazzling reading. Another regards the shifting pattern of psychological domination and servitude within the individual. The third then becomes a fusion of the other two processes: the interior consequences wrought by the external confrontation of the Self and the Other, the Other and the Self, which has commenced in the struggle for recognition. (Kelly George Armstrong, 1993:165)

I would argue that Armstrong's triangular vision of Hegel's dialectic, and particularly the third angle, highlights DuBois's double consciousness as a fusion, a synthesis of social/historical and psychological processes.

DuBois represents the Negro as a man who has traversed the fourth stage of the Hegelian journey towards self-consciousness: stoicism, scepticism, introspection and transcendence of negative urges. The last stage for Hegel is reached once the "self sees itself in the other." It is probably what DuBois means when he refers to that "peculiar sensation of seeing oneself through the ideas of the other." (p.215) DuBois takes care to underline that "the history of the American Negro is the history of this strife – this longing to attain self-conscious manhood, to merge his double self into a better and truer self." Therefore, while Bruce D. Dickson (1999) and Arnold Rampersad (1999) are arguably right to claim that DuBois borrows the concept of "double consciousness" from literary and medical sources (European Romanticism, American transcendentalism and nineteenth-century medical literature related to cases of split personality), they seem to be mistaken in relating the synthesis that DuBois made between the two-halves of personality to guidelines from William James, DuBois's tutor of philosophy at Harvard University. As the following message to his brother the famous novelist Henry James indicates, William James himself seems to have been surprised at DuBois's pulling together of two dissociated selves into a harmonious entity: "I am sending you a decidedly moving book by a mulatto ex-student of mine, DuBois, professor of history at Atlanta (Georgia) Negro college. Read Chapters VII to XI for local color, etc.(June 6, 1903)." (Quoted in Louis Jr and Hume, 227) William James was too much involved in the medical literature of his time to be able to provide his ex-student with any guidance on how to reconcile a racially divided self. Moreover, knowing William James's strong objection to Hegel's dialectic method, one wonders how he could have raised in his writings suggestions of this kind to DuBois. (Richard, 29-38 and William, 43-62). Therefore, if one has to look into the source of inspiration behind DuBois's synthesis, it is not in James's pragmatic philosophy that one can find it but in Hegel's idealist philosophy.

For DuBois the Negro is not a negative starting point, ground zero, as Hegel may call it, but the end point of Western history in its contact with Africa. The African slave becomes a Negro on the American soil, a Negro who takes consciousness of himself and stands in an

antithetical position to the one that Hegel portrays in *The Philosophy of World History*. The Negro, as DuBois portrays him, is “gifted with second-sight in this American world.” He is not a mere biological entity, but a man with a spiritual message, an Idea to transmit to human kind. Without going into detail, DuBois locates the original source of the Negro’s spirituality to that African part of the world, which Hegel had excluded from world history. DuBois tells us that African priests catered to the spiritual needs of their folks in the African forests. Like other Africans, these African priests were reduced to slavery. However, they never ceased to provide a spiritual direction for their people even in the house of bondage. Christianity shaped them, but they also shaped it by creating Churches built on African forms of worship.

The “Negro” in DuBois’s sense of the word has both a singular and generic meaning. In its generic sense, it stands for the black race. Indeed, the end of the nineteenth and the beginning of the twentieth centuries were marked by a resurgence of theories about race. If DuBois uses the term race to speak about the Negro, he often uses it not in its biological and anthropological sense, but as a socio-historical notion. For him, what matters most are not the “grosser physical differences of color, hair and bone” of the Negro, but the “differences –subtle, delicate and elusive, though they may be –which have silently but definitely separated men into groups.” (Ibid, p.816) Following Hegel, DuBois claims that the “history of the world is the history not of individuals, but of groups, not of nations, but of race.” (Ibid, 817) Accordingly, he distinguishes “eight distinctively differentiated races, in the sense in which History tells us the word must be used.” (Ibid, p.817) He names them as follows: the Slavs, the Teutons, the English, the Negroes, the Romance race, the Semites, the Hindus and the Mongolians.

There is no need here to discuss the basis on which DuBois has differentiated between the races. The interest is rather in his statement that each of the various races is “striving [...] in its own way, to develop for civilization its particular message, its particular ideal, which shall help to guide the world nearer and nearer that perfection of human life for which we all long, that “one far off Divine event” (Ibid, 819). It has to be observed that, for Hegel, the history of mankind is the history of the spirit. The spirit realises itself in history through particular racial groups. For him, world history seems to have reached its consummation or end in his own times, i.e., modern

Germany. Dubois's *The Souls of Black Folk* opens with a chapter (Of Our Spiritual Strivings) with the rejection of this Hegelian contention that history has completed its testing of human groups, and it closes with the denunciation of human arrogance in its announcement of the end of history. While DuBois accepts the Hegelian notion of spirit as a clearly definable measure of human advancement and backwardness, he castigates

...the silently growing assumption of this age[...] that the probation of races is past, and that the backward races of today are of proven inefficiency and not worth the saving. Such an assumption is the arrogance of peoples irreverent toward Time and the deeds of men." (p.386)

In the previous quote DuBois comes back to the idea of the historical necessity for the conservation of races to which the Anglo-Saxon school of history like Josiah Strong were firmly opposed. The latter advocated the dispossession, assimilation and molding of the so-called weaker races as a primary condition for the success of any reform movement. (Strong Josiah, 1885) To the Anglo-Saxon historians, who were sceptical of the efficiency (This is one of the favourite terms for the Progressives.) and necessity for saving the black race for the progress of civilisation, DuBois resorts to a contrapuntal reading of Anglo-Saxon history:

A thousand years ago such an assumption, easily possible would have made it difficult for the Teuton to prove the right to life. Two thousand years ago such dogmatism, readily welcome, would have scouted the idea of blond races ever leading civilization. So woefully unorganised is sociological knowledge that the meaning of progress of "swift" and "slow" in human doing, and the limits of human perfectibility are veiled, unanswered sphinxes on the shores of science.

The finale of Dubois's argument is that like other races, the Negro race must be given an opportunity to perform on the stage of American history and that of the world invoking historical precedence of the Blacks to the American land and evidence of economic and spiritual of their contributions to American civilisation:

Your country ? How came it yours? Before the Pilgrims landed we were here. Here we have brought our three gifts and mingled them with yours: a gift of story and song [...]; the gift of sweat and brawn to beat back the wilderness, conquer the

soil and lay the foundations of this vast economic empire [...]; the third, a "gift of the Spirit." Around us the history of the land has centred for thrice a hundred years; out of the nation's heart we have called all that was best to throttle and subdue all that was worst [...] Nor has our gift of the Spirit been merely passive. Actively we have woven ourselves with the warp and woof of this nation. [...] Are not these gifts worth the giving? Is not this work and striving? Would America have been America without her Negro people? (p.387)

The problem for the Negro, as DuBois sees it, is to discover and deliver the message of his/her race. It is a problem because "the full, complete Negro message of the whole Negro race has not yet been given to the world." In *The Souls of Black Folk*, DuBois gives some indications as to the nature of this message. To the question as to how the message will be developed, DuBois answers that it will be done by the "development of these race groups, not as individuals, but as races"; races understood in socio-cultural rather than in biological terms. At a time when nineteenth and early twentieth centuries America had officially adopted the Zangwillian idea of melting pot, DuBois advocates a "cultural pluralism" under the guise of race. (Cf. O'Callaghan, 2007) He affirms that the destiny of the Negroes is not assimilation of "servile imitation of Anglo-Saxon culture, but a stalwart originality which shall unswervingly follow Negro ideals." He also writes that "in this merging [the Negro] wishes neither of the older selves to be lost. He would not Africanise America, for America has too much to teach the world and Africa. He would not bleach his Negro soul in a flood of white Americanism, for he knows that Negro blood has a message for the world". (p.215)

As a historicist, DuBois does not confine himself by setting the history of the American Negro within the context of the grand narrative that Hegel calls world history. He also reflects on short periods of Negro history like the Civil War and the Reconstruction. For example, in the second part of the first chapter (Of Our Spiritual Strivings) and the second chapter "Of the Dawn of Freedom", he considers the Hegelian journey of the Negro toward self-consciousness over a period of forty years that changed the Negro all the way "from the child of emancipation to the youth of dawning consciousness" (p. 218) characterised by the quest for the ballot and political power during the Reconstruction. The next stage of growth

was marked by the race's adolescent desire for book-learning especially during the Post-Reconstruction period which climaxes with the Black man's coming to age as "a co-worker in the kingdom of culture." As one of the co-workers in the kingdom of culture, DuBois emerges basically as both a historicist and a cultural critic and theorist. In conclusion, we can say that DuBois's *The Souls of Black Folk* anticipates Frantz Fanon's *Black Skin White Mask* in its redeployment of Hegelian themes and methodology in defence of a racially non-exclusive humanity and humanism.

References

Daniels John, "Review of Souls," in Henry Louis Gates Jr and Terry Hume Oliver, Eds. *The Souls of Black Folk: Authoritative Text, Contexts, Criticism*, New York: Norton, 1999.

Dickson D. Bruce Jr, "W. E. B. DuBois and the Idea of Double Consciousness," in Henry Louis Gates Jr and Terri Hume Oliver, Eds. *The Souls of Black Folk: Authoritative Text, Contexts, Criticism*, New York: Norton, 1999.

DuBois E.B. William (1903), *The Souls of Black Folk*, in *Three Negro Classics*, New York: Avon, 1973.

_____ (1897), "The Conservation of Races," in *DuBois Writings*, New York: The Library of America, 1986.

Eliot T.S., "Tradition and the Individual Talent," in *Critical Essays*, London: Faber and Faber, 1932.

Fanon Frantz (1952), *Black Skin, White Masks*, Trans.Charles Lam Markmann, New York: Grove Press, 1967.

Flower Elizabeth and Murray G.Murphey, *A History of Philosophy in America*, Vol.2, Washington D.C: Library Congress, 1977. Other studies which document the influence of German philosophy, particularly that of Hegel on American socio-political thought include the following classics, Henry A. Pochmann, *German Culture in America 1600-1900: Philosophical and Literary Influences*, Madison, Wisconsin: Wisconsin University Press, 1961; Harvey G. Townsend, *Philosophical Ideas in the United States*, New York: American Book Co,1934; Charles M Perry, *The St Louis Movement in Philosophy*, Norman, Okl: University of Oklahoma Press, 1930; William H. Goetzmann, ed., *The American Hegelians: An Intellectual Episode in the History of Western America*, New York: Alfred A. Knopf, 1973; Lloyd D. Easton, *Hegel's First American Followers: The Ohio Hegelians*, Athens, Ohio: Ohio University Press,1966. The interest in Hegels' writings in America led to the foundation of the Hegelian Society in the 1950s.

Franklin John Hope and Alfred A. Moss, Jr (1947), *From Slavery to Freedom*, New York: Alfred A.Knopf, 1988.

Gale Robert M., *The Divided Self of William James*, Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

Gilroy Paul, *The Black Atlantic: Modernity and Double Consciousness*, London: Verso, 1993.

Hegel G. W. Frederick (1807), *Phenomenology of Spirit*, Trans. A.V.Miller, Oxford: Oxford University Press, 1977.

_____ (1831), *The Philosophy of History*, Trans. J. Sibree, Amherst, N.Y.: Prometheus Books, 1991.

Inge Thomas Ed., *A Nineteenth-Century American Reader*, Washington, D. C.: USIA, 1993.

James William, "Praise for Souls," in Henry Louis Gates Jr and Terri Hume Oliver, Eds. *The Souls of Black Folk: Authoritative Text, Contexts, Criticism*, New York: Norton, 1999.

James William (1892), "Hegel and his Method," in *The Works of William James*, Frederick Burkhardt and Fred Bowers, Cambridge: Harvard University Press, 1977.

Kelly George Armstrong, "Notes on Hegel's Lordship and Bondage," in Stern Robert, Ed. *G.W.F Hegel: Critical Assessments*, London: Routledge, 1993

King David C, Mariah Marvin and David Weitzman, *et al*, *United States History*, Reading: Massachusetts: Addison Wesley Publishers, 1986.

Lane Jack and Maurice O'Sullivan, ed., *A Twentieth-Century American Reader*, Washington D. C.: USIA

Pinkard Terry, *Hegel's Phenomenology: The Sociality of Reason*, Cambridge: Cambridge University Press, 1994.

Rampersad Arnold, "Slavery and the Literary Imagination: DuBois's The Souls of Black Folk," in Henry Louis Gates Jr and Terri Hume Oliver, Eds. *The Souls of Black Folk Authoritative Text, Contexts, Criticism*, New York: Norton, 1999.

McGeeham and Morris Gall (1990), *U.S. History and Government*, New York: Barron's, 1995.

O'Callaghan Bryn (1990), *An Illustrated History of the USA*, London: Longman, 2007.

Rooney Caroline, *African Literature, Animism and Politics*, London: Routledge, 2000.

Singer Peter, *Hegel: A Very Short Introduction*, Oxford: Oxford University Press, 2001.

Schafer Axel R, "W.E.B. DuBois, German Social Thought, and the Racial Divide in American Progressivism, 1892-1909," in *The Journal of American History*, Vol.88, N° 3, December 2001.

Strong Josiah (1885), "Our Country: Its Possible Future and its Present Crisis," in Inge Thomas Ed. *A Nineteenth-Century American Reader*, Washington, D. C.: USIA, 1993.

Sundquist Eric, "Swing Slow: The Souls of Black Folk," in Henry Louis Gates Jr and Terri Hume Oliver, Eds. *The Souls of Black Folk: Authoritative Text, Contexts, Criticism*, New York: Norton, 1999.

Williamson Joel, *The Crucible of Race: Black-White Relations in the American South since Emancipation*, New York: Oxford: Oxford University Press, 1984.

Wood W. Allen, *Hegel's Ethical Thought*, London: Routledge, 1990.

Zamir Shamoan, Ed. *The Cambridge Companion to W.E.B. DuBois*, London: Cambridge, 2008.

**Beyond Monodisciplinarity
and Towards an Integrative
Framework for the
Teaching of “Literature”
and “Civilisation”**

**Prof. Miloud BARKAOUI
LECUCRA Research
Laboratory
Department of English,
Badji Mokhtar University-
Annaba**

Abstract

The proposed paper probes into the practical ways in which the two subjects of study, hitherto taught as wholly independent modules each contained within rigid boundaries, could be rendered interdependent under the LMD system. It establishes that “Literature” and “Civilization” are more rewarding for both student and teacher when taught within a fully integrated framework, involving scrutiny of matters from different perspectives, by gauging distinction, comparison, and contrast in order to attain clarification, reconciliation, and synthesis. The proposed integrative approach renders the text the object around which convergence between the two options is formed.

Despite the evident distinctions between “literature” and “civilisation” as completely autonomous “administrative” units in the English curriculum, the symbiosis between them has become unavoidable in Algerian academia, especially with the onset of the LMD system whose workability rests on integrative teaching. The proposed paper probes into the practical ways in which the two subjects of study, hitherto taught as wholly independent modules each contained within rigid boundaries, could be rendered interdependent. Literature and civilisation are more rewarding for both student and teacher when taught within a fully

Résumé

L'objectif de cette contribution est de fournir des éléments pratiques avec une optique interdisciplinaire à travers laquelle les modules de « civilisation » et de « littérature » du cursus de licence d'anglais dans le système LMD sont intégrés. Par le biais du texte, l'interaction de ces deux unités aide l'enseignant à localiser l'épistémologie commune de convergence et encourage chez l'apprenant l'esprit à contextualiser et à globaliser.

integrated framework, involving scrutiny of matters from different perspectives, by gauging distinction, comparison, and contrast to attain clarification, reconciliation, and synthesis. Maintaining the traditional monodisciplinary constraints, has detrimental pedagogical consequences as it entails the exposure of the learner to only a one-dimensional knowledge of either subject. Interdisciplinary approach, on the other hand, helps the teacher to find the needed unity and synthesis, and to locate the “common epistemology of convergence” between literature and civilisation within a unifying framework that encourages integration of thought, freedom of investigation, and drive for individual initiatives. In all this, the text becomes the object around which convergence between the two options is formed.

The new reality now in the making in Algerian academia renders both the integrative approach and interdisciplinary programs indispensable. This restructuring both extends and expands the existing programmes, consequently entailing a rethinking of the boundaries hitherto erected between disciplines. In the English departments, the teaching of civilisation and literature as separate and fragmented divisions has therefore become quite anachronistic. More than ever before, the integrative approach is imposing itself as the academic guarantor of mutuality, interaction, and enrichment amongst disciplines. I try in the present contribution to put forward some premises whereby the two options can be integrated within the projected American Studies unit.

Interdisciplinarity provides the mechanism whereby the two categories are not only brought together for thematic and linguistic convenience, but are also propelled into convergence around a new entity which is the text. Roland Barthes’ views on interdisciplinarity are quite pertinent to such a contention:

Interdisciplinary studies...do not merely confront already constituted disciplines.... In order to do interdisciplinary work, it is not enough to take a subject (a theme) and to arrange two or three sciences around it. Interdisciplinary study consists in creating a new object, which belongs to no one. The Text is, I believe, such object (Barthes 72).

Interdisciplinarity, with its synergic qualities, has in fact traditionally appealed to academics and researchers who celebrate a kind of intellectuality that promotes pluralism in knowledge and who are opposed to disciplinary limitation and overspecialization. This is not only because of the ability of interdisciplinarity to render possible

the achievement of “unity and synthesis,” but also because of a set of other purposes: to provide answers to intricate questions that no single discipline can explain, to present broad perspectives to specific matters, to establish parallels between different disciplines and professions, and to offer solutions to complex problems that no single discipline can solve. The American Studies teacher and researcher can only be drawn towards the interdisciplinary framework. Indeed, American Studies can be considered synonymous with interdisciplinarity; it crosses rigid disciplinary boundaries to connect—through the text—a wide range of areas that can be regarded as natural or potential allies. Such areas include history, anthropology, sociology, philosophy, politics, geography, psychology, visual culture, economics, literature, literary theory, and textual criticism.

Since exhaustiveness in a work of this space and time limitation is beyond reach, this study has opted for selectiveness in outlining the interdisciplinary possibilities by highlighting the themes in literature, history and politics which have proven most salient where the two modules could be rendered complementary (merged or intermingled) away from the confining nature of specialized units and beyond any established canons. This is while bearing in mind the significance of intertextuality in the production of the literary text which considers the literary product more a result of interaction and dialogue with other texts than an act of genius by its author.

Without being a manifesto for the contention that the literary text remains valueless unless it mirrors the contextual, cultural circumstances behind its creation, the paper sustains quite unequivocally the premise that civilisation and literature pay more dividend for the teacher / student when taught as a fully integrated entity and freed from the traditional rigid dogma of “disciplinary” identity.

Undeniably, the intellectual climate (i.e. trends in sociology, psychology, philosophy, theology, science, and technology)—perhaps more than the socio-economic and political realities—do a good deal to enrich the literary imagination of a nation. This idea is voiced quite eloquently by Matthew Arnold when he argues that “the grand work of literary genius is a work of synthesis” and that “its gift lies in the faculty of being happily inspired by a certain intellectual... atmosphere, by a certain order of ideas” (Arnold 22).¹ To synthesize is indeed to harmonize socio-economic, political, and cultural

circumstances with the literary product. Interestingly enough, synthesis can also be the task which the teacher of American Studies is expected to undertake in order to secure harmony between these hitherto separated disciplines. Selection of the appropriate text represents the first step in any synthesizing endeavour.

I

American Literature is quite unique in being endowed with the quality of being vitally linked to the issue of national identity. American writers were expected to meet the challenge of producing a literature that was totally independent from colonial antecedents. A national literature would therefore effectively contribute to the boosting of the aspiration for independence from the British Crown and nurture the longing for intellectual self-sufficiency.²

The first authentically *American* literary documents are in fact believed to be Captain John Smith's reports of New-World explorations and settlements which appeared in 1607. These reports were to do a good deal to motivate the influx of Puritan "pilgrims" who swarmed towards the newly discovered continent with a confident forecast of assured self-fulfillment.³

Smith's reports perhaps stand as evidence that literature represents a force which often contributes to the overall shaping of the civilisation of a nation. The reverse of this—i.e. where literature is itself shaped by contextual circumstances—can be clearly seen in Ann Bradstreet's poems and in William Bradford's writings. Style, which is expected to be an internal quality in the literary text, can also at times be dictated by the general socio-cultural reality. In these two writers' works, style is visibly marked by the conception of simplicity advocated by the Puritan outlook. Bradford, for example, advised neophytes in the craft of writing to avoid "silken language" and instead resort to "admirable plainesse." He declared that he would write the history of the Plymouth Plantation in "a plain style, with singular regard unto the simple truth in all things" (Mc. Michael 10).

II

The first seeds of American democratic thought were harnessed by the ideas of some universal theorists, thinkers, and philosophers such as the Englishman John Locke through his "social contract theory" and the Frenchman Baron Montesquieu through his doctrine of

“separation of power” together with the schemes of “checks and balances” devised by John Adams and others.⁴ All this offered the American independence movement the intellectual capital to challenge the British Monarchy's legitimacy to continue to govern the American colonies and to make a serious bid for independence towards the creation of a new sovereign republic.

Equally important was the role played by the pamphleteer Thomas Paine whose *The Rights of Man* did a good deal to awaken American political consciousness towards the ultimate goal of American independence. Through this, he launched a scathing attack on the British monarchical system of government by exposing its drawbacks especially by attacking the principle of hereditary rule.⁵

Ralph Waldo Emerson also articulated the notion of democracy but in a slightly different way. In his *Essay on Politics*, he insists on the concept of “good-will” in politics which he sees as a prerequisite for the establishment of a workable and egalitarian system of government: “governments have their origins in the moral identity of man.” Taking his defence of democracy farther, he opines that “good-will” gives governments a “moral identity” and “separates the individual from all party, and unites him at the same time to the race.”

III

Historical speculation, such as the concept of “Manifest Destiny,” constituted a vision for the future which the Puritans helped to establish as one of the major political precepts that would eventually largely shape American thought. Such concept is closely linked to what has been branded as the “American Dream.” The teacher of American Studies is to take notice of the fact that understanding concepts of this kind certainly helps in the general endeavour to comprehend the fabric of the “laissez-faire” doctrine.⁶

This doctrine, upon which the capitalist system has been built, has marked America's national existence from its very beginnings. A widespread tendency to celebrate this precept would henceforth gain momentum with scores of writers praising the go-ahead spirit and the “rags-to-riches” pattern. Benjamin Franklin's *Autobiography* amply illustrates this in its idealization of the self-made man who apotheosizes the American dream of upward mobility. This wave was to be strongly sensed in the wake of the Civil War with the rise of what was to be branded as the “Gilded Age,” and the large-scale rapid

transformations it provoked in the American way of life. And this can be caught in Carnegie's flamboyant statement "... the old nations of the earth creep on at a snail's pace; the Republic thunders past with the rush of an express" (qtd. in Arnold 201).

But, capitalism has also been appraised differently. Henry David Thoreau exposed other facets of this system offering an alternative to Adam Smith's "supply and demand" theory; it is also a severe indictment of the economics of materialism which, to him, thwart man's aspiration towards liberty.⁷

Mark Twain, who himself coined the phrase "Gilded Age," wrote in collaboration with Charles Dudley Warner a novel bearing the same title to satirize the process of get-rich-quick and reveal the political corruption of the Grant Administration. Upton Sinclair's *The Jungle* drew its substance from the hardships inflicted upon the immigrant employees and their families to provide graphic descriptions of what he sees as "the home of oppression and injustice, a nightmare of misery, an inferno of suffering, a human hell, a jungle of wild beasts ..." (Downs 349). And, in turn, once published, it itself served as a piece of evidence to incriminate the unscrupulous meat packers and to strengthen the hands of the Roosevelt Administration in its anti-Trust campaign, namely to push Congress to pass the famous Pure Food and Drug Act and the Beef Inspection Act which would revolutionize socio-economic legislation in not more than six months after the appearance of the novel (Hill 164).

Other writers chose to turn towards the writing of utopias in order to invert the situations in which they lived. Edward Bellamy's *Looking Backward: 2000-1887* is a utopian novel whose hero goes to sleep for more than a century. He wakes up in the year 2000 to find the city of Boston an agreeable place, purified of all blemishes which used to plague it in the past. This novel expresses the dissatisfaction of many Americans with the hard conditions of labour, the stifling grip of monopoly, and the widespread political corruption. The influence of this work went far beyond the immediate appreciation of professional readership. It in fact played a major role in the formation of nationalist clubs in the 1890's and ultimately in the rise of the politically influential "Populist Party." Bellamy continued to represent a major force in the reformist movement. His *Equality* (1897) helped to foster "an attitude towards social change" which would inspire politicians

well into the twentieth century (Winson 41). The Franklin Roosevelt Administration and its “New Deal” programme was no exception.

The capitalist order has in fact continued to be omnipresent in American thought inspiring countless literary figures to look into man’s immediate moral and socio-economic preoccupations. Arthur Miller’s *Death of a Salesman* (1949) is a direct comment on how capitalism damages the nucleus of human relationships and stands at the origin of intense human tragedies.

IV

The “Pilgrims’ progress” and Westward expansion are vitally linked to the themes of Democracy and Capitalism. The ambitious believers in the pursuit of happiness embarked upon a conquest of new lands in order to secure better chances for self-realization. Whilst endeavouring to keep away from the now exhausted old world and to fulfil a life of promising potentialities in the new world, the pioneers—in their march westward—inflicted pernicious damages, namely the extermination and expropriation of the Indian population and the irrational exploitation of the nation’s natural bounty.

The “frontier *motif*,” which represents a significant driving force behind a large part of American literature, has developed to become almost a metaphor in the nation’s culture. James Fenimore Cooper in his *The Pioneers* and *The Last of the Mohicans* exposes the ugly side of the westward expansion. Highlighting the purely economic motives behind such movement, he pinpoints its social and moral consequences on the indigenous community.

The other aspect of the opening of the frontier lies in the aggravation of the plight of the farmer. The influx of the newly invented machinery boosted the pace of agricultural production almost to uncontrollable levels. And what was meant to be a blessing for the farmers turned out to be a curse, driving scores of them to bankruptcy as a result of the colossal surplus of goods that the market could not absorb. Hamlin Garland addressed himself to the plight of the farmers and to what he once called the “mystic quality connected with free land” which “has always allured men into the west”; this, to him, was no more than “a myth” (Holloway 33). *Main Travelled Roads* emanates from this very context where the farmer is shown as a victim of huge debts which he could never pay off, and as helpless in the face of wild changes.

V

Wild changes also characterized antebellum American reality where the peculiar institution of slavery collided head-on with the rising spirit of White democracy; and where the feudal system, on which the plantation economy rested, came to jeopardize the very basics of the democratic spirit upon which the American republic had been built.

Southern planters ardently defended the plantation system and with it the institution of human bondage which was highly rentalised by "King Cotton." To them, the fall of this system would sharpen competition in the labour market, rendering labourers no more than "wage-slaves." This view in fact became a major premise widely cherished by the proponents of slavery such as Gordon Bennett whose *New York Herald* went to great lengths in juxtaposing life in the slave quarters with that in the English slums of industrial cities like Liverpool. To him, balance was easily tilted towards American slavery:

The slave lived like a prince. He had his cabin, neat, clean, and weather-proof: he had his own garden patch, over which he was lord paramount; he was well-fed, well-lodged, well-clothed, and rarely overworked; sleek, happy contented, enjoying his many holidays with gusto, he lived to a great age (qtd. in Parrington 104-5).

This argument served as the intellectual capital of a long wave of pro-slavery literary works. The most illustrative example is perhaps William J. Grayson's "The Hireling and the Slave." It offers a portrayal of the life of the wage-slave confronted with a hostile environment. Its second part draws a magnificently picturesque image of the life of the "bond-slave" by demonstrating the easy-going type of country life. He then turns to Harriet Beecher Stowe on whom he launches a scathing attack branding her as "a moral scavenger" who "snuffs up pollution with a pious air" (qtd. in Parrington 105).

Grayson's attitude was prompted by the threat of the abolitionist movement which he saw as being voiced through publications like Stowe's *Uncle Tom's Cabin*. Drawing a good deal from the slave narratives such as Frederick Douglas's *Autobiography*, Stowe's novel hammered into the minds of skeptics the bitter reality of human bondage, offering insights into the day-to-day suffering of the bondsmen and their aspiration to be free. This aspiration is given voice in the different slave cultural forms which were mostly a mixture of European and African cultural norms (Holloway 22).

Songs and folk-tales, which denounced slavery and made folk heroes of the rebellious slaves, were part of their multi-faceted resistance to the “Peculiar Institution.” The praise chanted by the Louisiana slaves for their folk hero St. Mala, who rebelled against his master, is an illuminating case in point (Blassingame 52). By shouting, singing, and preaching, the slaves expressed their despair and discontent with the institution that was behind their dehumanization, showing unequivocal desire for freedom contrary to the “Sambo” propaganda promulgated by the slavocratic oligarchy. Stopping short of overtly attacking Slavery, the folk singers intelligently and subtlety denounced the *status quo*.

This type of Afro-American literature, which can be branded as that of social and moral protest, was to be carried beyond the age of Slavery and well into the twentieth century; it has become almost a manifesto for the Community’s disenchantment with the excesses of the white-dominated Establishment and as a cry against black invisibility.

The teacher of American Studies certainly finds ample material to explore with his/her students in addressing himself to the theme of Afro-American protest be it political or literary. The Harlem Renaissance era heralded an Afro-American cultural flowering especially with the formation of a non-white audience, stimulating writers of that era and of the later decades to protest against their fellow men’s socio-economic and political marginalization. Margaret Walker’s poem “For My People” (1937) and Ralph Ellison’s novel *Invisible Man* (1952) perhaps epitomize both the Afro-Americans’ new literary spirit and their wide political awakening which can easily be integrated in the same American Studies course.

VI

The post-World War II era, which witnessed a rather unprecedented surge of American interventionism and of American adherence to military alliances, also stimulated an impressive proliferation of the socio-political war novels. Such novels were by and large conceived as microcosms or miniature versions of American society where the military institution epitomizes supremacy; where the domineering army commander is perceived as the oppressor; and where the soldier—who is brave enough to face up to these

paradoxes—deserves the status of a “hero.” The struggle, which is inherent within the structure of the American military institution, is portrayed as one between the administrative apparatus and the individual rather than as between the American army and the enemy.

More often than not, the war novel advances the conviction that the oppressive quality of the military institution does not apply only to exceptional cases like war. It in fact goes beyond such cases to envelop the whole fabric of American life. War novelists like Ned Calmer highlight this idea by drawing an analogy between the military institution and the business institution. In his *The Strange Land* (1950), he pictures a group of American generals sitting comfortably away from the front and giving orders to helpless soldiers from a safe distance. One of the characters likens the situation to that of a “board of directors meeting” and he exclaims: “How much the whole war run like a vast corporate enterprise by groups of men like these sitting in comfortably warm rooms after hearty meals...!” (133).

Other war novelists even go as far as expressing their fear of the real dangers which were believed to come from within the American system rather than from without. Norman Mailer in his *The Naked and the Dead* (1951), attributes the qualities of tyranny, cruelty, and lack of sensibility to the General whose expression “was very close to the complacent and hard appearance of any number of American senators and businessmen” (36).

Disillusionment and loss of faith in the American democratic ideal also quite visibly mark the war novel. The attitude of hearty patriotism proves to have failed to grasp the motives of the soldier who tends to defy the U.S. military institution by shunning away from the war front. This attitude is mainly the outcome of the waning belief in the chivalric brotherhood which is traditionally believed to be an essence of the combat spirit. It is also the outcome of the growing conviction that the individual is evaluated only according to what he achieves in the name of his country. This is amply illustrated in Joseph Heller's *Catch 22* (1961) where the major protagonist—a bombardier soldier—seeks circuitous means to evade combat.

Literature written in protest against war is not limited to the novel as a genre. The 1960s were years in which poets got involved in political activism. In 1966, for example, Robert Bly and David Ray founded the association “Poets Against the War” which campaigned against the American policy in Vietnam (Hallberg 8). Such poets were inspired by “intellectual liberalism” which, as a movement of the

1960s, attributed the understanding of contemporary political issues to purely intellectual bases rather than to political manifestations.

James F. Mersmann asserts that post-World War II poetry is mostly Vietnam poetry.⁸ Most of the poems of this period launched harsh attacks on the corruption of the political institution in the United States. Lyndon Johnson's false promises concerning his Vietnam policy in the Presidential elections of 1964 provoked poets like Robert Duncan to dismiss him as immoral (Duncan 21). Duncan unhesitatingly branded American political and military leaders as "liars and masters of lie." Robert Bly even described the U. S. government as a faulty source of information and democracy as a presumptuous, misleading notion (Bly 28).

As it draws largely from the general socio-economic, political, and cultural settings of the American reality, this poetry has been branded as "culture poetry." As a literary variation, it further fosters the premise that the modules of civilisation and literature are by far of more moment to the teacher / student's intellectual experience when integrated and rendered complementary than when arbitrarily dissociated.

Interdisciplinarity, by its integrative nature, is simply the key to "unity of knowledge" between literature and civilisation which are two categories interacting within the same domain—American Studies. Regarded as a new mode of knowing, interdisciplinarity sets the ground for a much needed reunification of action and thought to meet the current pedagogical and social mutations in Algeria and elsewhere. As it has been demonstrated in the present paper, the application of the interdisciplinary approach renders possible the dialogisation of recurrent themes in the two categories through a viable selection of texts. Away from the myth of American exceptionalism, interdisciplinarity—which crosses boundaries—also gives way to the possibility to interconnect less recurrent areas and subjects and also to present unheard voices in both options.

Notes

¹This idea is also articulated by Karl Shapiro in his *In Defense of Ignorance*. New York: Random House, 1960. 22.

²See Benjamin T. Spencer. *The Quest for Nationality: An American Literary Campaign*. Syracuse: Syracuse U. P., 1957.

³See Bradford Smith. *Captain John Smith: His Life and Legend*. New York: Norton, 1953.

⁴See Alfred H. Kelly and Winfred A. Harbinson, eds. *The American Constitution: Its Origins and Development*. New York: W. W. Norton, 1970; see also Michael J. Heale, *The Making of American Politics*. London: Longman, 1977.

⁵See Edward Foner. *Tom Paine and Revolutionary America*. New York, 1976.

⁶See Susan P. Lee, and Peter Passell, eds. *A New Economic View of American History*. Cambridge: Harvard U. P., 1979.

⁷See Henry David Thoreau. *Walden or Life in the Woods*. Washington DC.: Ladder Edition, repr. 1985.

⁸See James F. Mersmann. *Out of the Vietnam Vortex: A Study of Poets and Poetry Against the War*. Lawrence: Kansas U.P., 1974; see also Walter Lowenfels, ed., *Where is Vietnam?* New York: Doubleday, 1967.

Works Cited

Arnold, Matthew. "The Function of Criticism at the Present Time." *The Complete Prose Works of Matthew Arnold*. Ed. Robert H. Super, 11 vols. Ann Arbor: University of Michigan Press, 1960-1977. III. 261.

Barthes, Roland. *The Rustle of Language*. Trans. Richard Howard Oxford: Basil Blackwell, 1986. 72.

Blassingame, John. *The Slave Community: Plantation Life in the Antebellum South*. New York: Oxford U.P., 1972. 52.

Bly, Robert. *Sleepers Joining Hands*. New York: Harper & Row, 1973. 21.

Calmer, Ned. *The Strange Land* (1950). 133.

Cunliffe, Marcus. *The Literature of the United States*. New York: Penguin Books, repr., 1980. 201.

Downs, Robert B. "Afterword" to *The Jungle* (1905 repr.) New York: New American Library, 1988. 349.

Ducan, Robert. *Bending the Bow*. New York: New Directions, 1968. 114.

Hallberg, Robert V. *American Poetry and Culture, 1945-1980*. Cambridge: Harvard U.P., 1985. 8.

Hill, Charles P. *A History of the United States*. London: Edward Arnold Publishers Ltd., 1979, 164.

Holloway, Jean. *Hamlin Garland: A Biography*. Austin: University of Texas Press, 1957. 33.

Holloway, Joseph E. *Africanisms in American Culture*. Bloomington & Indianapolis: Indiana U.P., 1990. 25.

Mailer, Norman. *The Naked and the Dead* (1951). 36.

Mc. Michael, George, James Leonard, eds. *Concise Anthology of American Literature*. New York: Macmillan Publishing Co., 1985. 10.

Parrington, Vernon Louis. *Main Currents in American Thought*, 3 vols. *The Romantic Revolution*, vol. 2 .New York: Harcourt & Brace, 1927-1930. 104-5.

Winson James, and Daniel L. Kirkpatrick, eds. *American Literature to 1900*. New York: Macmillan Reference Books, 1980. 41.

**Grammar Tasks and the
Learning of English as a
Foreign Language:
A Case Study**

**Prof. Ahmed MOUMENE
Department of English
Mentouri University-
Constantine**

Abstract

This article attempts to compare the effects 'Grammar Tasks' and 'Grammar lessons' on the acquisition of English tenses by Algerian students in terms of gains in explicit knowledge, grammatical accuracy, interaction, autonomy and motivation in the classroom. The results of the study demonstrate that learners following the new approach outperform those following the traditional one in all these terms.

Introduction

As learners who are taught under Traditional Grammar (TG) for many years carry on making grammatical errors which usually persist in spite of teachers' attempts to eradicate them, we believe that there is something wrong with this approach and that 'Grammar Consciousness-raising Tasks' with their emphasis on *the use of language* may be more effective. In this experimental study, a control group will follow traditional grammar lessons and an experimental group will perform grammar tasks. The net effects of these two approaches in terms of grammatical explicit

ملخص

يسعى هذا المقال إلى مقارنة الآثار المترتبة عن استعمال مقاربتين مختلفتين في تدريس قواعد الأزمنة الإنجليزية: مقارنة "المهام النحوية" ومقاربة "دروس القواعد" من قبل طلبة جزائريين، وذلك من حيث تعزيز المعرفة الجلية والدقة النحوية والمحاذثة والاستقلالية والتحفيز داخل القسم. وقد بينت النتائج تفوق المنهج الجديد على كل هذه المستويات.

knowledge, accuracy, negotiated interaction, autonomy and motivation will be revealed through this paper.

1. Grammar Consciousness-raising Tasks

Grammar consciousness-raising tasks (GCRTs) are the result of integrating task-based language teaching (Prabhu, 1987) and grammar consciousness-raising (Rutherford, 1987). This integration involves student-student interaction about grammar and includes a variety of co-operative learning techniques where learners are divided into groups and handed different parts of teacher-taught materials to teach them to each other. It is reminiscent of the jigsaw method defined by Johnson (1995: 114) as a method “in which teachers divide the academic content to be learned into parts and delegate individual parts to each group member. Thus, group members are responsible for learning only one part of the content and then teaching that part to the rest of the group”.

A GCRT is an activity which is found to be very successful for enhancing communicating about grammar. As Fotos (1994: 325) states:

[A GCRT] provides learners with grammar problems to solve interactively...it is communicative and has an L2 grammar problem as the task content. Although the learners focus on the form of the grammar structure, they are also engaged in meaning-focused use of the target language as they solve the grammar problem. They develop grammatical knowledge while they are communicating.

Foreign language learners (FL) are very keen in studying grammar. They often ask their teachers to teach them the essentials of the FL grammar that allow them to codify the chaos of linguistic data into a reduced set of rules. After all, human beings are endowed with a cognitive ability that allows them to establish relations about linguistic entities and to absorb the TL through reasoning and analogical undertaking. As Servan-Schreiber and Anderson (1990: 592) argue “the world is regular, and people are efficient regularity detectors”.

GCRTs help learners discover the rules for themselves, build up their explicit knowledge, and promote their grammatical accuracy. Hood (1994: 28) maintains that “Drawing the learners’ attention to the linguistic patterns and providing them with the underlying rules and principles can enhance the learning process since learners usually try to discover rules from the language data for themselves.” So, even though teachers do not provide learners with grammatical rules, learners will look for the rules for themselves. This individual endeavour, however, is time-consuming and too demanding upon learners. It is likely to be confusing for it may lead learners to deduce wrong hypotheses about the complex structures of the target language (TL). GCRTs accommodate students who study grammar as a subject grammar; that is, those who want to learn about grammar for academic purposes, and not those who want to use the language for survival or pure communication, as is the case with people who want to use the language for the sake of trade or tourism.

GCRTs are quite compatible with Second Language Acquisition (SLA) research and how people learn languages. They are in tune with Krashen’s comprehensive input hypothesis (1981) in their endeavour to expose learners to meaning rather than to submit them to Traditional Grammar Lessons (TGLs). They are in symbiosis with Long’s interaction hypothesis (1983b) which emphasizes interactional activities among learners to allow them to negotiate meaning through the use of comprehension checks and clarification requests. They are also in conformity with Swain’s output hypothesis (1985) which acknowledges the role of comprehensible output for promoting grammatical competence, expressing efficient meaning, developing syntactic processing, and testing out hypotheses about the TL. These hypotheses complement each other, present real opportunities for learners to work in groups and to interact in order to gain accuracy as well as fluency in the TL. GCRTs are also corroborated by skill-building theories which insist on the move from declarative knowledge to procedural knowledge or from knowing to using (Bialystok, 1982).

2. Research Hypotheses

The present study builds on the findings of Fotos (1993, 1994) and Ellis (1997, 2003) who claim that GCRTs are more effective than TGLs for improving explicit knowledge and grammatical accuracy, and negotiated interaction. It aims at finding whether GCRTs improve (1) explicit knowledge, (2) grammatical accuracy, (3) negotiated interaction as well as (4) autonomy and motivation. Most task-based SLA research is carried out under laboratory conditions; and for us to feel more secure with the claims made by these proponents, we carried out a classroom experiment on first-year students of English in order to inform or confirm the following hypotheses:

1. GCRTs are more effective for improving grammatical *accuracy* in the use of English tenses than TGLs.
2. GCRTs are more effective for promoting *grammatical explicit knowledge* about English tenses than TGLs.
3. GCRTs could be more effective for fostering *negotiated interaction* and *comprehensible output* in the study of English tenses than TGLs.
4. GCRTs could drive further students' *autonomy* and *responsibility* for learning, and thus increase their *self-confidence* and *motivation* in comparison to TGLs.

3. Research Design

The study is concerned with almost all the English tenses which have been selected for several reasons. Firstly, they are part and parcel of the first year programme of the Licence degree in English. Secondly, English tenses seem to be a problematic area for Algerian students who are usually confused by the various tense forms and uses for expressing their ideas. Thirdly, students often ask their teachers to provide them with clear rules of thumb to help them use correct forms in speaking and writing without hindering their communication. Fourth, university students of English, in general, follow advanced studies that require a minimum knowledge of the TL grammar and prove readiness for the acquisition of the English tenses.

3.1 Types of Teaching Materials

The types of teaching materials used in this experimental study are TGLs and GCRTs:

TGLs consisted of traditional grammar lessons and written practice. These lessons followed the conventional stages: Presentation and Practice. In the presentation stage, thorough explanations of the forms and uses of the English tense under study were provided. Every tense was presented in the affirmative, negative, interrogative and interro-negative form together with yes/no short answers with all the singular and plural persons. Then, students were presented with four sentences and required to understand their meaning carefully, to underline their verbs, and to find the rule which govern them. This procedure of drawing rules from a set of sentences is known as the inductive approach; it encourages students to observe, analyse, and comprehend the sentences so as to discover the rules by themselves. If the students were not able to do so, the instructor would guide them to find the appropriate rule. Once the rule was given, the instructor drew a time diagram on the blackboard so as to show the students where the action of the verb happened in relation to three main points: past, present and future. At the practice stage, students were presented with an exercise where they had to put the verbs in brackets in the correct form and to provide oral answers. The exercises we opted for consisted of short texts to introduce students to discourse grammar where tenses were used in clear contexts and where devices of coherence and cohesion were tactfully displayed. All the exercises were extracted from Freeman's book (1983).

GCRTs are designed in conformity with the task components proposed by Candlin (1987), Breen (1989), Nunan (1989), and Ellis (1998) including 'goals', 'input', 'procedures', 'setting', 'learner roles', 'teacher roles' and 'outcomes'. They met the main criteria established for any language task by Prabhu (1987: 46-7). First, they were, in essence, 'information-gap activities' which required exchanging information amongst all the members of the group whose

task cards were quite different in content. Second, they were considered as ‘reasoning-gap activities’ in the sense that students were supposed to use their cognitive faculties so as to perceive, reason, and induce rules from a series of sentences. Third, they engaged students in ‘decision-making activities’ through gathering information from each other and reaching a common decision. Likewise, GCRTs developed in this study were in symbiosis with Pica *et al.* (1993: 19-26) criteria for developing real tasks and which included ‘jig-saw’, ‘information gap’, ‘problem solving’, ‘decision making’ and ‘opinion exchange’.

The study is concerned with almost all the English tenses: the present simple, the present continuous, the simple past, the past continuous, the present perfect, the present perfect continuous, the past perfect, the past perfect continuous, the simple future, the future continuous, the future perfect, the future perfect continuous, the present conditional, the perfect conditional, and tenses in conditional sentences. The English tenses were selected for several reasons. Firstly, they are part and parcel of the first- year programme of the Licence degree in English. Secondly, they seem to be a problematic area for Algerian students, and they often ask their teachers to provide them with clear rules of thumb to help them use correct forms in speaking and writing. Thirdly, university students of English follow advanced studies that require a minimum knowledge of the FL grammar and prove readiness for learning tenses. Original models of task directions, task sheets and task cards which were used for teaching the English present simple tense for the experimental group are provided in appendix II.

4. Subjects

The size of the population concerned by the findings of this experiment was a total of 360 Algerian university students of English. The sample consists of 66 Algerian first-year students of English making up two classes: 31 students in the control group and 35 students in the experimental group. The students were randomly assigned to groups of comparatively equal size by the administration in

a sense that the student who came first was enrolled first. This procedure helps us to prevent ‘contamination’ –the possibility that some factor other than the teaching method has brought about the differences in the scores. In addition, both groups were subjected to a pretest and showed ‘homogeneity’ among them. Thus, it may be assumed that the two groups were equivalent and that other variables such as language aptitude, age, intelligence, and motivation existed with equal quantities in both the control and the experimental group. Consequently, the sample under scrutiny could be said to be ‘representative’ of the population, and the results could be generalisable to the whole population.

5. Treatment Cycles

The students had two required 90-min period per week of English grammar with an Algerian instructor who was the researcher himself and the regular grammar classroom instructor. Since this could be a bias factor, we acted as a facilitator and respected the two approaches to the letter to avoid what is referred to as the ‘Hawthorne effect’ – showing more attention, devotion and enthusiasm to one treatment and not enough to the other (Benati, 2001: 105-6). The experimental group performed GCRTs dealing with the selected English tenses. Students in this group were randomly assigned into pairs or four-member groups for each task treatment depending on the number of rules for each tense. The control group received TGLs on the same tenses. The contents of the lessons were dictated to the students from the task cards elaborated for the GCRTs. The necessary explanation was provided, and the difficult words were written on the blackboard.

6. Means of research

In order to assess the comparative effectiveness of TGLs and GCRTs, we have recourse to the following means of research commonly used in SLA studies:

1. The proficiency test made up of the multiple choice-questions test to evaluate students’ grammatical accuracy in the use of English tenses and the justification test to assess students’ explicit

grammatical knowledge for their choice of the selected tense options (see appendix I).

2. Classroom observation to assess students' autonomy and negotiated interaction (see section 6.2).
3. The Students' questionnaire to assess students' motivation (see appendix III).
- 4.

6.1 The proficiency test

At the beginning of the experiment, the control and experimental groups were administered a proficiency pretest made up of a multiple choice-questions test together with a justification test to investigate respectively whether there were any differences between them in grammatical accuracy and grammatical explicit knowledge. The students were presented with twenty sentences reflecting all the tenses, and they were required to choose one tense from among four alternatives and to provide a grammatical justification for the selected tense. Both groups showed 'homogeneity' among them. In terms of grammatical accuracy, the mean score of the control group in the pretest was 07.90 and that of the experimental group was 07.45. In terms of grammatical explicit knowledge, the mean score of the control group in the pretest was 03.70 and that of the experimental group was 03.54. The student t test was delivered using computer software: MODALISA VERSION: 4, and did not reveal a considerable difference between the pretest score means. After the administration of all the TGLs and the performance of the GCRTs, the two groups took a posttest that was somehow similar to the pretest.

6.2 Classroom Observation

Classroom observation corresponds to Ellis's (1998: 229) evaluation model which consists of: 'a response-based evaluation' based on the researcher's observations about the 'actual' and 'intended' outcomes of the tasks to evaluate whether GCRTs or TGLs enhance negotiated interaction and comprehensible output. Classroom observation is an important research tool used in SLA to aid researchers in their search for information and explanation of teaching techniques and learning

processes. Good observation is a fundamental form of evaluation which consists of objective interpretations and which allows teachers to draw what is extraordinary from what is ordinary, to check learners' input, intake, strategies and attitudes, or collecting information about students' interaction and responses. We opted for Wallace's (1998: 106) method of 'real time observation' which consists in taking notes of the students' performance in the classroom. For gauging students' negotiated interaction, we make use of the following units of analysis: clarification requests, confirmation checks, comprehension checks, repetitions and requests for repetition (Fotos, 1994: 333-4).

6.3 The Students' Questionnaire

For evaluating students' attitudes towards TGLs and GCRTs, we adopted Ellis's (1998: 229) 'Student-based evaluation' to investigate whether GCRTs foster motivation and autonomy. The students were requested to fill in the questionnaire in the classroom and to submit it as soon as they finished. Since the questionnaire was intended to elicit personal answers, students were not allowed to contact each other. They were encouraged to give their own opinions and suggestions to cooperate to an effective assessment of the courses.

7 Analysis of the Results

7.1 Quantitative Analysis of Grammatical Accuracy

For the analysis of the results, we have made use of a statistical package called "Modalisa Version: 4". The proficiency test was administered before beginning TGLs and GCRTs performance. Three months later, the same proficiency test with minor alterations was administered to both the control and experimental groups as a posttest. Grammatical accuracy gains between the pretest and posttest mean scores were calculated for the two treatment groups, and the student t-test was used to examine the significance of differences between them. The mean of the control group grammatical accuracy pretest was 07.90, and its mean in grammatical accuracy posttest was 13.16. The net gain in grammatical accuracy for the control group was 05.26. Furthermore, the mean of the experimental group grammatical accuracy pretest was 07.45, and its mean in grammatical accuracy posttest was 15.02. The net gain in grammatical accuracy for the

experimental group was 07.57. The student t-test was used to examine the significance of differences between the pretest and posttest mean scores between the two treatment groups.

As for grammatical accuracy, given that the student t value calculated: 0.515 is inferior to the t value on the table of t values: 1.96 at 5%, we accept the null hypothesis; therefore, the difference between the two means in the pretest is not significant. Given that the calculated t is superior to the t value on the table: 2.33 at 2%, the null hypothesis is rejected; therefore, the difference between the two means is significant at 2%. GCRTs provide better results in grammatical accuracy than TGLs. Consequently, the first hypothesis, which stipulates that "GCRTs are more effective for improving *grammatical accuracy* in the use of English tenses than TGLs" has been confirmed. The results of the t test lent strong support for a positive answer to this first hypothesis.

7.2 Quantitative Analysis of Explicit Knowledge

As for explicit grammatical knowledge, it is in the same proficiency test used in the present study for the analysis of grammatical accuracy that the students were required to provide the appropriate justification for their choice of any particular tense amongst the four tense options provided for each sentence. The objective of this test was to assess the explicit grammatical knowledge that the students were supposed to have already acquired either through TGLs or GCRTs. The difference related to grammatical explicit knowledge in the score means within the same groups and between the two groups was also significant. Within the same group, the control group score mean in grammatical explicit knowledge pretest was 03.71 and in the posttest 09. A gain of 05.29 was obtained. Within the same group also, the experimental group mean score in the grammatical explicit knowledge was 03.54 and in the posttest 12.02. A significant gain of 08.48 was achieved.

Given that the calculated t is superior to the t value in the table: 2.58 at 1%, the null hypothesis is rejected; therefore, the difference between the two means is significant at 1%. GCRTs resulted in better students' achievements in grammatical explicit knowledge compared to TGLs. Therefore, the second hypothesis which stipulates that "GCRTs

are more effective for promoting *explicit grammatical knowledge* about English tenses than TTFGLs" is significantly corroborated.

7.3 Analysis of Negotiated Interaction through Classroom Observation

To analyse students' negotiated interaction, we observed them in TGLs and GCRTs.

7.3.1 Negotiated Interaction in TGLs

In TGLs, we observe that the students are not inclined to negotiate at all. In the presentation stage, a few students asked questions about the spelling of some words. In spite of the instructor's insistence on the students to ask any question on the grammar lessons, they did not do so. Generally, just few students dared ask questions about a particular use of a tense in each session. Hardly any interaction emerged amongst the students or between the teacher and the students. In the practice stage, however, some students had the chance to read their answers. It is obvious that interactions did not emerge because TGLs were not designed in such a way to trigger negotiated interaction; the aim of these lessons was to transmit some grammatical knowledge to learners. Although the teacher induced learners to discuss and interact about grammatical topics, they showed some reticence in communicating about grammar. We believe that future research should compare GCRTs and other types of communicative tasks because TGLs were incomparable to GCRTs in terms of providing opportunities for negotiated interaction.

7.3.2 Negotiated Interaction in GCRTs

GCRTs appeared to allow students to discuss task directions, tense forms and tense uses. They had to negotiate and exchange information in order to find out the correct forms and to discover the appropriate rules together. They had to reach an agreement on each grammar point. This required the collaboration of all members of the group and hence all the class for reaching a final agreement. Negotiated interaction observed in the performance of GCRTs has been categorised according to the following patterns:

(1) "Clarification requests" as in the following examples: 'What is the exact form? 'Why have you selected this rule?' 'Can you explain more why you have provided this form?' 'What is the difference between the first rule and the second one of this tense?'

(2) "Confirmation checks" as in the following examples: 'the present simple in this series of sentences is used to express the future! Yes? Are you sure?' 'Is it the correct interrogative form?', 'Is it the right tense?', 'Do you think this use is right?'

(3) "Comprehension checks" as in the following examples: 'Do you understand this rule?' 'Do you agree on this? Is it Ok?', 'Are you following?' 'Have you understood?'

(4) "Repetitions" as in the following examples: 'Speak slowly, please!', 'Could you repeat, please?', 'Once more?' 'This rule is very long, would you repeat it, please?'

(5) Other questions asked to check the correctness or incorrectness of the answers provided as in these examples: 'You say this is the right answer; No I do not think so, the correct one is rule number 2', 'Is this form Ok?', 'Do you think this rule is appropriate?'

In addition to the negotiation of grammar points, the students in the GCRTs group also discussed new or unknown words. If the group did not agree on the meaning of a particular word, they turned to the instructor asking for help. This endeavour enriched their negotiation. Another phenomenon that drew our attention was their attempt to correct each other's pronunciation of some words. They sometimes disagreed, but the search for correctness also pushed their negotiations further ahead. GCRTs allowed students to produce great quantities of meaningful interaction. Interaction dominated the class from the very beginning until the very end. The third hypothesis which stipulates that "GCRTs are more effective for fostering *negotiated interaction* and *comprehensible output* in the study of English tenses than TGLs" was strongly corroborated.

Furthermore, classroom observation also provided strong support for the fourth hypothesis. We observed that the experimental group students embarked on performing the grammar tasks meticulously and enthusiastically. Through collective interdependence and collaboration, the students eagerly tackled the grammar tasks completing them in less than the time allocated to the TGLs. However, the students in the

control group seemed to be passive recipients relying on the teacher spoon-feeding operations. They were reluctant to do the exercises, and even disinclined to manage without the teacher's encouragement. The students in the experimental group were not dependent on the teacher; they were rather autonomous and responsible for their learning. They prepared their grammar lessons alone with the information they had in their task sheets and task cards without the teacher's intervention. Their enthusiastic attack of the tasks was but a clear indication of the motivation that boosted them up in their endeavour to cope with the tasks.

7.4 Analysis of Autonomy and Motivation through the Students' Questionnaire

The questionnaire seeks to elicit answers about students' perceptions and attitudes towards grammar instruction under TGLs and GCRTs. Here are some questions and answers:

Q. 1 Did you consider the material about GCRTs interesting? The findings show that 97.15% of the students regarded the task materials as interesting. Only one student (02.85%) did not think so. The general attitude can be regarded as a positive judgement towards the use of tasks in the teaching of grammar. This gives a strong support for the fourth hypothesis which stipulates that "GCRTs drive further students' autonomy and responsibility for learning, and thus increase their motivation and self-confidence in comparison to TGLs."

Q. 2 How much grammar did you learn through GCRTs (a lot, quite a lot, not much, or not at all)? The results show that the large majority (68.57%) of the students affirmed that they learned 'quite a lot' through GCRTs. Grouped together, those who ticked 'A lot' and 'Quite a lot' formed 85.71% against those who ticked 'Not much' and 'Not at all' with 14.27%. This high proportion is a clear indication that GCRTs tasks have good effects on general grammar learning.

Q. 3 Did GCRTs help you interact, negotiate and communicate? The results show that 82.86% of the students affirmed that GCRTs helped them interact and communicate 'quite a lot', and 11.43% said that they helped them 'a lot'. Given the high percentage of the students

who said that GCRTs helped ‘a lot’ and ‘quite a lot’ together (94.29%), GCRTs can be said to be very useful for enhancing negotiated interaction. So, the third hypothesis guiding this study, “GCRTs are more effective for fostering negotiated interaction and comprehensible output in the study of English tenses than TGLs” is confirmed in this questionnaire.

Q. 4 Did GCRTs help you gain autonomy, self-confidence and motivation? The results show that 71.43% of the students affirmed that GCRTs helped them ‘quite a lot’ in enhancing their autonomy, motivation and self-confidence, and 22.86% said that they helped them ‘a lot’. Due to the higher number of the students who said that GCRTs helped ‘a lot’ and ‘quite a lot’ together (94.29%), GCRTs can be said to have very good effects on students’ autonomy, motivation and self-confidence. The fourth hypothesis which stipulates that “GCRTs could drive further students’ autonomy and responsibility for learning, and thus increase their motivation and self-confidence in comparison to TGLs” is confirmed.

Q. 5 Would you like to study grammar in the future through TGLs or GCRTs or both? The reason behind this question is to detect whether the students really like GCRTs and find them useful. The results show that 71.43% of the students would like to study grammar in the future through GCRTs. Only 11.43% of the students would like to study grammar through TGLs, and 17.14% favoured alternation. So, GCRTs are preferable to TGLs, and therefore must have a place in the FL grammar pedagogy.

Q. 6 Please, indicate your general feeling about GCRTs? The results indicate that 74.29% of the students admitted that they were ‘very satisfied’, and 20% of them avowed that they were ‘satisfied’. So, those who are ‘satisfied’ and ‘very satisfied’ form the large majority (94.29%). This lends a strong support for the effectiveness of GCRTs.

Q. 7 What are the advantages of GCRTs? For the sake of brevity, the students’ long answers are concisely reported by the researcher as follows: GCRTs improve understanding, negotiated interaction,

motivation, spelling, vocabulary acquisition, self-confidence, memorization, active work, enthusiasm, autonomy, responsibility for learning, good relationship, competition and students' social status,. However, the disadvantages of GCRTs as listed by few students are reformulated by the researcher as follows: the availability of the information about tenses in the task cards prevents students from making personal investigation, students' explanations do not equal teachers' explanation, no practice, students' bad pronunciation, irresponsibility of some learners, noise problem, students' heterogeneous levels. The results of the students' questionnaire confirm the fourth hypothesis which stipulates that 'GCRTs could drive further students' autonomy and responsibility for learning, and thus increase their self-confidence and motivation in comparison to TGLs'.

8. Discussion

The results of the experiment indicated that GCRTs are more effective than TGLs at all levels. We believe that the same significant results attained in the mastery of the tenses through GCRTs can be attained for the teaching of other grammatical forms and structures in English and other languages. The experiment also demonstrated that TGLs resulted in the emergence of correct grammatical forms, and this is a sound counterargument for those researchers who deny the beneficial effects of grammar instruction whatever its nature. In contrast to TGLs students who have always some grammar practice activities after each lesson, the GCRTs students have not been presented at all with any form of practice. Although practice would have been a bias in favour of the TGLs group, the GCRTs group had achieved better results. The place that practice has enjoyed for a long time seems to fall into disfavour. GCRTs which lay a great emphasis on consciousness-raising proved to be very efficient types of classroom activities.

GCRTs may contribute to language acquisition by allowing students to develop grammatical explicit knowledge that will later facilitate the acquisition of implicit knowledge (Fotos and Ellis 1991: 622). Grammatical explicit knowledge is deemed necessary because it

represents a declarative knowledge which allows skill getting which is vehemently observed in the internalisation of grammatical explicit rules. Procedural knowledge allows skill using which appears in the use of grammatical tenses as shown in the multiple choice-questions test and will later appear in uncontrolled communication.

In terms of negotiated interaction, GCRTs seemed to be invaluable; their comparisons to TGLs were indeed out of equal at all. They allowed students to discuss task directions, tense forms, spelling and pronunciation. Since only one acceptable outcome is possible, students worked hard to understand each other, to request information from each other, to supply each other with the appropriate feedback, and to modify their output to be understood. GCRTs also helped students to develop the four learning skills: listening, speaking, reading and writing. In these kinds of focused tasks, both reception and production are emphasized. If students do not listen attentively, read clearly, speak distinctly, and write correctly, they will fail in the attempt. The development of these skills among the students can be considered as an indication of the success of the task.

GCRTs promote communicating about grammar and negotiating meaning to a greater extent. This will certainly develop implicit knowledge of grammatical rules. As Fotos and Ellis (1991: 622) argue, this type of grammar tasks “may contribute *directly* by providing opportunities for the kind of communication which is believed to promote the acquisition of implicit knowledge.” In fact, under GCRTs, negotiated interaction abounded in the classroom. Individually, each member of the group seemed to be as ‘busy as a bee’. Socially, students proved to be like energetic ants which work hard and which collaborate in an organized society in a very structured way. Negotiated interaction is deemed necessary for natural language development. As the slogan says, “We are talking to learn and not learning to talk.” Talking is essential for language acquisition to occur, and interaction is very crucial for automatisisation to take place. How can we imagine learning a FL without interacting and conversing? We

believe that Algerian learners need ample interaction because English is used only in the classroom..

The results of this study indicated that GCRTs generated an arsenal of FL negotiations. The average number of words per FL negotiations ranged from more than three words per negotiated interaction to more than seven words per negotiated interaction. The data obtained were not mechanical; they consisted much more of extensive and original sentences, and much more complex language production. The grammar tasks used in this study required the use of information-gap activities, reasoning-gap activities, and decision-making activities as advanced by Prabhu (1987). The combination of these task features allowed the students to produce a maximum number of negotiations. The first feature forced the students to exchange information in order to fulfil the tasks. The second one made them think and reason about the raw grammatical data in order to induce the appropriate rules. The third feature consisted in reaching a single agreed-upon solution, and this necessitated more discussions to sort out the logical rule. As GCRTs are closed ended tasks that induce learners to provide more precise answers, they have spawned much more negotiation and communication among the students.

In GCRTs, students worked in groups where each was given only part of the information that was necessary for completing the task successfully. They had to communicate about grammar in order to complete the tasks. Three hypotheses entered into play –the Comprehensible Input Hypothesis, the Comprehensible Output Hypothesis and the Interaction Hypothesis. Each student had to listen to the input attentively, to produce a comprehensible output in order to be understood, and to negotiate and interact in order to convince the other members of the group about the rules which governed the various sets of sentences. Thus, the grammar tasks resulted in interactive, dynamic language use that was sufficiently rich to suggest that GCRTS had general benefits to FL learning.

In addition to the fact that classroom observation allowed us to notice that GCRTs enhanced negotiated interaction and comprehensible output, they also enabled us to observe the students' responses to the tasks. The students actually developed some positive psychological traits. They showed a great autonomy and responsibility for learning. They no longer waited for the teacher to provide them with all the bits and pieces of language, but they themselves built up their own lessons from the task cards according to the directions given in the task sheets. They showed self-confidence in dealing with the tasks; they no longer hesitated; they even ceased to expect that the truth comes only out of the teacher's mouth. Their enthusiasm and discussion about grammar without the least vacillation demonstrated that their affective filter (Krashen, 1987: 30) allowed them to work at the lowest anxiety level. They also developed an outgoing tendency to participate and take risks, and generally adopted a tolerant, sociable, friendly and extrovert attitude. They felt that they were in a good company that permitted them to work without fear and bashfulness, to speak spontaneously and to improvise even inaccurately without shyness and hesitation. They disregarded the fact that they might be ridiculed if they committed lexical or grammatical mistakes in front of their peers. We also observed that they developed an analytic orientation in the sense that they preferred conscious learning and the use of metalanguage in order to discover the rules for themselves and to explain them for their peers relying on the TL, without any form of inhibition or first language interference.

As the teacher-researcher played the role of a counsellor and not of a powerful master who said and controlled everything in the classroom, the students found the group as a favourable nest to allow their personalities to hatch out and their quiescent linguistic knowledge to blossom naturally without shaking their inner feelings and disturbing their natural development. Indeed, GCRTs offered a relaxed environment that allowed the students' anxiety level to lower drastically and to reinforce their natural trust and self-confidence. The participation in GCRTs was compulsory: all the students had to talk in

order to accomplish the tasks. If some students may not like GCRTs, it is because they involve cognitive processing and rule formation techniques. This kind of students are fond of gathering data in an implicit way without working out their cognitive abilities such as attention, noticing and intelligence.

Conclusion

The results of the study show that GCRTs are more effective than TGLs in developing grammatical accuracy, grammatical explicit knowledge, negotiated interaction, autonomy, self-confidence and motivation. In order to help students gain accuracy, fluency, autonomy and motivation, we have to make extensive use of GCRTs. They can be recommended as a viable approach to integrate form-focused instruction and task-based language teaching for the teaching of grammar in EFL classes. Indeed, our interest in grammar does not mean that we are seeking a golden age of grammar teaching, but we are only deploring the strong return of traditional grammar to our communicative classrooms on the one hand and the total abandonment of grammar teaching in schools and universities on the other hand.

References

- Benati, A. (2001). A comparative study of the effects of processing instruction and output- based instruction on the acquisition of the Italian future tense. *Language Teaching Research*, 5/2: 95-127.
- Bialystok, E. (1982). On the relationship between knowing and using linguistic forms. *Applied Linguistics*, 3/3: 181-206.
- Breen, M. P. (1989). The evaluation cycle for language learning tasks. In R. K. Johnson (eds.), *The Second Language Curriculum*, (pp. 187-206). Cambridge: CUP.
- Candlin, C. N. (1987). Towards task-based language learning. In C. N. Candlin and D. Murphy (eds.), *Lancaster Practical Papers in English Language Education*:
Vol.7. *Language Learning Tasks*, (pp.5-22). Englewood Cliffs, NJ.: Printice Hall.
- Ellis, R. (1997). *SLA Research and Language Teaching*. OUP.
-, ... (1998). Evaluating and researching grammar consciousness-raising tasks. In P. Rea- Dickins and K. P. Germaine (eds.), *Managing Evaluation and Innovation in Language Teaching*, (pp. 220-252). Longman.
-, (2003). *Task-based Language Learning and Teaching*. OUP.
- Fotos, S. (1993). Consciousness-raising and noticing through focus on form: Grammar task performance versus formal instruction. *Applied Linguistics*, 14/4: 385-407
-, ... (1994). Integrating grammar instruction and communicative language use through grammar consciousness-raising tasks. *TESOL QUATERLY*, 28/2: 323-351.
- Fotos, S. and Ellis, R. (1991). Communicating about grammar: A task-based approach *TESOL QUATERLY*, 25/4: 605-628.
- Freeman, S. (1983). *Progressions: English Grammar in Context*. London: Evans Brother Ltd.
- Hood, P. (1994). Communicative grammar: a practical problem-solving approach? *Language Learning Journal*, 9: 28-31.
- Johnson, K. E. (1995). *Understanding Communication in Second Language Classrooms*. Cambridge: CUP.

Krashen, S. D.(1981). *Second Language Acquisition and Second Language Learning*. London: Printice Hall International.

....., (1987). *Principles and Practice in Second Language Acquisition*. New York: Printice Hall International.

Long, M. H. (1983). Native speaker/non native speaker conversation in the second language classroom. *TESOL QUATERLY*, 82: 207-225.

Nunan, D. (1989). *Designing Tasks for the Communicative Classroom*. OUP.
Pica, T., Kanagy, R and Falodun, J. (1993). Choosing and using communication tasks for second language instruction and research. In G. Crookes and S. M. Gass eds. (1993),

Tasks and Language Learning: Integrating Theory and Practice (pp. 9-34). Clevedon: Multilingual Matters LTD.

Prabhu, N.S. (1987). *Second Language Pedagogy*. Oxford: OUP.

Rutherford, W. E. (1987). *Second Language Grammar: Learning and Teaching*. Longman.

Servan-Schreiber, E. and Anderson, J, R. (1990). Learning artificial grammars with competitive chunking. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition*, 16/4: 592-608.

Swain, M. (1985). Communicative competence: Some roles of comprehensible input and comprehensible output in its development. In S. Gass and C. Maden (eds.), *Input and SecondLanguage Acquisition*, (pp. 235-253). Rowley, M.A.: Newbury House.

Wallace, M. J. (1998). *Action Research for language Teachers*. CUP.

Appendices

Appendix I

The Proficiency Test

Circle the appropriate tense, and justify your choice for all the sentences.

1. We for a new house now.

- | | |
|--------------|----------------|
| a. look | c. are looking |
| b. will look | d. have looked |

Justification:

2. We you for a long time.

- | | |
|--------------|---------------|
| a. don't see | b. didn't see |
|--------------|---------------|

- c. haven't seen d. hadn't seen

Justification:

3. Don't phone me at seven o'clock, I my supper.

- a. shall eat c. shall be eating
b. shall have eaten d. shall have been eating

Justification:

4. If the weather nice tomorrow, I will come and see you.

- a. is c. will be
b. will have been d. should be

Justification:

5. He usually up about seven.

- a. got c. gets
b. get d. will get

Justification:

6. The French Algeria in 1830.

- a. invaded c. have invaded
b. had invaded d. were invading

Justification:

7. Your eyes are very red.

- a. Are you crying? c. Have you been crying?
b. Have you cried? d. Do you cry?

Justification:

8. He gave me a hand after he

- a. had finished c. finished
b. has finished d. finishes

Justification:

9. If you had invited them, they

- a. would come c. would have come
b. have come d. came

Justification:

10. I am sure that I him.

- a. will recognise c. recognise
b. am recognising d. will have recognised

Justification:

- a. had stayed c. has stayed

- b. was staying d. had been staying

Justification:

20. I usually wear a coat, but I one today as it isn't cold.

- a. don't wear c. hadn't worn
b. didn't wear d. am not wearing

Justification:

Appendix II

A Model of Task Directions, Task Sheets and Task Cards for The Present Simple Tense

Task Directions

I. Objectives

This task should enable you to raise your consciousness and gain an explicit knowledge of the different forms and uses of the present simple as well as to provide you with ample opportunities for interaction focused on an exchange of information.

II. Activities

You are required to consciously analyse the following data in groups of four or two where you first share the results of your analysis with the members of your group and then with the members of the other groups.

III. Organisation of the task

1. Complete the task cards individually.
2. Read them to the members of your group as many times as necessary until they finish
writing them down on the task sheets. Do not show them the task cards.
3. Give them the use of the present simple tense you think corresponds to all the sentences.
4. Discuss with the members of your group the answers until you reach a common decision.
5. Choose one member of your group to report your results to the whole class.
6. Be ready to negotiate with the members of the whole class and to agree on a single
solution.
7. Make the necessary corrections if your answers are wrong.

Note: You should speak only in English during the task.

Task Sheets

The Present Simple

Fill in the following task sheets while one member of your group reads them to you.

I. Forms of the present simple of the verb “to talk”

Affirmative Form

I . . .

You . . .

He/She/It . . .

We . . .

You . . .

They . . .

Negative Form

I . . .

You . . .

He/She/It . . .

We . . .

You . . .

They . . .

Interrogative

. . . I . . .

. . . you . . .

. . . he/she/it . . .

. . . we . . .

. . . you . . .

. . . they . . .

Interro-negative form

. . . I . . .

. . . you . . .

. . . he/she/it . . .

. . . we . . .

. . . you . . .

. . . they . . .

Short Answers

Yes:

Yes, I . . .

Yes, you . . .

Yes, he/she/it . . .

.

Yes, we . . .

Yes, you . . .

Yes, they . . .

No:

No, I . . .

No, you . . .

No, he/she/it . . .

.

No, we . . .

No, you . . .

No, they . . .

II. Uses of the Present Simple

1. Examples from task card one:

(1)

(2)

(3)

(4)

Rule 1: The present simple is used to express . . .

2. Examples from task card two:

- (1)
- (2)
- (3)
- (4)

Rule 2: The present simple is used to express . . .

3. Examples from task card three:

- (1)
- (2)
- (3)
- (4)

Rule 3: The present simple is used to express . . .

4. Examples from task card four:

- (1)
- (2)
- (3)
- (4)

Rule 4: The present simple is used to express . . .

.....

Task Card One

I. Form:

Conjugate the verb 'to talk' in the **affirmative** form of the present simple tense.

I . . .

You . . .

He/ She/ It . . .

We . . .

You . . .

They . . .

II. Use:

–Read the following sentences carefully to understand their meaning.

1. Pupils usually **go** to school in time.
2. Birds **fly**, and **fish** swim.
3. My son **plays** all the morning and **sleeps** in the afternoon.
4. Housewives **work** very hard. They **cook** the meals, **lay** the table, **clean** the house, **mend** the clothes, and **do** the washing and ironing.

–These sentences show **one use** of the present simple tense. Find out what it is by putting a

tick in the appropriate box below:

- ☐ Eternal truths and facts; i.e. actions for all time.
☐ Planned future actions.
☐ Past related as present or historic present.
☐ Habitual, repeated or permanent actions especially with adverbs of frequency:

often, usually, sometimes, seldom, rarely, always, occasionally, never.

Task Card Two

I. Form:

Conjugate the verb “to talk” in the **negative** form of the present simple tense.

I . . .

You . . .

He/She/It . . .

We . . .

You . . .

They . . .

II. Use:

–Read the following sentences carefully to understand their meaning.

1. Water **boils** at 100°C.
2. Air **contains** oxygen and nitrogen.
3. Honesty **is** the best policy.
4. Wars **solve** no problem.

–These sentences show **one use** of the present simple tense. Find out what it is by putting a

tick the appropriate box below:

- ☐ Eternal truths and facts; i.e., actions for all time.
☐ Planned future actions.
☐ Past related as present or historic present.
☐ Habitual, repeated, or permanent actions especially with adverbs of frequency: often, usually, sometimes, seldom, rarely, always, occasionally, never.

Task Card Three

I. Form:

Conjugate the verb “to talk” in the **interrogative** of the present simple tense, and then provide **short answers**.

Interrogative

. . . I . . .

. . . you . . .

. . . he/she/it . . .

Short answer

Yes, I . . .

Yes, you . . .

Yes, he/she/it . . .

Short answer

No, I . . .

No, you . . .

No, he/she/it . . .

. . . we . . .	Yes, we . . .	No, we . . .
. . . you . . .	Yes, you . . .	No, you . . .
. . . they . . .	Yes, they . . .	No, they . . .

II. Use:

–First read the following sentences carefully to understand their meaning.

1. I **start** work next week.
2. Next Monday **is** my birthday.
3. The Hegira Day **falls** on Wednesday next year.
4. The plane **leaves** at 9 o'clock from Algiers, and arrives in London at 11:30.

–These sentences show **one use** of the present simple tense. Find out what it is by putting a tick in the appropriate box below:

☐ Eternal truths and facts; i.e., actions for all time.

☐ Planned future actions.

☐ Past related as present or historic present.

☐ Habitual, repeated, or permanent actions especially with adverbs of frequency:

often, usually, sometimes, seldom, rarely, always, occasionally, never.

Task Card Four

I. Form:

Conjugate the verb “to talk” in the **interro-negative** of the present simple tense.

- . . . I . . .
- . . . you . . .
- . . . he/she/it . . .
- . . . we . . .
- . . . you . . .
- . . . they . . .

II. Use:

–Read the following sentences carefully to understand their meaning.

1. Rachid **tells** me that your brothers **are** abroad.
2. Peter **says** he will come.
3. In 1830, France **occupies** Algeria.
4. Mohamed Dib **draws** his characters from the Algerian society.

–These sentences show **one use** of the present simple. Find out what it is by putting a tick in the appropriate box below:

☐ Eternal truths and facts; i.e., actions for all time.

- ☐ Planned future actions.
- ☐ Past related as present or historic present.
- ☐ Habitual, repeated or permanent actions especially with adverbs of frequency:
often, usually, sometimes, seldom, rarely, always, occasionally, never.

Appendix III

The Students' Questionnaire

Dear Student,

This questionnaire is designed to investigate your attitudes towards 'grammar tasks' as performed in the classroom while studying the English tenses.

Your answers will be taken into account for research purposes and will be treated with a great confidence.

Please, fill in the following questionnaire by providing the required information or by putting a tick in the appropriate box.

Thank you in advance for your cooperation.

1. Did you consider the material about GCRTs interesting?

Yes ☐

No ☐

2. How much grammar did you learn through grammar consciousness-raising tasks?

A lot ☐

Quite a lot ☐

Not much ☐

Not at all ☐

3. Did GCRTs help you interact, negotiate and communicate?

A lot ☐

Quite a lot ☐

Not much ☐

Not at all ☐

4. Did GCRTs help you gain autonomy, self-confidence and motivation?

A lot ☐

Quite a lot ☐

Not much ☐

Not at all ☐

5. Would you like to study grammar in the future through:

TGL? ☐

GCRTs? ☐

Both Methods ☐

6. Please indicate your general feeling about GCRTs.

Satisfied ☐

Very satisfied ☐

Dissatisfied ☐

Very dissatisfied ☐

7. What are the advantages and disadvantages of GCRTs?

Et-Tawassol

n°25 Mars 2010

PUBLICATION DE L'UNIVERSITE BADJI MOKHTAR -ANNABA, ALGERIE



Langues Etrangères

- Thomas Mofolo and Ayi Kwei Armah: The Bankruptcy of the Warrior Tradition and the Quest for a Legacy of African Intellectual Heroism ——— **Bouteldja RICHE**
- Translation in Don Quixote ——— **Abbes BAHOU**
- Translating Algerian Arabic Drama into English:
An Intercultural Process ——— **Souad HAMERLAIN**
- Hegel, Dubois and the American School of Slavery ——— **Sabrina ZERAR**
- Beyond Monodisciplinarity and Towards an Integrative Framework for the Teaching of "Literature" and "Civilisation" ——— **Miloud BARKAOU**
- Grammar Tasks and the Learning of English as a Foreign Language:
A Case Study ——— **Ahmed MOUMENE**

مقالات في اللغة العربية و آدابها

- علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب ——— **بشير ابرير**
- المصطلح اللساني عند الفاسي الفهري ——— **خالد بن عبد الكريم بسندي**
- فاوست بين الحقيقة التاريخية والخيال الأدبي ——— **عمار رجال**
- الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة(*) ——— **يحي بعيطي**
- لفظ التأويل من منظور علماء المسلمين ——— **أحمد مداس**
- عرب وأعراب دراسة لغوية في شعر ما قبل الإسلام ——— **محمود الديكي**
- الصحراء وثقافة شعوب الهامش في رواية "عيون الطوارق" لألبرتو فاتكت فيكيروا " ——— **فتيحة بركات**